



الأسئلة
والأجوبة النموذجية

على كتاب فقه السيرة النبوية

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي

إعداد الدكتور

جمال محمود محمد الهوبي

(أستاذ مساعد بكلية أصول الدين)

(الجامعة الإسلامية - غزة)





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ،ومداد كلماته ، وعدد ما أحصاه كتابه ، وعدد ما خطه قلمه ، وكما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، وكما يحب ويرضى جل ثناؤه .

وأفضل الصلاة ، وأتم التسليم على رسوله الأمين ، قائد المجاهدين ، وإمام الغر المحجلين ، والمبعوث رحمة وهدى ونورًا للعالمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ ، أما بعد .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم** ﴾ [1] ، وقال ﷻ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا** ﴾ [2] ، وقال جل شأنه : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ [3] ، وقال ﷻ : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ [4] .

وقال رسول الله ﷺ : (**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا ، كتاب الله وسنتي**) ، وقال ﷺ : (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة)** [5] .

ولا شك أن سيرة النبي ﷺ هي الترجمة العملية والتطبيق العملي لسنته ﷺ ، ولما جاء به ﷺ من عند ربه .

---

(١) البقرة . من الآية / ٢٨٢ . (٢) الأحزاب / ٧٠ . (٣) الأحزاب . من الآية / ١ .
(٤) آل عمران / ١٠ . (٥) رواه أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٨) وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد ٤/١٢٦ ، ١٢٧ ، وابن ماجة (٤٢) ، والدارمي ١/٤٤ ، ٤٥ . وإسناده صحيح . وصححه ابن حبان (١٠٢) .

وكتب السيرة ومراجعها كثيرة ، ولعل أفضلها : (سيرة ابن هشام) ، والذين كتبوا دراسات في السيرة وفي فقهها وفي تحليلها كثر : وكتاب : (فقه السيرة النبوية . للدكتور محمد البوطي) من أفضلها . إذ أنه كتاب علمي منهجي تربوي موثق ، فيه من البحوث والعلوم ما لا توجد في غيره .

ولذلك أُعجبت كثيرًا بهذا الكتاب ، ورأيت – خدمة لطلبة العلم – أن أكتب هذا الكتاب (الأسئلة والأجوبة النموذجية) ليس بديلاً ، وإنما لييسر على الطالب الإلمام بالمادة العلمية ، والإحاطة بها ، والإجابة على أسئلتها إجابة نموذجية .

وقد انقدح في ذهني هذا الرأي من خلال تدريسي لهذا الكتاب ، ومن خلال تصحيحي لإجابات الطلاب على أسئلة الامتحانات المناطة به .

وقد توخيت في هذا الكتاب (الأسئلة والأجوبة النموذجية) ما يلي :

١- أن يكون شاملاً لكثير من موضوعات كتاب (فقه السيرة) ، خاصة مفردات المادة المقررة .

٢- السهولة والتبسيط والاختصار غير المخل في بيان المادة العلمية وشرحها .

٣- الدقة العلمية والمنهجية التربوية في تحديد الأسئلة وأجوبتها .

٤- توثيق المعلومات الواردة فيه من آيات وأحاديث ومفردات وغير ذلك .

٥- حسن وجمال الإجراج ودقة الترتيب ، ليعين الطالب على سرعة تحديد المراد وتحصيله .

ولتحقيق ذلك جعلت الكتاب في أقسام ، مثل كتاب (فقه السيرة) ، وكل قسم أدرجت تحته موضوعاته المختارة من خلال أسئلة وأجوبة .

والطريقة النموذجية للتحصيل والفهم : تكون بطريقين (أولهما) قراءة الموضوع المعين وفهمه من كتاب : فقه السيرة . للدكتور البوطي . (وثانيهما) حفظ إجابة الأسئلة الموضوعة عليه من هذا الكتاب .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع بقبول حسن ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، كما أسأله وأتضرع إليه أن يفتح على كل من قرأه بالعلم والفهم والحفظ والعمل والإخلاص . وأذكِّر كل من استفاد منه أن لا ينساني من دعوة صالحة في ظهر الغيب . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أعده : الفقير إلى رحمة الله
د. جمال محمود محمد الهوبي
(خريف ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)

القسم الأول

(مقدمات)

١- أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام
(وتعريفها ، ومميزاتها ، ومصادرها)

٢- السيرة النبوية : كيف تطورت دراستها
وكيف يجب فهمها اليوم

٣- سر اختيار الجزيرة العربية مهدًا لنشأة الإسلام

٤- محمد ﷺ خاتم النبيين ، وعلاقة دعوته بالدعوات السماوية

٥- الجاهلية وما كان فيها من بقايا الحنيفية

١- أهمية السيرة النبوية في فهم الإسلام

(وتعريفها ، ومميزاتها ، ومصادرها)

١- (١) بين أهمية (أو غرض أو أهداف) دراسة السيرة النبوية وفقهها ؟

إن دراسة السيرة النبوية ليس هدفها مجرد الوقوف على أحداثها التاريخية ، وإنما ليتصور المسلم الحقيقة الإسلامية في مجموعها متجسدة كواقع عملي تطبيقي من خلال حياة النبي ﷺ المثل الأعلى لأمته . والتفصيل كما يلي :

١- فهم شخصية الرسول ﷺ النبوية من خلال سيرته التي تثبت أنه لم يكن مجرد عبقري سمت به عبقريته بين قومه ، ولكنه قبل ذلك رسول أيده الله بوحيه وتوفيقه .

٢- أن يجد الإنسان المثل الأعلى في كل شأن من شؤون حياته ، فيقتدي به ويتمسك بهديه لقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [(١)] .

٣- فهم كتاب الله تعالى وتذوق روحه ومقاصده ، إذ إن كثيرًا من آيات القرآن توضحها الأحداث التي مرت بالنبي ﷺ وموقفه منها .

٤- تحصيل أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية في العقائد والأحكام والأخلاق ؛ إذ أن سيرة النبي ﷺ مجسدة لمجموع مبادئ الإسلام .

٥- أن يكون لدى المعلم والداعية الإسلامي نموذجًا حيًا عن طرائق التربية والتعليم . فقد كان ﷺ معلمًا ناصحًا ومربيًا فاضلاً ، وحكيمًا في أساليب التعليم والتربية ووسائلهما .

فسيرته ﷺ تقدم نماذج سامية للشاب المستقيم في سلوكه ، وللداعية إلى الله المتسلح بالحكمة والموعظة الحسنة ، وللزوج المثالي ، وللقائد الماهر ، وللسياسي المحنك ، وللرئيس الحذق الحكيم .. إلخ .

٢- (٢) عرف السيرة النبوية ؟ وبين مميزاتها ؟ واذكر مصادرها ؟

---

(١) الأحزاب . من الآية / ٢١ .

● **تعريف السيرة لغة :** هي (السنة والطريقة) . يُقال : سار بهم سيرة حسنة . (والهيئة)[1] قال تعالى : ﴿ **سنعيدها سيرتها الأولى** ﴾ [2] أي : هيئتها .

واصطلاحًا : هي كل ما يتعلق بأحوال النبي ﷺ وأقواله وأفعاله وأخباره منذ ولادته وحتى وفاته .

● **مميزاتها :**

١- أصح سير الأنبياء عليهم السلام : لأنها أقربها إلينا زمنيًا ، ولأنها نقلت عن طريق الصحابة والتابعين والعدول من أمة محمد ﷺ ، وهذا بعكس سير الأنبياء الآخرين عليهم السلام .

٢- شاملة : فقد شملت جميع مناحي حياته ﷺ : أقواله وأعماله ، وغزواته ، وصفاته ، ودقائقه ، وكل ما يتعلق به منذ ولادته وحتى وفاته . فلم يعرف التاريخ تسجيل حياة شخص بمثل هذا الشمول ، والله جل ثناؤه قدَّر ذلك لأنه اصطفاه ، وجعله قدوة الإنس والجن جميعًا إلى يوم القيامة .

٣- كاملة : تعالج كل مشاكل الحياة ، ومتضمنة لكل ما يحتاجه الناس . إذ أن النبي ﷺ بعث لجميع الإنس والجن ، بدينٍ صالح لكل زمان ومكان ، وإلى يوم القيامة .

٤- إن سيرة النبي ﷺ واضحة في جميع مراحلها وضوح الشمس . من زواج أبيه بأمه إلى وفاته ﷺ ، فقد ولد تحت الشمس ، وعاش تحت الشمس ، ومات تحت الشمس ﷺ .

٥- إن سيرة النبي ﷺ تحكي حياة إنسان أكرمه الله بالرسالة ، فلم تخرجه عن إنسانيته ، ولم تلحق حياته بالأساطير ، ولم تضف عليه الألوهية قليلاً ولا كثيرًا .

٦- إن سيرة النبي ﷺ تعطينا الدليل الحاسم على صدق رسالته ونبوته ﷺ . ومن ذلك : إن الله حفظه من كل انحراف قبل نبوته وبعدها ، وجمَّله بأنبل الأخلاق ، وجعله أميًا لم يتتلمذ على يد أحدٍ حتى لا يتهم في رسالته ، وأكرمه بالحكمة والسياسة الحكيمة ، ورزقه الحنكة في القيادة مع الشجاعة والإقدام في

---

(١) انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢/٥٤ . ومختار الصحاح . للرازي / ٣٢٥ .

(٢) طه . من الآية / ٢١ .

مواطن الخوف وحياض الموت ، وأيده بالمعجزات الباهرات ، وجعل التوفيق قرينه ، والنصر حليفه . فخلال ثلاثة وعشرين سنة لفَّت دعوتُه جزيرة العرب ، رغم الكيد والتآمر والأذى ومحاولات الاغتيال المتكررة ، ورغم كثرة الأعداء ، فقد بعث ﷺ وحيدًا وكل العالم ضده ومع ذلك ظهر عليهم بأمر الله ونصره وقدره .

● **مصادرها :**

١- القرآن الكريم : فهو المعتمد الأول في معرفة الملامح العامة لحياته ﷺ ، وفي الاطلاع على مراحل دعوته .

٢- كتب السنة النبوية : وفي مقدمتها الكتب الستة ، وموطأ مالك ومسند أحمد وغيره . وإن كانت تنقل أقواله ﷺ وأفعاله كتشريع لا كتاريخ ، ولذلك رتبت أحاديثُ أكثرها على الأبواب الفقهية والعقائد والتفسير وما إلى ذلك .

٣- الرواة : الذين اهتموا بسيرة النبي ﷺ وحياته عمومًا ، وقد كان في الصحابة الكثير ممن اهتم بذلك . بل ما من صحابي كان مع الرسول ﷺ في مشهد من مشاهد سيرته إلا ورواه لغيره من الصحابة ولمن بعدهم من التابعين أكثر من مرة . ثم الرواة من التابعين وتابعيهم .

٢- السيرة النبوية : كيف تطورت دراستها ؟ وكيف يجب فهمها اليوم ؟

١- (٣) كيف بدأت كتابة السيرة النبوية ؟ وكيف تطورت ؟

إن كتابة وتدوين السيرة النبوية كان متأخرًا زمنيًا عن البدء بكتابة السنة ، وإن كان الصحابة قد اهتموا بنقل سيرته ﷺ ومغازيه شفاهًا .

ولعل أول من اهتم بذلك عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٢هـ ، ثم أبان بن عثمان المتوفى سنة ١٠٥هـ ، ثم وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠هـ ، ثم شرحبيل ابن سعد المتوفى سنة ١٢٣هـ ، ثم ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ . ولكن للأسف كل ما كتبه هؤلاء لم يصلنا ، إلا بقايا متناثرة روى بعضها الطبري .

ثم جاء في الطبقة التالية لهم من تلقَّف كل ما كتبوه ، فأثبتوا جلَّه في مدوناتهم التي وصل إلينا معظمها بحمد الله ، وفي مقدمتهم محمد بن إسحاق المتوفى سنة ١٥٢هـ ، وقد اتفق الباحثون على أن كتابه (المغازي) أوثق ما كتب في السيرة ، وإن لم يصلنا بذاته ، إلا أن ابن هشام قد رواه مهذبًا منقحًا بعد مضي خمسين سنة على تأليفه .

٢- (٤) بين المنهج العلمي الذي اعتمده كتَّاب السيرة في تاريخها وتدوينها ؟

هو المنهج الموضوعي في كتابة التاريخ ، والمتمثل في إثبات ما هو ثابت من السيرة ، بمقياس علمي يتمثل في قواعد مصطلح الحديث المتعلقة بكل من السند والمتن . وفي قواعد الجرح والتعديل المتعلقة بالرواة وتراجمهم وأحوالهم .

فإذا انتهت بهم هذه القواعد العلمية إلى أخبار ووقائع ، وقفوا عندها ، ودونوها ، دون أن يقحموا تصوراتهم الفكرية أو انطباعاتهم النفسية أو مألوفاتهم البيئية إلى شيء من تلك الوقائع بأي تلاعب أو تحوير .

٣- (٥) عرف المذهب الذاتي في رواية التاريخ ؟ وكيف نشأت له مدرسة في

دراسة السيرة النبوية وما عوامل نشأتها ؟ وما مصيرها اليوم ؟ ودوّن رأيك فيها ؟

● **المذهب الذاتي :** هو أن يقحم المؤرخ نزعته أو اتجاهه الفكري والديني أو السياسي في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم عليها دون ضوابط معينة ، وإن هذا هو واجب المؤرخ لا مجرد سرد التاريخ . ويعتبر (فرويد) من أكبر الدعاة إليه والمتحمسين له .

● **النشأة وعواملها :** تعود نشأة هذه المدرسة إلى ايام الاحتلال البريطاني لمصر ، حيث استغل الاستعمار تخلف المسلمين في مجال الاكتشافات العلمية ، فنشر فكرة : إن الغرب لم يتحرر من أغلاله ولم يصل إلى ما وصل إليه إلا بعد أن أخضع الدين النصراني لمقاييس العلم ، وأن العالم الإسلامي لم ينهض علميًا إلا إذا أخضع الإسلام إلى مقاييس العلم ، ولا يتحقق هذا إلا بتخلص الفكر الإسلامي من سائر الغيبيات التي لا تفهم ولا تخضع لمقاييس العلم الحديث . وسرعان ما انخدع بهذا الغزو الفكري الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوربية الحديثة ممن لم ترسخ حقائق الإيمان في قلوبهم ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه في عقولهم . فتنادوا إلى التحرر من كل غيب لم يكشفه العلم ، ولم يدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الإنسانية .

واقتضى ذلك منهم تطوير كتابة السيرة النبوية وفهمها حسب المذهب الذاتي ، فنشأت المدرسة الذاتية في دراسة السيرة النبوية ، ومن أعلامها : حسين هيكل وكتابه (حياة محمد) ومحمد فريد وجدي ومقالاته تحت عنوان (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) .

● **مصير مدرسة المذهب الذاتي :** أما مصير هذه المدرسة اليوم فقد بهتت نارها ، وانحصر تأثيرها ، وبرز باطلها ، وهذا هو مصير الباطل دومًا أنه يتلاشى أمام الحق الأبلج . فقد جاء جيل مثقف واعٍ تعامل مع حقائق العلم كما هي بعد أولئك الذين أخذوا بألفاظه وانخدعوا بشعاراته وابنهروا بمكتشفاته .

وأيقن هذا الجيل ببصيرة الباحث العليم والمفكر الحر بأن شيئًا من الخوارق أو الغيبيات لا يتنافى في جوهره مع حقائق العلم وموازينه . فالخارقة سميت بذلك لخرقها لما هو مألوف أمام الناس وهذا لا يخضع لمقاييس العلم . وليس كل ما

لا يثبته العلم يدل على عدم وجوده . فالكون مملوء بالعلوم والأسرار غير المكتشفة بعد . فهل يعني عدم اكتشافها عدم وجودها .

● **رأيي في المذهب ومدرسته** : هذا المذهب منحرف وخطير يستبدل بميزان الرواية والسند وقواعد التحديث وشروطه طريقةَ الاستنتاج الشخصي ، وميزان الرضا النفسي ، ومنهج التوسم الذي لا يضبطه شيء إلا دوافع الرغبة ، وكوامن الأغراض والمذاهب التي يضمرها المؤلف ، ومن ذلك الاستبعاد أو التكلف في تأويل كل ما لا يخضع للمقاييس العلمية والتجارب المعملية والفلسفية من الغيبيات والخوارق وما إلى ذلك ، وإن كانت ثابتة في القرآن وفي صحيحيّ البخاري ومسلم .

ومن انحرافهم الناتج عن مذهبهم الباطل أنهم أولوا كل خارقةٍ ولو بتكلف وتمحل : فالطير الأبابيل أولوه بداء الجدري ، والإسراء بسياحة الروح وعالم الرؤى ، ومدد الملائكة في غزوة بدر بالدعم المعنوي ، وإيمان الصحابة وعموم الفتح بثورة يسار ضد يمين ... إلخ هذه الترهات .

٤- (٦) بين المنهج المثالي في دراسة السيرة النبوية ؟

يمكن تلخيص هذا المنهج في البنود الآتية :

١- أن ندرس سيرته ﷺ دراسة موضوعية تتوخى الصدق والدقة بناءً على المنهج العلمي الذي يقضي باتباع قواعد الرواية والإسناد وشروط الصحة فيها ، وهذا يقتضي استبعاد الروايات الضعيفة والموضوعة في سيرته ﷺ .

٢- أن ندرس سيرة النبي ﷺ باعتباره نبيًا ورسولاً من الله ، كما عرف نفسه ، وقدمها إلى العالم ، لا كزعيم أو عبقري أو مصلح ... إلخ ، ونجعل من ذلك محورًا لدراسة حياته العامة .

٣- أن ندرس حياة النبي ﷺ من شتى جوانبها : نشأته ، وأخلاقه ، وحياته الشخصية والبيتية ، وصبره وكفاحه ، وسلمه وجهاده ، وتعامله مع أصدقائه وأعدائه ، وموقفه من الدنيا وأهوائها وزخرفها ... إلخ .

٤- أن تكون دراستنا للسيرة وتفسير أحداثها داخل إطار الإسلام العام ، وضمن ما يقتضيه الفكر والتشريع الإسلامي ، ومن خلال ما تحتمله اللغة العربية دون إفراط أو تفريط أو مغالاة أو تكلف أو تمحل أو تأويل متعسف .

٣- سر اختيار الجزيرة العربية مهدًا لنشأة الإسلام

١- (٧) بين سر اختيار الجزيرة العربية مهدًا لنشأة الإسلام ؟

٢- (...) وضح الحكمة الإلهية التي اقتضت أن تكون بعثة النبي ﷺ في جزيرة العرب دون غيرها ؟

تتلخص الإجابة على هذا السؤال في النقاط الآتية :

١- إن طبائع العرب كانت أشبه بالمادة (الخام) . تتراءى فيا الفطرة الإنسانية السليمة والنزعة إلى الأخلاق الحميدة كالوفاء والنجدة والكرم والإباء والعفة وتعظيم البيت ... إلخ ، وهم بذلك أقرب لقبول الدين من جيرانهم ومن حولهم .

فبلاد الفرس كانت حقلاً لوساوس دينية وفلسفية متصارعة مختلفة ، وكانوا يتفننون في خلق وسائل الانحلال ، وفلسفة مظاهر الإباحية ، والانحطاط الخلقي ووضعها في قوالب الدين .

وأما الرومان فلم يكونوا أقل انحلالاً وفسادًا من الفرس ، وكانت تسيطر عليهم الروح الاستعمارية ، وكانوا في خلاف ديني بينهم وبين نصارى مصر والشام ، وكانوا يطورون النصرانية ويتلاعبون بها .

وأما اليونان فقد كانت غارقة في ترف الفلسفة والجدل ، وفي هوسات من الخرافات والأساطير .

وأما الهند فكانت متدهورة أخلاقيًا واجتماعيًا .

٢- البقة الجغرافية للجزيرة العربية ترشحها للقيام بعبء نشر دعوة الإسلام ؛ لأنها تقع في نقطة الوسط بين الأمم المختلفة في العالم القديم ، وهذا ما حدث في صدر الإسلام وعصر الراشدين .

٣- إن بيئة جزيرة العرب في ذلك الوقت كانت أمية ، وبذلك تكون أنسب لدعوة الإسلام ، لأنه لو نشأ في بلاد متحضرة ومتعلمة ، فإنه سيتهم النبي بأنه مرتاب مبطل جمع سلسلة التجارب الحضارية والأفكار الفلسفية وصاغها في دين جديد

٤- إن لغة جزيرة العرب هي العربية التي تمتاز على اللغات قاطبة بكثير من الخصائص ، ولذلك اقتضت حكمة الله أن تكون لغة الدعوة الإسلامية والمعبرة عنها ، ولما كان موطنها جزيرة العرب كان سر اختيارها .

٤- محمد ﷺ خاتم النبيين

وعلاقة دعوته بالدعوات السماوية السابقة

١- (٨) دلل على أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين ؟ وبين علاقة دعوته بدعوات الأنبياء السابقين ؟

● **محمد ﷺ خاتم النبيين** : فلا نبي بعده ، وهذا بدليل القرآن والسنة وإجماع الأمة ، ومما عرف من الدين بالضرورة ، قال تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيي** ﴾ [1] ، وقال رسوله ﷺ : (**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله . إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**) [2] .

● **العلاقة** : علاقة دعوة النبي ﷺ بدعوات الأنبياء السابقين قائمة على أساس التأكيد والتتميم بدليل الحديث السابق ، وأنهم جاءوا بدين واحد .

فكل دعوة نبي قامت على أساسين (أولهما) العقيدة (وثانيهما) التشريع والأخلاق .

فأما العقيدة : فهي من الثوابت في دعوات الأنبياء جميعًا ؛ لأنها نوع من الإخبار ، والصادقون لا يختلفون في نقل الخبر الواحد ، فقد جاءوا عليهم السلام بعقيدة واحدةٍ كالإيمان بالله وحده ، والملائكة ، والكتب ، والنبيين ، واليوم الآخر ... إلخ .

فكل نبي جاء مؤكدًا لعقيدة السابقين له ، ومصدقًا لدعوة من قبله ومبشرًا بدعوة من بعده ، وكلهم جاءوا بحقيقة واحدة وهي الدينونة لله تعالى القائل :

---

(١) الأحزاب . من الآية / ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري . ك (أحاديث الأنبياء) ب (خاتم النبيين ﷺ) ٦/٤٣٦ . وصحيح مسلم . واللفظ له . ك ٤٣ (الفضائل) ب ٧ (ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين) ٤/١٧٩١ (٢٢٨٦) .

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذين أوحينا إليك وما وصينا بـه إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ (١) .

وأما التشريع : وهو الأحكام التي تنظم حيـاة الفرد والمجتمـع ويتعبد الله بها ، فقد اختلفت فـي الكيـف والكم مـن دعـوة نبـي لآخـر حسـب مـا يقتضيـه حال التطور الزمني واختلاف الأمم والأقوام ، ذلك أن بعثة كل نبـي كـانت خاصـة بأمة معينة وبزمن معين ، والتشـريع تبـع لذلـك . وشـريعة كـل رسـول ناسـخة للشريعة السابقة إلا ما أيده التشريع المتأخر أو سكت عنه . فمثلاً : بعـث موسـى عليه السلام إلى بني إسرائيل بشريعة قائمة على العزائم لا الرخص ، ثم جاء إليهم عيسى عليه السلام بعد قرون بشريعة أيسر وأسهل ، قال تعالى : **﴿ ومصدقًا لما بين يديَّ من التوراه ولأحل لكم بعض الذي حُرِّم عليكم ﴾** (٢) .

أما الدين : فقد جاء الأنبياء جميعًـا بديـن واحـد وهـو الإسـلام . فـلا توجد أديان سماوية متعددة ، ولكن توجد شرائع سماوية متعددة كما أسلفنا . يدل على ذلك قوله تعالى : **﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾** (٣) ، وقولـه : **﴿ ومـن يرغـب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخـرة لمن الصالحين O إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين O ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾** (٤) .

٢- (٩) جاء النبيون جميعًا بدين واحد وبعقيـدة واحـدة وبتشـريعات متعددة . اشرح بالأدلة هذه العبارة ؟ ثم اذكر بالأدلة سبب تغير عقيدة اليهود والنصارى ؟

● **جواب الشطر الأول** : لهذا السؤال سبق تفصيله فـي النقطـة الثانيـة مـن السؤال السابق .

● **سبب تغير عقيدة اليهود والنصارى** : الأنبياء جميعًا جاءوا بديـن واحـدٍ وبعقيدة واحـدة ، ورغم ذلك انحرف أهل الكتاب بعقيدتهم لأنهم بدلوا وغيروا واختلفوا على

---

(١) الشورى . من الآية / ١٣ . (٢) آل عمران . من الآية / ٥٠ .
(٣) آل عمران . من الآية / ١٩ . (٤) البقرة / ١٣٠ - ١٣٢ .

أنبيائهم ونسبوا إليهم ما لم يقولوه بغيًا منهم عن علم ، ومن ذلك أن اليهود قالوا : إن عزيرًا ابن الله ، والنصارى زعموا أن المسيح ابن الله ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن الدين عند ا لله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم** ﴾ [1] .

٥- الجاهلية وما كان فيها من بقايا الحنيفية

١- (١٠) تحدث عن العلاقة بين العصر الجاهلي والملة الحنيفية ؟ والعلاقة بين الإسلام والفكر السائد قبله ؟

● **العلاقة بين العصر الجاهلي والملة الحنيفية** : إن التاريخ العربي نشأ في كنف الحنيفية السمحة التي بعث بها إبراهيم عليه السلام ، حيث كانت تغمر حياة العرب عقيدة التوحيد والهداية والإيمان ، ثم ابتعدوا عن ذلك رويدًا رويدًا بعامل طول الأمد فوقعوا في الكفر والشرك والضلال والجهل ، مع استمرار بقايا من معالم الحنيفية .

● **العلاقة بين الإسلام والفكر السائد قبله** : فلما جاء النبي ﷺ بهذا الإسلام العظيم ، وأنار شعلة الدين الحنيف من جديد ، قضى على ذلك الكفر والشرك والضلال ، وأحل محله الإيمان والتوحيد والتشريع الحق .

وأما ما بقي من معالم الحنيفية فأقره وأكّده وجدَّد الدعوة إليه .

---

(١) آل عمران . من الآية / ١٩ .

القسم الثاني

(من الميلاد إلي البعثة)

١- نسبه ﷺ وولادته ورضاعته

٢- رحلته الأولى إلى الشام ثم كدحه في سبيل الرزق

٣- تجارته بمال خديجة وزواجه منها

٤- اشتراكه ﷺ في بناء الكعبة

٥- اختلاؤه في غار حراء

٦- بدء الوحي

١ – نسبه ﷺ وولادته ورضاعته

١– (١١) اذكر ما تعرفه عن نسب النبي ﷺ ؟ وولادته ؟ ورضاعته ؟ وكفالته ؟

● **نسبه :** هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

فهذا القدر المتفق عليه من نسبه ﷺ ، وأما ما فوقه فمختلف فيه لا يُعول عليه ، وقد اختاره الله من أزكى القبائل ، وأفضل البطون ، وأطهر الأصلاب ، لم يتسلل شيء من أدران الجاهلية إلى نسبه ؛ لقوله ﷺ : **(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)** [١] .

● **ولادته :** ولد ﷺ في عام الفيل ، وعلى الأرجح يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . (الإثنين ١٢ / ربيع الأول / عام الفيل) .

● **رضاعته :** ولد النبي ﷺ يتيمًا ، فقد مات أبوه وأمه حال به لشهرين ، وقد كان له جده عبد المطلب الذي استرضع له حليمة السعدية ، فلما مكث عندها خمس سنوات أعادته إلى أمه .

● **كفالته :** كفله أولاً جده عبد المطلب لأن أباه مات وهو في بطن أمه ، فلما بلغ ست سنوات ماتت أمه ، ولما بلغ ثماني سنوات مات جده ، فكفله بعده عمه أبو طالب .

٢– (١٢) بين العظات والمبادئ المستفادة من نسبه ﷺ ؟

تمييز العرب على سائر الناس ، وتفضيل قريش على سائر القبائل ،

---

(١) صحيح مسلم . ك ٤٣ (الفضائل) ب (فضل نسب النبي ﷺ ...) ٤/١٧٨٢ (٢٢٧٦) .

وتشـريف بني هاشـم على سائر البيوت ، يدل على ذلك الحديث السابق ، والحديث الذي رواه الترمذي أنه ﷺ قام على المنبر فقال : (**من أنا ؟**) قالوا : أنت رسول الله عليك السلام . قال : (**أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . إن الله خلق الخلق ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فِرقة . ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة . ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا**) [1] .

ومحبة النبي ﷺ تقتضي محبة العرب وقريش وبني هاشم لانتسابه إليهم ، ولا عبرة بمن انحرف عن الدين من المذكورين .

٣- (١٣) وضح الحكم والعظات من ولادة النبي ﷺ يتيمًا ، وموت أمه وكافله - جده - في طفولته ؟

١- قطع السبيل على المشككين في دينه ﷺ ، فلا يتهمونه بأنه تعلم مبادئ دينه الأولى من أبيه وأمه وجده الذي كان صدرًا في قومه ، وإليه الرفادة والسقاية ، وحتى إن عمه أبا طالب الذي امتدت حياته إلى ما قبل الهجرة بثلاث سنوات مات كافرًا فلا يُتوهم ما سبق ذكره فيه أيضًا .

٢- حتى لا تميل به نفسه ﷺ إلى مجد المال والجاه بوجود الأبوين والحنان والمال ، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا فيظنوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول للثاني .

٤- (١٤) اذكر البركات التي حلت بحليمة السعدية عندما استرضعت النبي ﷺ ؟ وعلى أي شيء يدل ذلك ؟

- تتلخص هذه البركات في الآتي :

١- إن منازل حليمة السعدية عادت ممرعة خضراء ، بعد أن كانت قاحلة جدباء .

٢- إن ضرع ناقتها المسنة عاد حافلاً باللبن بعد أن كان يابسًا لا يتندى بقطرةٍ منه .

---

(١) سنن الترمذي . ك ٥٠ (المناقب) ب ١ (في فضل النبي ﷺ) ٥/٥٤٥ (٣٦٠٨) .

● **دلالة البركات** : تدل هذه البركات على الآتي :

١- علو شأن رسول الله ﷺ ورفعة مرتبته عند ربه حتى عندما كان طفلاً صغيرًا ، حيث بكرامته أكرم الله بيت حليمة السعدية .

٢- الاستسقاء عند انحباس المطر ببركة الصالحين من الناس ، ومن أهل بيت النبي ﷺ رجاء استجابة الله لدعائنا ، وكذا عند النوائب ، وما إلى ذلك .

٥- (١٥) اذكر ما تعرفه عن حادثة شق الصدر ؟ وما الحكمة المستفادة منها ؟

● **حادثة شق الصدر** : حدثت للنبي ﷺ في مضارب بني سعد عندما كان في رضاعة حليمة السعدية ، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ، فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده إلى مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني ظِئْرَه) [1] فقالوا : إن محمدًا قد قتل ، فاستقبلوه وهو مُنتقَع اللون [2] . قال أنس : وقد كنت أرى أثر ذلك المِخْيَط [3] في صدره [4] .

● **الحكمة تتمثل في الآتي :**

١- تعد هذه الحادثة من إرهاصات النبوة ، ودلائل اختيار الله إياه لأمر جليل .

٢- إعلان أمر الرسول ﷺ وتهيئته للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ، ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته .

وخبر حادثة شق الصدر ثابت بالأحاديث الصحيحة ، فيجب الإيمان به ، ولا يجوز التشكيك فيه ، أو تأويله بمعنى مجازي غير مقصود ؛ إذ الخبر على ظاهره .

٦- (١٦) اذكر العبر والعظات والمبادئ المستفادة من نسب النبي ﷺ وولادته ورضاعته ؟ ثم اشرح إحداها بالتفصيل ؟

الجواب : ما سبق ذكره في أجوبة الأسئلة الأربعة السابقة مع شرح واحدة فقط

---

(١) ظئره : مرضعته . (٢) مُنتقع اللون : متغير اللون . (٣) المخيط : الإبرة .

(٤) صحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ٧٤ (الإسراء برسول الله ﷺ ...) ١٤٧/١ (٢٦٢) .

٢- رحلته الأولى إلى الشام ثم كدحه في سبيل الرزق

١- (١٧) اذكر ما تعرفه عن قصة (بحيرا) ؟ وما تدل عليه ؟ واذكر الأدلة الأخرى التي تدل على ما دلت عليه قصة (بحيرا) ؟

● **قصة بيرحا** : لما تم له ﷺ اثنتا عشرة سنة ، سافر عمه أبو طالب إلى الشام في ركب للتجارة ، فأخذه معه . ولما نزل الركب "بصرى" مروا على راهب هناك يقال له (بحيرا) وكان عليمًا بالإنجيل ، خبيرًا بشؤون النصرانية . وهناك أبصر بحيرا النبي ﷺ فجعل يتأمله ويكلمه ، ثم التفت إلى أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ . فقال : ابني (وكان أبو طالب يدعوه بابنه لشدة محبته وشفقته عليه) . فقال له بحيرا : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون أبو هذا الغلام حيًا . فقال : هو ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ . قال : مات وأمه حبلى به . قال بحيرا : صدقت . فارجع به إلى بلده ، واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه هنا ليبلغنه شرًا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم . فأسرع به أبو طالب عائدًا إلى مكة [١] .

● **ما تدل عليه قصة بحيرا** : يدل حديث بحيرا على أن أهل الكتاب يهودًا ونصارى كانوا علىعلم ببعثة النبي ﷺ ، وعلاماته ، وأوصافه بواسطة التوراة والإنجيل .

● **الأدلة الأخرى :**

١- إن اليهود كانوا يستفتحون (أي يستنصرون) علىالأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ويقولون : إن نبيًا سيبعث قريبًا سنتبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم . ولما نكثوا عهدهم أنزل الله في ذلك قوله : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند ا لله مصدق لما معهم وكانوامن قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه ا لله على الكافرين** ﴾ [٢] .

---

(١) باختصار عن سيرة ابن هشام ١٩٦/١ وما بعدها . ورواه الطبري في تاريخه ٢٨٧/٢ . ورواه البيهقي في سننه ، وأبو نعيم في الحلية . وانفرد به الترمذي مطولاً علىنحو آخر وقال : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه) سنن الترمذي . ك ٥٠ (المناقب) ب ٣ (ماجاء في بدء نبوة النبي ﷺ) ٥/٥٥٠ ، ٥٥١ (٣٦٢٠) . (٢) البقرة / ٨٩ .

٢- ما رواه القرطبي وغيره أنه لما نزل : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ [(١)] .

سأل عمر بن الخطاب عبد الله بن سلام (وقد كان كتابيًا فأسلم) أتعرف محمدًا ﷺ كما تعرف ابنك ؟ فقال : نعم وأكثر . بعث الله أمينه في السماء إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته . أما ابني فلا أدري ما الذي قد كان من أمه .

٣- لقد كان سبب إسلام سلمان الفارسي تتبع خبر النبي ﷺ وصفاته من الإنجيل والرهبان وعلماء أهل الكتاب .

٢- (١٨) إن إقبال النبي ﷺ على رعي الغنم لقصد اكتساب القوت والرزق فيه ثلاث دلالات هامة ، بيِّنها ؟

١- الذوق الرفيع ، والإحساس الدقيق ، والأخلاق العالية للنبي ﷺ ، لرفع بعض مؤونة الإنفاق عن عمه - كافله - ، قدر المستطاع .

٢- بيان نوع الحياة التي يرتضيها الله لعباده ، والمتمثلة في السعي والكد من أجل الرزق ، فخير المال ما اكتسب بكد اليمين وعرق الجبين ، ولو شاء الله ليسر لنبيه ﷺ الرزق دون عمل ، ولكن اقتضت حكمته أن يعمل كما عمل إخوانه الأنبياء من قبل .

٣- إن صاحب أي دعوة لا قيمة لدعوته إن لم يعتمد في كسبه على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه ، وإن كان الأمر خلاف ذلك ؛ كأن يعتمد على عطايا الناس وسؤالهم وصدقاتهم وعلى الاستجداء ، فإن هذا سيعيقه أن يصدع بكلمة الحق في وجوه أصحاب المن والفضل عليه .

٣- (١٩) فيما قصه النبي ﷺ عن نفسه من خبر حفظ الله إياه من كل سوء منذ صغره وصدر شبابه حقيقتان . اذكر ما قصه ﷺ في ذلك ؟ ووضح الحقيقتين ؟

---

(١) البقرة / ١٤٦ .

● **ما قصه النبي ﷺ** : حفظ الله ﷻ رسوله ﷺ في شبابه من كل ما قد ينحرف إليه الشباب من مظاهر اللهو والعبث . قال ﷺ : (**ما هممت بشيء مما كانوا في الجاهلية يعملونه غير مرتين . كل ذلك يحول الله بيني وبينه . ثم ما هممت به حتى أكرمني الله بالرسالة . قلت ليلة للغلام الذي يرعى معي بأعلى مكة لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة ، وأسمر بها كما يسمر الشباب . فقال : افعل ، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفًا فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : عرس ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذني . فنمت فما أيقظني إلا حر الشمس ، فعدت إلى صاحبي ، فسألني فأخبرته ، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة فأصابني مثل أول ليلة ، ثم ما هممت بعده بسوء**) [1] .

● **يؤخذ من هذه القصة حقيقتان :**

الحقيقة الأولى : إن النبي ﷺ كان متمتعًا بخصائص البشرية كلها ، ويشعر بمختلف الميولات الفطرية ، ويحس بمعنى السمر واللهو كغيره .

الحقيقة الثانية : إن الله ﷻ قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف ، وعن كل ما لا يتفق مع مقتضيات الدعوة التي هيأه لها ، رغم عدم الوحي والشريعة .

وفي اجتماع هاتين الحقيقتين دليل واضح على عناية الله به وحفظه وإعداده للنبوة التي تقتضي حفظه من كل ما يقدح في مقام النبوة ولا يصلح معها .

---

(١) رواه ابن الأثير . ورواه الحاكم عن علي بن أبي طالب ٤/٢٤٥ وقال : "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" . ورواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر .

٣- تجارته بمال خديجة وزواجه منها

١- (٢٠) اذكر قصة تجارة النبي ﷺ بمال خديجة وزواجه منها ؟

● **تجارته ﷺ بمال خديجة** : كانت خديجة - كما يروي ابن الأثير وابن هشا - امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق ، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجرًا وتعطيه أفضل ما كـ ت تعطي غيره ، ومعه غلامها ميسرة . وقد قبل محمد ﷺ هذا العرض ، فرحل ى الشام عاملاً في مالها ومعه ميسرة . فحالفه التوفيق في هذه الرحلة أكثر ن غيرها ، وعاد إلى خديجة بأرباح مضاعفة ، فأدى لها ما عليه في أمانة تامة ونـل عظيم . ووجد ميسرة من خصائص النبي ﷺ وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه دهشة لـ ، وإعجابًا به ، فروى ذلك لخديجة .

● **زواجه ﷺ بخديجة** : أعجبت خديجة بعظيم أمانته ، ولعلها دُهشت لما نالها ن البركة بسببه ، فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها (نفيسة بنت منيـ) ، فوافق النبي ﷺ ، وكلم في ذلك أعمامه ، فخطبوها له من عمها عمرو ابن أسد . وتزوجها ﷺ ، وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عامًا ولها من العمر أربعو . .

وقد كانت تزوجت خديجة قبل زواجها من رسول الله ﷺ برجلين الاول منهما عتيق بن عائذ التميمي ، ثم خلفه عليها أبو هالة التميمي واسمه هند ن زرارة [1] .

٢- (٢١) اذكر بالأدلة فضل خديجة رضي ا لله عنها ؟

أما فضلها ومنزلتها في حياة النبي ﷺ فلقد ظلت لخديجة مكانة سامية د

---

(١) رواه ابن سيد الناس في (عيون الأثر) وابن حجر في (الإصابة) وقتادة وابن إسـ ق . راجع سيرة ابن هشام ١/٢٠٤ وما بعدها .

الإطلاق . قال ﷺ : (**خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بن خويلد**) [1] .

وروى البخاري ومسلم أيضًا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة . وإني لم أدركها . قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : (**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**) قالت : فأغضبته يومًا فقلت : خديجة ؟ . فقال رسول الله ﷺ : (**إني قد رزقت حبها**) [2] .

وروى أحمد والطبراني من طريق مسروق عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة ، فيحسن الثناء عليها . فذكرها يومًا من الأيام ، فأخذتني العبرة فقلت : هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها ؟ فغضب ثم قال : (**لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها : آمنت إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء**) .

٣- (٢٢) بين العبر والعظات المستفادة من زواج النبي ﷺ بخديجة رضي الله عنها ؟

أولاً : عدم اهتمام الرسول ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها للأدلة الآتية :

١- لو كان مهتمًا بذلك كبقية أقرانه لتزوج ممن تصغره سنًا أو تماثله على أقل تقدير ، ولتزوج من بكر وليس من أيم تزوجت مرتين . وإنما تزوجها لشرفها ونبلها حتى أنها كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ب (تزويج النبي ﷺ بخديجة وفضلها رضي الله عنها) ١٠٥/٧ . وصحيح مسلم . ك ٤٤ (فضائل الصحابة) ب ١٢ (فضائل خديجة أم المؤمنين ...) ١٨٨٦/٤ (٢٤٣٠) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ب (تزويج النبي ﷺ بخديجة وفضلها رضي الله عنها) ١٠٧/٧ ، ١٠٨ . وصحيح مسلم (واللفظ له) . ك ٤٤ (فضائل الصحابة) ب ١٢ (فضائل خديجة أم المؤمنين ...) ١٨٨٨/٤ (٢٤٣٥) .

٢- إن زواجه استمر حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين سنة ، وقد ناهز النبي ﷺ الخمسين من العمر دون أن يتزوج بأيِّ امرأة أو فتاة أخرى ، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء ، والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية .

ثانيًا : في زواجه من خديجة رد على المستشرقين الذين يتهمون النبي ﷺ بـه رجل شهواني لتعدد زواجه ، وذلك من عدة وجوه :

١- ما سبق ذكره في النقطة الماضية ما يدل على أنه ليس رجلاً شهوانيًا .

٢- ولأنه ﷺ عاش إلى الخامسة والعشرين من العمر في بيئة العرب في جاهليتها دون أن ينساق إلىالانحراف وإلى الجنس .

٣- كان لكل زواج بعد ذلك من أمهات المؤمنين قصة خاصَّة ، ولكل زواج حكمة وسبب يزيدان من إيمان المسلم بعظم محمد ﷺ ورفعه شأنه وكمال أخلاقه . وأيًا ما كانت الحكمة والسبب فإنه لا يمكن أن يكون مجرد قضاء الوطر واستجابة الرغبة الجنسية . إذ لو كان كذلك لكان أحرى به أن يستجيب للوطر والرغبة النفسية في الوقت الطبيعي لها ، خصوصًا أنه كان خالي الفكر ، ليس له من هموم الدعوة ومشاغلها ما يصرفه عن حاجاته الفطرية والطبيعية .

٤- اشتراكه ﷺ في بناء الكعبة

١- (٢٣) اذكر ما تعرفه عن أهمية الكعبة ؟

١- إن الذي باشر تأسيسها وبناءها هو إبراهيم خليل الله عليه السلام بأمر من الله ، وساعده في ذلك ابنه إسماعيل عليه السلام قال تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل** ﴾ (١) .

٢- إنها أول بيت ومسجد لعبادة الله في الأرض ، قال تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدى للعالمين** ﴾ (٢) .

٣- إنها رمز توحيد الله وعبادته وحده ، وتعبيرًا عن الدين الصحيح ، وعن بطلان الشرك .

٤- إنها تمثل رابطة للمؤمنين علىمختلف أقطارهم وألوانهم ولغاتهم يتعارفون فيها ، ومثابة يؤوبون إليها ، وشعارًا يجسد وحدتهم . قال تعالى : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ (٣) .

٥- إنه مقرون بها أشرف العبادات ، وهي الحج والعمرة .

٦- إن الصلاة فيها تضاعف إلى مائة ألف ضعف .

٢- (٢٤) بين أهم ما تعاقب على الكعبة من الهدم والبناء ؟

بنيت الكعبة خلال الدهر كله أربع مرات بيقين ، ووقع الخلاف والشك فيما قبل هذه المرات الأربع وبعدها . والمرات الأربع هي كما يلي :

١- بناها إبراهيم بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام بأمر من الله ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ (٤) ، ولما رواه البخاري عن ابن عباس ، وجاء فيه : (... **قال - أي إبراهيم - : يا إسماعيل . إن ا لله أمرني بأمر . قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال :**

---

(١) البقرة . من الآية / ١٢٧ . (٢) آل عمران / ٩٦ .

(٣) البقرة . من الآية / ١٢٥ . (٤) البقرة / ١٢٧ .

وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن ا لله أمرني أن أبني ههنا بيتًا . وأشـار إلى أكـ ـة مرتفعة على ما حولها . فعند ذلك رفعا القواعد من البيت . فجعل إسماعيل يـ ني بالحجارة وإبراهيم يبني ...) [1] .

٢- بنتها قريش قبل الإسلام واشترك في بنائها النبي ﷺ . وفي ذلك قال : (**يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه ، وألزقته بالأرض ، وجعلت له بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا ، فبلغت به أسـ س إبراهيم)** [2] .

٣- بناها عبد الله بن الزبير على ما وصف النبي ﷺ في الحديث السابق ، وذ ك بعد ما احترقت وتهدمت عندما ضربت بالمنجنيق على يد جيش الشام بقيـ ادة الحصين بن نمير السكوني في آخر سنة ست وثلاثين بأمر من يزيد بن أبي سفيا ، .

٤- بعد مقتل ابن الزبير نقضها الحجاج وبناها على ما كانت عليه قبل عبد الله ـن الزبير ، وأبقى على ما زيد في طولها ، وذلك بأمر عبد الملك بن مروان .

وأما المرة الخامسة فقد وردت آثار وأحاديث لا تخلو من ضعـ ف ونكارة إلى أن أول من بناها هو آدم عليه السلام بمساعدة زوجته حواء عن أمر الل ، . وهذه نكل علمها إلى الله ؛ لأنه لم تثبت فيها أحاديث صحيحة .

٣- (٢٥) على أي شيء يدل حل النبي ﷺ مشكلة تنافس قبائل قريش لـ ـل شرف وضع الحجر الأسود مكانه ؟

١- يدل على مدى حكمة النبي ﷺ في تدبير الأمور ، وسياسة القضايا ، وقـ ـع دابر الخصومات ، فبعد أن كادت الحرب تنشب بين القرشيين ، واستعدوا لها حـ ـى إن بني عبد الدار قربت جفنة مملوءة دمًا ، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على المـ ـت

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك (أحاديث الأنبياء) ب (قوله تعالى : ﴿ واتخذ ا لله إبر هيم خليلاً ﴾) ٦/٣١٣ .

(٢) صحيح البخاري . واللفظ له . وصحيح مسلم . ك ١٥ (الحج) ب ٦٩ (نقض الـ ـعبة وبنائها) ١/٩٦٩ ، ٩٧٠ (١٣٣٣) .

وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم . ومكثت قريش أربع ليالٍ أو خمسًا لا تهتدي لحلٍ حتى سخر الله لهم نبيه ﷺ .

وهذه المزية نحيلها على الأساس الأول في تكوينه ﷺ أنه رسول ونبي ، ثم تأتي بعد ذلك المزايا الأخرى كلها من عبقرية ودهاء وذكاء مبنية على هذا الأساس ولاحقة به .

٢- مدى سمو منزلته بين رجال قريش على اختلاف درجاتهم وطبقاتهم . فكانوا يصدقونه ، ويؤمّنونه ، ويحبونه ، ويستشيرونه ، ويستعينون به ، ويعتمدون عليه ، ولذلك وافقوا وأجمعوا على قبول حله في مشكلة الحجر الأسود .

٥- اختلاؤه في غار حراء

١- (٢٦) اذكر ما تعرفه عن اختلائه ﷺ في غار حراء ؟

لمّا أخذت سنّه ﷺ تدنو نحو الأربعين ، نشأ لديه حب للعزلة بين الفترة والأخرى ، وحبب الله إليه الاختلاء في غار حراء - وحراء جبل يقع في جانب الشمال الغربي من مكة - فكان يخلو فيه ، ويتعبد فيه الليالي ذوات العدد ، فتارة عشرة ، وتارة أكثر من ذلك إلى الشهر ، ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه إلا قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى ويعود الكرة إلى غار حراء ، وهكذا إلى أن جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته تلك .

٢- (٢٧) ما هي العبر والعظات المستفادة من اختلاء النبي ﷺ في غار حراء ؟

٣- (...) إن لخلوة النبي ﷺ في غار حراء دلالة عظيمة ومهمة في حياة المسلمين عامةً والداعين إلى الله خاصةً . وضح ذلك .

١- إن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحليًا بالفضائل قائمًا بألوان العبادات ، حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس ويراقب الله تعالى ، ويفكر في مظاهر الكون ، ودلائل ذلك على عظمة الله .

والحكمة في ذلك : علاج أمراض النفس والقضاء على آفاتها كالكبر والعجب والحسد والرياء وحب الدنيا بدواء الخلوة مع النفس ؛ ليتأمل في حقيقتها ومُنشئها ، وحاجته إلى عناية الله تعالى وتوفيقه في التخلص منها ، وليتأمل في الناس ومدى ضعفهم أمام الخالق ﷻ وفي عدم أي فائدة لمدحهم أو قدحهم ، ثم ليتفكر في مظاهر عظمة الله وفي اليوم الآخر وفي الحساب وطوله ، وفي سعة رحمة الله تعالى وعظيم عقابه . فالتأمل والتفكير الطويل في هذه المور يؤدي إلى علاج أمراض النفس وتلاشي آفاتها .

٢- تربية محبة الله ﷻ في القلب ، وهذه لا تأتي بمجرد الإيمان العقلي به فقط ، وإنما الوسيلة لذلك تكون بأمرين (أولهما) كثرة التفكير في آلائه ونعمه ، والتأمل في مدى جلاله وعظمته . (وثانيهما) الإكثار من ذكره سبحانه بالقلب واللسان . وإنما يتم ذلك بالخلوة والاعتكاف .

ومحبة الله سلاح يتسلح به الداعية إلى الله تجعله يستصغر كل عظيم ، ويحتقر كل مغرية ، ويستهين بكل إيذاء وعذاب ، ويستعلي فوق كل إذلال أو استهزاء ، وهذا ما سلح الله به نبيه ﷺ .

والدوافع الوجدانية في القلب من خوف ومحبة ورجاء تفعل ما لا يفعله الفهم العقلي المجرد ، ووسائل تحقيقها مما أجمع المسلمون على ضرورته ، وقد سماه الجمهور بالتصوف ، وابن تيمية بالسلوك ، وأطلق عليه بعض العلماء لفظ الإحسان .

٤- (٢٨) كيف ترد على من فهم معنى الخلوة بالانصراف الكلي عن الناس ، واتخاذ الكهوف والجبال موطنًا ، واعتبار ذلك فضيلة بحد ذاتها ؟

هذا فهم شاذ لمعنى الخلوة ، مخالف لهديه ﷺ وما كان عليه عامة أصحابه ، إنما المراد هو استحباب اتخاذ الخلوة دواءً لإصلاح الحال ، ولا ينبغي أن يؤخذ إلا بقدر وعند اللزوم ، وإلا انقلب إلى داء ينبغي التوقي منه . ومن فعل ذلك من الصالحين فمردّه إلى حالة خاصةٍ به ، وليس عمله حجةً على الناس . ومن المعلوم من الدين بالضرورة أنه لا رهبانية في الإسلام .

٦- بدء الوحي

١- (٢٩) اذكر ما تعرفه عن بدء الوحي ؟

روى الإمام البخاري عن السيدة عائشة تصف كيفية بدء الوحي وتقول :

(أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم . فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : (ما أنا بقارئ) قال : (فأخذني فغطني [١] حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني) فقال : اقرأ ، قلت : (ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : (ما أنا بقارئ) ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق O خلق الإنسان من علق O اقرأ وربك الأكرم ﴾ [٢] ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده . فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال : (زملوني [٣] زملوني) فزملوه حتى ذهب عنه الروع [٤] ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : (لقد خشيت على نفسي) ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل [٥] وتكسب المعدوم [٦] وتقري الضيف [٧] وتعين على نوائب الحق [٨] ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة :

---

(١) فغطني : أي فضمني وعصرني . (٢) العلق / ١ – ٣ .

(٣) زملوني : أي لفوني وغطوني . (٤) الروع : الفزع .

(٥) تحمل الكل : الكل هو من لا يستقل بأمره كما قال تعالى : ﴿ وهو كلٌّ على مولاه ﴾ النحل . من الآية / ٧٦ . (٦) تكسب المعدوم : تعاون الفقير . (٧) تقري الضيف : تكرم الضيف . (٨) تعين على نواب الحق : "كلمة جامعة لأفراد ما تقدم ولما لم يتقدم . انظر معنى المفردات السابقة في فتح الباري . لابن حجر ١٩/١ وما بعدها .

هذا الناموس [1] الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعًا [2] ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : (أو مخرجي هم ؟) قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلى عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا . ثم لم ينشب [3] ورقة أن توفي وفتر الوحي [4] .

واختلف في الزمان الذي فتر فيه الوحي فقيل ثلاث سنوات ، وقيل أقل من ذلك ، والراجح ما رواه البيهقي من أن المدة كانت ستة أشهر [5] . ثم روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه : (بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء ، فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني زملوني فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر ﴾ [6] إلى قوله : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ [7] ، فحمي الوحي وتتابع [8] .

٢- (٣٠) لماذا يشكك المستشرقون بظاهرة الوحي ؟ وما هي تأويلاتهم لها ؟

● شكك المستشرقون بالوحي لأنه الأساس الذي يترتب عليه جميع حقائق الدين بعقائده وتشريعاته ، فالوحي هو الذي يدل على أن ما جاء به النبي ﷺ هو من عند الله ، وليس من عند نفسه ، لذلك بذل المستشرقون جهدًا فكريًا شاقًا في تكلف وتمحل من أجل التلبيس في حقيقة الوحي والخلط بينه وبين الإلهام . وبين حديث النفس . بل وحتى الصرع أيضًا من أجل التمهيد لفكرة أن كل ما جاء به النبي ﷺ ليس إلا من تفكيره الذاتي .

● للمستشرقين تأويلات عديدة للوحي واختلافها يدل على بطلانها وهي :

---

(١) الناموس : أي جبريل عليه السلام ، والناموس هو : صاحب السر .

(٢) جذعًا : الجذع : هو الصغير من البهائم والمراد : شابًا .

(٣) ينشب : يلبث . انظر : معنى المفردات السابقة في فتح الباري . لابن حجر ١/٢١ - ٢٢ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح (كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) ١/١٨-٢٢

(٥) راجع فتح الباري . لابن حجر ١/٢١ . (٦) المدثر / ١ ، ٢ .

(٧) المدثر / ٥ . (٨) صحيح البخاري مع الفتح (كيف كان بدء الوحي ...) ١/٢٢ .

١- إن ما جاء به محمد ﷺ ناتج عن تفكيره المستمر الطويل .
٢- إنه تعلم القرآن ومبادئ الإسلام من بحيرا الراهب .
٣- إنه كان رجلاً عصبيًا أو مصابًا بداء الصرع .

٣- (٣١) بين الحكمة الإلهية الباهرة من بدء نزول الوحي على النبي ﷺ بتلك الطريقة التي نزل بها ؟

[هذه الحكمة تظهر واضحة من خلال الإجابة على الأسئلة الأربعة التالية]

٤- (٣٢) لماذا رأى النبي ﷺ جبريل بعينه بدلاً من الوحي إليه من وراء حجاب ؟

حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمرًا ذاتيًا داخليًا مرده إلى حديث النفس المجرد ، وإنما هي استقبال وتلقٍّ لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس وداخل الذات . وضم الملك إياه ، ثم إرساله ثلاث مرات قائلاً في كل مرة ﴿ اقرأ ﴾ يعتبر تأكيدًا لهذا التلقي الخارجي ، ومبالغة في نفي ما قد يتصور من أن الأمر لا يعدو كونه خيالاً داخليًا فقط .

إذًا هي تأكيدات ثلاثة : رأي العين ، وسمع الأذن ، ولمس بالضم .

٥- (٣٣) لماذا قذف الله في قلب حبيبة ﷺ الرعب من الوحي والحيرة في فهم حقيقته بدلاً من السكينة والربط على قلبه ؟

لكي يتضح لكل مفكر عاقل أن رسول الله ﷺ لم يكن متشوقًا للرسالة التي سيدعى إلى حملها وبثها في العالم . وإن ظاهرة الوحي هذه لم تأت منسجمة أو متممة لشيء مما قد يتصوره أو يخطر في باله . وإنما طرأت طروءًا مثيرًا على حياته ، وفوجئ بها دون أي توقع سابق .

ثم إن شيئًا من حالات الإلهام أو حديث النفس أو الإشراق الروحي أو التأملات العلوية ، لا يستدعي الخوف والرعب وامتقاع اللون . وليس ثمة أي انسجام بين التدرج في التفكير والتأمل من ناحية ، ومفاجئة الخوف والرعب من

ناحية أخرى ، وإلا لاقتضى أن يعيش عامة المفكرين والمتأملين نهبًا لدفعات من الرعب والخوف المفاجئة المتلاحقة . كذلك فإن الخوف والرعب ورجفان الجسم وتغير اللون كل ذلك من الانفعالات القسرية التي لا سبيل إلى اصطناعها وتمثيله .

٦- (٣٤) لماذا خشي النبي ﷺ أن الذي أتاه في غار حراء جنيٌّ وليس ملكًا ؟ ولماذا لم يطمئنه الله في قلبه بأن الذي أتاه ملك ؟ وكيف تأكد أنه ملك ؟

- **سبب خشيته :** لأنه لم يتوقع بحال أن ينزل عليه ملك من السماء من قبل الله تعالى ، ولم يخطر هذا بباله قبل ذلك .
- **لم يطمئنه الله :** لإظهار الانفصام التام بين شخصية محمد ﷺ قبل البعثة وشخصيته بعدها ، وبيان أن شيئًا من أركان العقيدة الإسلامية أو التشريع الإسلامي لم يطبخ في ذهن الرسول -ﷺ- سابقًا ، ولم يتصور الدعوة إليه سلفًا .
- **تأكده أنه ملك :** ثم إن فيما ألهم الله به خديجة من الذهاب به ﷺ إلى ورقة بن نوفل تأكيدًا له أن الذي أتاه هو الوحي الإلهي الذي أتى الأنبياء من قبله ، ولتزول عنه كل التصورات المختلفة عما رآه وسمعه .

٧- (٣٥) اذكر ما تعرفه من انقطاع الوحي عن النبي ﷺ ؟ ولماذا جزع من هذا الانقطاع ؟ وما الحكمة منه ؟

- **انقطع الوحي :** عن النبي ﷺ بعد أن رآه أول مرة في غار حراء ستة أشهر ، فضاقت عليه الدنيا وراحت تحدثه نفسه كلما وصل إلى ذروة جبل أن يلقي بنفسه منها ، إلى أن رأى ذات يوم الملك الذي رآه في حراء وقد ملأت هيئته ما بين السماء والأرض يقول : يا محمد أنت رسول الله إلى الناس . فعاد مرة أخرى وقد استبد به الخوف والرعب إلى البيت وراح يقول : (**دثروني دثروني**) فنزل قوله تعالى : **﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾** [1] .

---

(١) المدثر / ١ ، ٢ .

● **جزع من انقطاع الوحي عنه** : خشية أن يكون الله تعالى قد قلاه وجفاه بعد أن أراد أن يشرفه بالوحي والرسالة .

● **الحكمة** : ليتبين لكل ذي لب أن الذي كان يأتي النبي ﷺ وحيٌ من الله ، وفي هذا أبلغ الرد على ما يفسر به محترفو الغزو الفكري الوحي النبوي من أنه الإشراق النفسي المنبعث لديه من طول التأمل والتكرار ، وأنه أمر داخلي منبعث من ذاته نفسه . فهذه الحالة التي مر بها النبي ﷺ تجعل مجرد التفكير في كون الوحي إلهامًا نفسيًا ضربًا من الجنون ؛ إذ من البداهة بمكان أن صاحب الإلهامات النفسية والتأملات الفكرية لا يمر إلهامه أو تأمله بمثل هذه الأحوال .

٨- (٣٦) لماذا كان ينزل الوحي عليه ﷺ وهو بين أصحابه فيراه وحده دونهم ؟

لأنه ليس من شرط وجود الموجودات أن تُرى بالأبصار ؛ إذ إن وسلية الإبصار فينا محدودة بحدّ معين . وإلا لاقتضى دلك أن يصبح الشيء معدومًا إذا ابتعد عن البصر بعدًا يمنع رؤيته . على أن من اليسير على الله أن يزيد في قوة ما شاء منها فترى ما لا تراه العيون الأخرى . فمثلا : العين المصابة بعمى الألوان لا ترى بعض الألوان بينما تراها العيون المعافاة من هذا المرض ، وهنالك أيضًا مجموعة من الإشعاعات الضوئية دون الضوء الأحمر وفوق الضوء البنفسجي لا تراها أعيننا ، ولا شيء يثبت علميًا أنها كذلك بالنسبة لجميع العيون فقد تراها عيون بعض المخلوقات .

٩- (٣٧) إن استمرار الوحي يدل على أنه حقيقة ، وليس ظاهرة نفسية محضة للنبي ﷺ . وضح هذه الدلالة ؟

نستطيع أن نجمل هذه الدلالة فيما يلي :

١- التمييز الواضح بين القرآن والحديث . إذ كان يأمر بتسجيل القرآن فورًا . على حين يكتفي بأن يستودع الحديث ذاكرة أصحابه . لا لأن الحديث كلام من عنده لا علاقة للنبوة به . بل لأن القرآن موحى به إليه بنفس اللفظ والحروف بواسطة

جبريل عليه السلام . أما الحديث فمعناه وحي من الله عز وجل . ولكن لفظه وتركيبه من عنده ﷺ . فكان يحاذر أن يختلط كلام الله عز وجل الذي يتلقاه من جبريل بكلامه هو .

٢- كان النبي ﷺ يُسأل عن بعض الأمور . فلا يجيب عليها . وربما مرّ على سكوته زمن طويل . حتى إذا نزلت آية من القرآن في شأن ذلك السؤال . طلب السائل وتلا عليه ما نزل من القرآن في شأن سؤاله . وربما تصرف الرسول في بعض الأمور على وجه معين . فتنزل آيات من القرآن تصرفه عن ذلك الوجه . وربما انطوت على عتب أو لوم له .

٣- كان رسول الله ﷺ أميًا .. وليس من الممكن أن يعلم إنسان بواسطة المكاشفة النفسية حقائق تاريخية ، كقصة يوسف .. وأم موسى حينما ألقت وليدها في اليم .. وقصة فرعون .. ولقد كان هذا من جملة الحكم في كونه ﷺ أميًا ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذًا لارتاب المبطلون** ﴾ [1] .

٤- إن صدق النبي ﷺ أربعين سنة مع قومه واشتهاره فيهم بذلك . يستدعي أن يكون ﷺ من قبل ذلك صادقًا مع نفسه . ولذا فلابد أن يكون قد قضى في دراسته لظاهرة الوحي على أي شك يخايل لعينيه أو فكره .

وكأن هذه الآية جاءت ردًا لدراسته الأولى لشأن نفسه مع الوحي : ﴿ **فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك قد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين** ﴾ [2] .

ولذا روي أن النبي ﷺ قال بعد نزول هذه الآية : (**لا أشك ولا أسأل**) [3] .

---

(١) العنكبوت / ٤٨ .

(٢) يونس / ٩٤ .

(٣) رواه الطبري بسنده عن قتادة . جامع البيان ١١/١٦٨ .

(القسم الثالث)

(من البعثة إلي الهجرة)

١- مراحل الدعوة الإسلامية
٢- الدعوة سرًا
٣- الجهر بالدعوة
٤- الإيذاء
٥- سياسة المفاوضات
٦- الحصار الاقتصادي
٧- أول هجرة في الإسلام
٨- أول وفد إلى رسول الله ﷺ
٩- عام الحزن
١٠- هجرة الرسول إلى الطائف
١١- معجزة الإسراء والمعراج
١٢- عرض الرسول نفسه على القبائل وبدء إسلام الأنصار
١٣- بيعة العقبة الأولى
١٤- بيعة العقبة الثانية
١٥- كلمة عن الجهاد ومشروعيته
١٦- إذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة
١٧- هجرة الرسول ﷺ
١٨- قدوم قباء
١٩- صورة عن مقام النبي ﷺ في بيت أبي أيوب

١- مراحل الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ

١- (٣٨) اذكر المراحل التي مرت بها الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ منذ بعثه إلى وفاته ؟

المرحلة الأولى : الدعوة سرًا ، واستمرت ثلاث سنوات .

المرحلة الثانية : الدعوة جهرًا . وباللسان فقط . واستمرت إلى الهجرة . وقدرها عشر سنوات .

المرحلة الثالثة : الدعوة جهرًا مع قتال المعتدين والبادئين بالقتال أو الشر . واستمرت هذه المرحلة إلى عام صلح الحديبية .

المرحلة الرابعة : الدعوة جهرًا مع قتال كل من وقف في سبيل الدعوة أو امتنع عن الدخول في الإسلام – بعد فترة الدعوة والإعلام – من المشركين أو الملاحدة أو الوثنيين ، وكانت هذه المرحلة هي التي استقر عليها أمر الشريعة الإسلامية وقام عليها حكم الجهاد في الإسلام .

٢- الدعوة سرًا

١- (٣٩) تحدث عن وجه السرية في بدء دعوة الرسول ﷺ ؟

٢- (...) ألهم الله تعالى نبيه ﷺ أن يبدأ الدعوة سرًا . فماذا يستفاد من ذلك ؟

إن تكتم النبي ﷺ في دعوته للإسلام خلال السنوات الثلاثة الأولى لم يكن عن خوف على نفسه ؛ لأنه يعلم أن الله عاصمه من الناس ، وإنما عن إلهام ، والإلهام من الله نوع من الوحي ، و يستفاد من ذلك ما يلي :

١- تعليم الدعاة وإرشادهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة ، واستخدام الوسائل المشروعة للوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها ، ولكن مع التوكل على الله لا على الأسباب .

٢- يجوز للدعاة في كل عصر استعمال المرونة في كيفية الدعوة من حيث التكتم

والجهر ، أو اللين والقوة حسب ظرفهم وحال عصرهم ضمن مراحل الدعوة الأربعة بما تقتضيه مصلحة المسلمين ومصلحة الدعوة الإسلامية .

لذلك أجمع جمهور الفقهاء على أنه ينبغي للمسلين أن ينهزموا إذا غلب على ظنهم أنه سيُقتلون دون أي نكاية في أعدائهم ، تقديمًا لمصلحة حفظ النفس ؛ لأن مصلحة حفظ الدين موهومة أو منفية الوقوع في هذه الحالة .

٣- والخلاصة : أنه يجب المسالمة أو الإسرار بالدعوة إذا كان الجهر أو القتال يضرّ بها . ولا يجوز الإسرار في الدعوة فقط إذا أمكن الجهر بها وكان مفيدًا . ولا يجوز المسالمة مع الظالمين والمتربصين بها إذا توفرت أسباب القوة والدفاع عنها . ولا يجوز القعود عن جهاد الكافرين في عقر دورهم إذا ما توفرت وسائل ذلك وأسبابه .

٣- (٤٠) من الأوائل الذين أسلموا ؟ ولماذا كان معظمهم من الفقراء والضعفاء والأرقاء ؟ وما الحكمة من إسراعهم إلى الإسلام قبل غيرهم (أو ما السر في أن تتأسس دولة الإسلام عليهم) ؟

● **الأوائل الذين أسلموا** : كانوا قريبًا من أربعين رجلاً وامرأة منهم : خديجة بنت خويلد ، وعلي بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة ، وأبو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، والأرقم بن أبي الأرقم ﷺ جميعًا .

● **كانوا من المستضعفين** : لأن هذه الظاهرة هي الثمرة الطبيعية لدعوة الأنبياء عليهم السلام في فترتها الأولى .

فمثلاً : قوم نوح كانوا يعيرونه بأتباعه ، ويقولون : ﴿ **ما نراك إلا بشرًا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي** ﴾ [(١)] ، وقوم موسى كانوا مستضعفين مستعبدين لدى الفراعنة ، قال تعالى : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها** ﴾ [(٢)] .

---

(١) هود . من الآية / ٢٧ . (٢) الأعراف . من الآية / ١٣٧ .

● **الحكمة أو السر في ذلك** : أن حقيقة الإسلام تعني خروج الناس عن سلطان الناس وحكمهم إلى سلطان الله وحكمه وحده ، وهذه الحقيقة تناسب أولاً حال المستضعفين والمستذلين والمستعبدين ، فيكون رد فعلهم هو التعرف على هذا الدين والدخول فيه . وتصادم هذه الحقيقة ألوهية المتألهين وحاكمية المتحكمين وسطوة المتزعمين ، فيكون رد فعلهم هو معارضة هذا الدين ، ومحاولة القضاء عليه بشتى الوسائل والأساليب . وقصة ربعي بن عامر في جيش القادسية تدل على ذلك ، فعندما أخبر رستم أن بعضهم أرباب لبعض ، وأنهم يستعبد بعضهم بعضًا ، قال المستضعفون من الفرس : صدق العربي ، وقال القادة والرؤساء : لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه . وهذا الكلام لا يعني أن المستضعفين أسلموا لمجرد التخلص مما ابتلوا به ، ولكنْ أسلموا عن إيمان مبني على الاقتناع والتصديق ، ولذلك أثنى الله عليهم في القرآن .

٤- (٤١) كيف ترد على المستشرقين الذين يزعمون أن دعوة النبي من وحي بيئته العربية وتمثل حركة الفكر العربي إذ ذاك ؟

لو كانت كذلك لما كان رصيد الدعوة بعد سنوات ثلاث من بدايتها أربعين رجلاً وامرأة معظمهم من الفقراء والمستضعفين والموالي والأرقاء ، وفي مقدمتهم أخلاط من مختلف الأعاجم كصهيب الرومي وبلال الحبشي ، ثم إن هذه البيئة هي التي عادته ، واضطرت أصحابه إلى هجرتين للحبشة ، ثم اضطرته وأصحابه للهجرة إلى المدينة ، ثم حاربته وقاتلته كراهية لدعوته ، وهي التي ما لبثت أن ارتدت بعد موته إلا قليلاً .

٣- الجهر بالدعوة

١- (٤٢) اذكر ما تعرفه عن جهر النبي ﷺ بالدعوة ؟ وموقف قريش من ذلك ؟ ودلالته ؟

● **جهر النبي ﷺ بالدعوة** : بعد أن دعا النبي ﷺ سرًا ثلاث سنين أمر الله جل ثناؤه بالجهر بالدعوة فقال : ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [(١)] ، وقال : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [(٢)] .

روى مسلم والبخاري – واللفظ له – عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ صَعِدَ النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : (**يا بني فهر ! يا بني عدي !**) لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج ، أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال : (**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ**) قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا . قال : (**إنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) ، فقال أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ! فنزلت ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب ۝ ما أغنى عنه ماله وما كسب** ﴾ [(٣)]" [(٤)] .

ثم نزل الرسول ﷺ وجمع من حوله جميع ذويه وأهل قرابته وعشريته فقال : (**يا بني كعب بن لؤي ! أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني مرة بن كعب ! أنقذوا أنفسكم من النار . يا بني عبد شمس ! أنقذوا أنفسكم من النار . يا فاطمة ! أنقذي نفسك من النار . فإني لا أملك لكم من ا لله شيئًا . غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها** [(٥)]) [(٦)] .

---

(١) الحجر / ٩٤ . (٢) الشعراء / ٢١٤ ، ٢١٥ . (٣) المسد / ١ ، ٢ . (٤) صحيح البخاري مع الفتح . واللفظ له . ك (العلم) ب (وأنذر عشيرتك ...) ٤٠٧/٨ ، ٤٠٨ . وصحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ٨٩ (في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ١٩٤/١ (٢٠٨) . (٥) أي : سأصلها بصلتها . قال ابن الأثير : "أي أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من ا لله شيئًا" النهاية في غريب الحديث ١٥٣/١ . (٦) صحيح مسلم . واللفظ له . ك (الإيمان) ب ٨٩ (في قوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾) ١٩٢/١ (٢٠٤) . وصحيح البخاري مع الفتح . ك (العلم) ب (وأنذر عشيرتك ...) ٤٠٨/٨ .

● **موقف قريش من الجهر بالدعوة :** أدبرت قريش عن النبي ﷺ ، وتنكرت لدعوته بحجة عدم الاستطاعة على ترك دين الآباء وتقاليدهم .

ثم لما عابهم في ذلك ، وعاب آلهتهم ، وسفّه أحلامهم وأحلام آبائهم أجمع القرشيون خلافه وعدوانه إلا من عصم الله منهم بالإسلام ، وإلا عمه أبا طالب الذي حدب عليه ، ومنعه ، وقام دونه .

● **دلالة موقف قريش :** في موقف قريش هذا الرد الحاسم والدليل القاطع على من يحاولون تصوير هذا الدين بشرعته وأحكامه ثمرة من ثمار القومية ، ويدّعون أن النبي ﷺ إنما كان يمثل بدعوته آمال العرب ومطامحهم في ذلك الحين . فلو كان زعمهم هذا صادقًا لما وقفت قريش ذلك الموقف المعادي بعنف لدعوته ﷺ .

٢- (٤٣) ما الحكمة من خصوصية قول الله لنبيه ﷺ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ مع أنهم داخلون في عموم قوله له : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ؟

إن في هذا إلماحًا إلىدرجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم عمومًا ، وأصحاب الدعوة خصوصًا ، وتفصيل هذه الدرجات كما يلي :

الدرجة الأولى : وهي أدناها ، وهي درجة مسؤولية الشخص عن نفسه ، ولذلك طالت فترة ابتداء الوحي حتى يطمئن محمد ﷺ أنه نبي مرسل وأن الذي يأتيه وحيٌ من الله ، فيؤمن هو نفسه أولاً .

الدرجة الثانية : وهي مسؤولية كل مسلم صاحب أسرة أو قرابة عن أهله ومن يلوذون به من أقربائه ، إذ يجب عليه أن يبلغهم دعوة الله ، وأن يحملهم عليها حملاً ، ويلزمهم بها إلزامًا ، وقد أنذر النبي ﷺ عشريته استجابة لقوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ [١] .

الدرجة الثالثة : وهي مسؤولية العالم عن حيه أو بلدته ، وهو ينوب في ذلك عن النبي ﷺ لقوله : (**إن العلماء ورثة الأنبياء**) [٢] . ومسؤولية الحاكم عن دولته

---

(١) الشعراء / ٢١٤ . (٢) سنن أبي داود . ك (العلم) ب (الحث على طلب العلم) ٣١٧/٣ . وسنن الترمذي . ك ٤٢ (العلم) ب ١٩ (ما جاء في فضل الفقه على العبادة) ٤٧/٥ . وسنن ابن ماجة . (المقدمة) ب ١٧ (فضل العلماء والحث على طلب العلم ١ / ٨١ (٢٢٣) . وصححه ابن حبان (٨٠) . وهذه قطعة من حديث طويل .

وقومه وهو ينوب عن النبي ﷺ في ذلك باعتباره خليفته .

ويشترك مع النبي ﷺ في الأولى كل مكلف ، وفي الثانية كل صاحب أسرة ، وفي الثالثة العلماء والحكام .

٣- (٤٤) ما هو موقف الإسلام من التقاليد الموروثة ؟ وهل ينطوي الإسلام على ما يُسمى بالتقاليد ؟ وبيِّن خطر كلمة (التقاليد الإسلامية) ؟

● **موقف الإسلام من التقاليد** : إن الإسلام جاء حربًا على التقاليد الموروثة عن الآباء والأجداد والدخول في أسرها دون تفكر في مدى صلاحها وفسادها ، ولذلك عاب النبي ﷺ قومه في ذلك ودعاهم إلى تحرير عقولهم من أسر الاتباع الأعمى ، وعصبية التقاليد التي لا تقوم على شيء من أساس الفكر والمنطق .

● **الإسلام لا ينطوي على التقاليد** : إن موقف الإسلام يدل على أنه لا ينطوي على شيء مما يسمى بالتقاليد ، لأن كلمة (التقاليد) تعني : مجموع العادات الموروثة عن الآباء والأجداد والمعمول بها لمجرد التقليد . بينما الإسلام مبني في عقائده على العقل والمنطق ، ولذلك كان من أهم شروط صحة الإيمان بالله وما يتبعه من أمور اعتقادية أن يقوم على أساس من اليقين والفكر ، ومبني في أحكامه على أساس المصالح الدنيوية والأخروية لأتباعه ، وهي مصالح تدرك بالتفكير والتدبر الذاتي ، وإن قصَّر عن إدراكها فهم بعض العقول لبعض العوارض والأسباب .

● **خطر كلمة (التقاليد الإسلامية)** : إن هذه الكلمة تعني أن ما يتضمنه الإسلام من العبادات والأحكام التشريعية والأخلاق هي عادات قديمة موروثة عن الآباء والأجداد ، وليست مبدأ إلهيًا قائمًا على العقل والمنطق والتفكير ، وفيه سعادة الناس دنيا وآخرة .

ويترتب على ذلك أن يضيق الناس بهذا الميراث القديم ، ويحاولوا أن يتخلصوا منه ، خاصة في عصر التقدم والتطور والتحضر .

والواقع أن إطلاق هذا الشعار على الأحكام الإسلامية إنما هو حلقة في سلسلة حرب الإسلام بالشعارات الباطلة المدسوسة ، يراد منه إسدال ستار التقاليد والعادات على أحكامه لمحاربته والطعن فيه من هذه النقطة تمهيدًا للقضاء عليه .

٤- الإيذاء

١- (٤٢) اذكر بعض نماذج الأذى التي تعرض لها النبي ﷺ وأصحابه من المشركين ؟

ثم إن قريشًا اشتدت في معاداتها لرسول الله ﷺ واصحابه . أما رسول الله ﷺ ، فقد لاقى من إيذائهم أنواعًا كثيرة :

١- من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : بينما النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ قال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ [١] .

٢- ومنه ما روى عبد الله بن عمر قال : بينما النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور [٢] فقذفه على ظهر النبي ﷺ ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة فأخذته من ظهْره ودعت على من صنع [٣] .

٣- ومنه ما كانوا يواجهونه به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مر بهم في طرقاتهم أو نواديهم .

٤- ومنه ما رواه الطبري وابن إسحاق أن بعضهم عمد إلى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير في بعض سكك مكة ، وعاد إلى بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله يقول لها : (يا بنية لا تبكي ، فإن الله مانع أباك) [٤] .

٥- وأما أصحابه رضوان الله عليهم فقد تجرع كل منهم ألوانًا من العذاب ، حتى مات منهم من مات تحت العذاب وعمي من عمي ، ولم يثنهم ذلك عن دين الله شيئًا . ويطول البحث لو ذهبنا نسرد نماذج عن العذاب الذي لاقاه كل منهم . ولكننا ننقل هنا ما رواه الإمام البخاري عن خباب بن الأرت أنه قال : أتيت النبي

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ب (ما لاقى النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة) ١٣٣/٧ . (٢) سلا جزور : "السَّلى : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه" . النهاية . لابن الأثير ٣٩٦/٢ . (٣) صحيح البخاري مع الفتح ب (ما لاقى النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة) ١٣١/٧ . (٤) انظر تاريخ الطبري ٣٤٤/٢ . وسيرة ابن هشام ٤٤٢/٢ .

ﷺ وهو متوسد بردة [1] وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعو ا لله ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : (لقد كان من قبلكم ليمشط بِمَشَاطِ الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المِيشَارُ على مفرق رأسه ، فيُشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن ا لله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا ا لله) [2] .

٢- (٤٣) فيم هذا العذاب الذي لقيه النبي وأصحابه وهم على الحق ؟ ولماذا لم يعصمهم ا لله عز وجل منه وهم جنوده وفيهم رسوله يدعون إلى دينه ويجاهدون في سبيله ؟

٣- (...) إن ما يلاقيه الدعاة إلى ا لله تعالىوالمجاهدون في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي سنة إلهية في الكون منذ فجر التاريخ تقتضيها حكم ثلاث ، بينها ؟

أولاً : صفة العبودية : الملازمة للإنسان لله ﷻ لقوله : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [3] . وصفة العبودية تستلزم صفة التكليف .

ثانيًا : صفة التكليف المتفرعة عن صفة العبودية : فلا معنى للعبودية لله تعالى- إن لم يكن ثمة تكليف تمارس من خلاله العبودية ، وكل مكلف – وهو العاقل البالغ ذكر أو أنثى – مطالب بتحقيق شرعة الإسلام في نفسه وفي بيته وفي مجتمعه ، ومطالب بالدعوة إلى الإسلام والجهاد لإعلاء كلمة الله ، على أن يتحمل في سبيل ذلك كل ما يعترضه من الشدة والأذى حتى يتحقق معنى التكليف . ومن أجل ذلك كان واجب عباد الله في هذه الدنيا تحقيق أمرين اثنين : (أولهما) التمسك بالإسلام ، وإقامة المجتمع الإسلامية الصحيح (وثانيهما) سلوك السبل الشاقة إليه ، واقتحام المخاطر ، وبذل المهج والمال ، وتحمل الشدة والأذى من أجل تحقيق ذلك .

ثالثًا : إظهار صدق الصادقين وكذب الكاذبين : فلو ترك الناس لدعوى الإسلام ومحبة

---

(١) بردة : "البردة : الشملة المخططة" النهاية في غريب الحديث والأثر . لابن الأثير ١/١١٦ .
(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ب (ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة) ٧/١٣١ .
(٣) الذاريات / ٥٦ .

الله تعالى على ألسنتهم فقط ، لاستوى الصادق والكاذب ، ولكن الفتنة والابتلاء . ما الميزان الذي يميز الصادق عن الكاذب ؛ لقوله تعالى : ﴿ **ألم O أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون O ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾ (١) .

وإن كانت هذه هي سنة الله في عباده ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ، حتى مع أنبيائه وأصفيائه ، ولذلك أوذي النبي ﷺ وأصحابه ﷺ رغم عظيم فضلهم عند الله ، كما أوذي من قبل الأنبياء عليهم السلام وأصحابهم .

٤- (٤٤) ماذا تقول للمسلم الذي يتوهم اليأس بسبب ما يلاقيه من مشقة أو محنة في طريق الدعوة والجهاد . دلل على ما تقول ؟

● **أقول له** : إن كنت ترى في العذاب دلائل اليأس والقنوط من النصر فأنت متوهم ، بل الحق هو أن تجد في العذاب والألم سيرًا في الطريق ودنوًا من النصر ، أن هذا الابتلاء هو الدليل على سلوك الطريق الطبيعي الذي خطه الله بين المسلم والغاية التى أمره بالسير إليها ، أي أن المسلمين يقربون من الغاية بمقدار ما يجدونه في طريقها من عذاب ، وما يقدمونه من تضحيات ، وما يرتفع منهم من شهداء

● **يدل على ذلك** : قوله تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ (٢) .

وما رواه البخاري عن خباب بن الأرت أنه قال : أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : ألا تدعو الله ؟ فقعد وهو مُحمرّ وجهه ، فقال : (**لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع الميشار على مفرق رأسه ، فيُشق بإثنين ما يصرفه ذلك عن دينه . وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله**) (٣) .

---

(١) العنكبوت / ١ ، ٢ .   (٢) البقرة / ٢١٤ .   (٣) سبق تخريجه . ص / ٤٦

٥- سياسة المفاوضات

١- (٤٥) اذكر عروض قريش المختلفة على النبي ﷺ ليترك دعوته وموقفه منها ؟

● **عرض عتبة بن ربيعة :**

جاء في ما يرويه ابن هشام عن ابن إسحق أن عتبة بن ربيعة – وكان سيدًا ذا بصيرة ورأي في قومه – قال في نادي قريش ، يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيّها شاء ويكف عنا ؟ فقالوا بلى يا أبا الوليد : قم إليه فكلمه ، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم .. فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . فقال له رسول الله ﷺ : (قل يا أبا الوليد ، أسمع) .

قال : يا ابن أخي : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه .

فقال له رسول الله ﷺ : (أفرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم .. قال : (فاسمع مني) . ثم قال :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم O حم O تنزيل من الرحمن الرحيم O كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون O بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون O وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون O قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين ﴾ (١) .

ثم مضى رسول الله في القراءة وعتبة يسمع حتى وصل إلى قوله تعالى :

---

(١) فصلت / ١ – ٦ .

﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ [1] فأمسك عتبة بفيه وناشده الرحم أن يكف عن القراءة ، وذلك خوفًا مما تضمنته الآية من تهديد .

ثم عاد عتبة إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي اني سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط وا لله ما هو بالشعر ولا بالسحر لا بالكهانة . يا معشر قريش : أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوا لله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم .

قالوا : سحرك وا لله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم [2] .

● عرض الوليد بن المغيرة ومن معه :

وروى الطبري وابن كثير وغيرهما أن نفرًا من المشركين فيهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل جاؤوا فعرضوا على رسول ا لله ﷺ أن يعطوه من المال حتى يكون أغناهم وأن يزوجوه أجمل أبكارهم على أن يترك شتم آلهتهم وتسفيه عاداتهم ، فلما رفض إلا الدعوة إلى الحق الذي بعث به قالوا : فتعبد آلهتنا يومًا ونعبد إلهك يومًا . فرفض ذلك أيضًا ونزل تعليقًا على ذلك قوله تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون O لا أعبد ما تعبدون O ولا أنتم عابدون ما أعبد O ولا أنا عابد ما عبدتم O ولا أنتم عابدون ما أعبد O لكم دينكم ولي دين ﴾ [3] .

● عرض أشراف قريش :

ثم إن أشراف قريش عادوا فكرروا المحاولة التي قام بها عتبة بن ربيعة فذهبوا إليه مجتمعين ، وعرضوا عليه الزعامة والمال ، وعرضوا عليه الطب إن كان هذا الذي يأتيه رئيًا من الجان .

فقال لهم رسول ا لله ﷺ : (ما بي ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ، ولكن ا لله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتابًا وأمرني أن أكون بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي ، أصبر لأمر ا لله حتى يحكم ا لله بيني وبينكم) .

---

(١) فصلت / ١٣ . (٢) انظر : سيرة ابن هشام ١/٣٠٥، ٣٠٦ . (٣) الكافرون / ١ - ٦ .

فقالوا له : فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدًا ولا أقل ماء ولا أشد عيشًا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليفجر لنا أنهارًا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن بعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ؟ وليجعل لك جنانًا وقصورًا وكنوزًا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي .. فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

فقال لهم : (ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا) .

ثم إنهم قالوا له – بعد طول كلام وخصام – : إنا قد بلغنا انه إنما يعلمك هذا ، رجل في اليمامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا ، فقد أعذرنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا . ثم قاموا وانصرفوا عنه .

٢– (٤٦) وضح الدلالات المستفادة من رفض النبي ﷺ لعروض قريش من المال والشرف والملك مقابل التخلي عن دعوته ؟

● **الدلالة الأولى :** صفاء حقيقة الدعوة التي قام بها النبي ﷺ ، وأنها منزهة عن أي هدف أو غرض آخر بدليل أن المشركين عرضوا عليه ﷺ كل ما يملكونه من مغريات في مفاوضات طويلة استخدموا فيها أسلوب الترغيب تارة وأسلوب الترهيب تارة أخرى ، ليقول لهم أخيرًا : **(ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتابًا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا . فإن تقبلوا من ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عليّ ، أصبر لحكم الله حتى يحكم بيني وبينكم) .**

ثم إن معيشته الحياتية كانت مطابقة لكلامه هذا . فلم يُعرض عن الزعامة والملك بلسانه ، ليصل إليهما خلسة بسعيه وعمله ، بل كان بسيطًا في مأكله ومشربه يعيش حياة الفقراء والمساكين ، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله

عنها قالت : (لقد توفي النبي ﷺ وما في رفّي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفٍ لي فأكلت منه حتى طال عليّ) [1] ، وروي عن أنس بن مالك قال : (لم يأكل النبي ﷺ على خوان [2] حتى مات ، وما أكل خبزًا مرققًا حتى مات) [3] .

وكان بسيطًا للغاية في بيته ، وملابسه ، وأثاثه ، يؤثر الحصير في جنبه ، وما عرف أنه نام قط على شيء وثير . ولما طلبت نساءه مزيدًا من النفقة رفض وخيرهن البقاء معه على هذا الحال أو يسرحهن سراحًا جميلاً ، ونزل في ذلك قرآن يتلى . فاخترن البقاء معه على ذلك الحال .

فهذه أدلة قاطعة دامغة تثبت بلا شك أن النبي ﷺ لم يهدف من وراء دعوته لأي غرض دنيوي .

● **الدلالة الثانية** : أن النبي ﷺ لكان حكيمًا يتمسك بالحكمة ويتصف بها ولكن في حدود ما تجيزه الشريعة الإسلامية التي تعبدتنا بالوسائل كما تعبدتنا بالغايات ، فلا يجوز للمسلم أن يسلك إلى الغاية التي شرعها الله إلا بالوسيلة التي شرعها الله أيضًا .

فقد كان متصورًا في باب الحكمة والسياسة أن يرضى رسول الله ﷺ بما عرض عليه من الزعامة والملك ظاهرًا على أن يتخذ ذلك وسيلة لتحقيق دعوة الإسلام فيما بعد .خصوصًا وإن للسلطان والملك وازعًا قويًا في النفوس . ولذلك يستغله أهل الباطل في فرض دعواتهم على الناس التي سرعان ما تزول بزوال سلطانهم كما كان الحال مع الشيوعية .

ولكن النبي ﷺ رفض ذلك لأنه يتنافى مع الإسلام الذي عماده الشرف والصدق في كل من الوسيلة والغاية ، ولئلا يلتقي الصادقون في دعوتهم مع الدجالين في باطلهم .

ولذلك لا يجوز لأحد من الناس أن يغير شيئًا من أحكام الإسلام ومبادئه ، أو يتجاوز شيئًا من حدوده أو يستهين بها ، باسم اتباع الحكمة في النصيحة والدعوة .

---

(١)

(٢) خوان : هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل ، ويجمع على : أَخَاوِين . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٢/ ٨٩ .

(٣)

لأن الحكمة لا تعتبر حكمة إلا إذا كانت مقيدة ومنضبطة ضمن حدود الشريعة ومبادئها وأخلاقها ، ولأن الحكمة ليس مقصدها تسهيل العمل وتفادي المآسي والأتعاب ، بل سر مشروعيتها هو سلوك أقرب الوسائل إلى عقول الناس وأفكارهم ، فإذا منع الدعاة من ذلك فإن الحكمة تكون بإعداد العدد والعدة للجهاد في سبيل الله بالمال والنفس . إن الحكمة هي وضع الشيء في مكانه .

ومما يدل على ما تقدم أن الله ﷻ عاتب نبيه ﷺ في سورة عبس بقوله : ﴿ **عبس وتولى O أن جاءه الأعمى** ﴾ [1] الآيات ، وأنكر عليه إعراضه عن ابن أم مكتوم وإقباله على اشراف قريش طمعًا في هدايتهم ، وإن كانت غايته مشروعة ونبيلة ، لأن الوسيلة ليست بمشروعة ولا مقبولة لما انطوت عليه من كسر خاطر مسلم والإعراض عنه .

٣- (٤٧) وضح الدلالة المستفادة من رفض النبي ﷺ لمطالب قريش من الخوارق والمعجزات مقابل اتباعها له ؟ واذكر بعض تلك المطالب ؟

● **بعض مطالب قريش** : من هذه المطالب ما ذكره الله ﷻ في قوله : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعًا O أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا O أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي با لله والملائكة قبيلاً O أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابًا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولاً** ﴾ [2] .

ومن هذه المطالب ما سبق ذكره في جواب السؤال الأول .

● **الدلالة المستفادة** : من موقف النبي ﷺ الرافض لمطالب قريش كشرط لاتباعها له ، والذي أيده الله فيه ، ليس سببه أن النبي ﷺ ما أوتي من المعجزات إلا معجزة القرآن ، وإنما سببه أن الله ﷻ علم أنهم إنما يطالبون بذلك كفرًا وعنادًا وإمعانًا في الاستهزاء بالنبي ﷺ كما هو واضح في أسلوب طلبهم ونوع المطالب التي

---

(١) عبس / ١ ، ٢ . (٢) الإسراء / ٩٠ - ٩٣ .

عرضوها ، ولو علم الله فيهم صدق الطلب وحسن النية لاستجاب لهم ، ولك ، حالهم كما قال في آية أخرى : ﴿ ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا ا به يعرجون O لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [1] .

٤- (...) ما هي الدلالات الثلاثة المستفادة من عروض قريش المختلفة ع ى النبي ﷺ ؟

الإجابة : هي ما سبق ذكره وتوضيحه في إجابة السؤالين الماضيين .

٥- (...) لماذا لم يقبل النبي ﷺ عروض قريش من الملك والزعامة ظاهرًا ـم يستغلها بعد أن يتمكن منها لصالح دعوته ؟

الإجابة : هي ما سبق تفصيله في النقطة الثانية من إجابة السؤال الثاني .

٦- (...) هل الحكمة أن تضع أنت السياسة التي تراها في سير الدعوة مهما كان كيفيتها ومهما كان نوعها ؟ وهل أعطاك الشارع صلاحية أن تسلك أي سبيل أو وسيلة تراها ما دام هدفك من وراء ذلك هو الحق . دلل على قوا لك من السيرة ؟

الإجابة : ما سبق تفصيله في النقطة الثانية من إجابة السؤال الثاني ، إضافة ـى الأدلة في ذلك من إجابة السؤال الأول .

---

(١) الحجر / ١٤ ، ١٥ .

٦- الحصار الاقتصادي

١- (٤٨) اذكر كل ما تعرفه عن الحصار الاقتصادي الذي تعرض له النبي ﷺ وصحبه ﷺ وكل ما يتعلق به من بدايته وحتى نهايته ؟

● سبب الحصار وصحيفته :

ورد بأسانيد مختلفة عن موسى بن عقبة ، وعن ابن إسحق ، وعن غيرهما ، أن كفار قريش أجمعوا أمرهم علىقتل رسول ا لله ﷺ ، وكلموا في ذلك بني هاشم وبني المطلب ، ولكنهم أبوا تسليمه ﷺ إليهم .

فلما عجزت قريش عن قتله ﷺ أجمعوا على منابذته ومنابذة من معه من المسلمين ومن يحميه من بني هاشم وبني المطلب ، فكتبوا بذلك كتابًا تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم ، ولا يَدَعُوا سببًا من أسباب الرزق يصل إليهم ، ولا يقبلوا منهم صلحًا ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلم بنو المطلب رسول ا لله ﷺ إليهم للقتل ، وعلقوا الكتاب في جوف الكعبة .

● مدة الحصار :

والتزم كفار قريش بهذا الكتاب ثلاث سنوات ، بدءًا من المحرم سنة سبع من البعثة إلى السنة العاشرة منها ، وقيل بل استمر ذلك سنتين فقط .

ورواية موسى بن عقبة تدل على أن ذلك كان قبل أمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، وإنما أمرهم بها أثناء هذا الحصار . أما رواية ابن إسحاق فتدل على أن كتابةالصحيفة كانت بعد هجرة أصحابه ﷺ إلى الحبشة وبعد إسلام عمر .

● المحاصرون :

وحوصر بنو هاشم وبنو المطلب ومن معهم من المسلمين ، ومعهم رسول ا لله ﷺ ، في شعب بني المطلب ، وإنما مكة شعاب متفرقة ، واجتمع فيه من بني هاشم وبني المطلب المسلمون والكافرون ، أما المسلمون فتدينًا ، وأما الكافرون فحمية ، إلا ما كان من أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، فإنه خرج إلى قريش ، فظاهر النبي ﷺ وأصحابه .

● معاناة النبي وأصحابه في الحصار :

فجهد النبي ﷺ والمسلمون جهدًا شديدًا في هذه الأعوام الثلاثة واشتد

عليهم البلاء ، وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر .

وذكر السهيلي أنهم كانوا إذا قدمت العير مكة ، يأتي أحد أصحاب رسول الله إلى السوق ليشتري شيئًا من الطعام يقتاته لأهله فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئًا معكم ، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافًا ، حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شيء يعللهم به .

● قصة نقض عهد الحصار :

فلما كان على رأس ثلاث سنين من بدء هذا الحصار ، تلاوم قوم من بني قصي ، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه ، وأرسل الله على صحيفتهم التي كتب فيها نص المعاهدة الأَرَضة [1] ، فأتت على معظم ما فيها من ميثاق وعهد ، ولم يسلم من ذلك إلا الكلمات التي فيها ذكر الله عز وجل .

وقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ عمه أبا طالب ، فقال له أبو طالب : أربك أخبرك بذلك ؟ قال : (نعم) ، فمضى في عصابة من قومه إلى قريش ، فطلب منهم أن يؤتوه بالصحيفة موهمًا إياهم أنه نازل عند شروطهم فجاؤوا بها وهي مطوية ، فقال أبو طالب : إن ابن أخي قد أخبرني ، ولم يكذبني قط ، أن الله تعالى قد سلط على صحيفتكم التي كتبتم الأرضة فأتت على كل ما كان فيها من جور [2] وقطيعة رحم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا وارجعوا عن سوء رأيكم ، فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا ففعلتم به ما تشاؤون . فقالوا : قد رضينا بالذي تقول . ففتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ . فقالوا : هذا سحر ابن أخيك ! وزادهم ذلك بغيًا وعدوانًا .

ثم إن خمسة من رؤساء المشركين من قريش ، مشوا في نقض الصحيفة ، وإنهاء هذا الحصار ، وهم : هشام بن عمرو بن الحارث ، وزهير بن أمية ، والمطعم ابن عدي ، وأبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود .

وكان أول من سعى إلى نقضها بصريح الدعوة زهير بن أمية ، أقبل على

---

(١) الأرضة : "دويبة تأكل الخشب" مختار الصحاح . للرازي / ١٤ .

(٢) جور : ظلم .

الناس عند الكعبة فقال : يا أهل مكة ، أنأكل الطعام ، ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يباعون لا يبتاع منهم ؟ .. وا لله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .

ثم قال بقية الخمسة نحوًا من هذا الكلام . ثم قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فمزقها ، ثم انطلق هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة ، إلى بني هاشم وبني المطلب ومن معهم من المسلمين فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم (١) .

٢- (...) ما هو سبب الحصار الاقتصادي ؟ وما مدته ؟ ومتى بدأ ومتى انتهى ؟ وما مكانه ؟ ومن المحاصرون ؟ وما هي معاناتهم ؟ وما شأن وثيقته – صحيفته – ؟ وما هي بنودها ؟ وكيف نقضت ؟

الإجابة : متضمنة في جواب السؤال السابق .

٣- (٤٩) ما هو موقف المشركين من قرابة النبي ﷺ من حصاره وأصحابه ؟ وما تفسيرك لسبب موقفهم ؟

● إن المشركين من بني هاشم وبني المطلب ، شاركوا المسلمين في تحمل الحصار ، ولم يرضوا أن يتخلوا عن رسول الله ﷺ .

● وقد دفعهم إلى ذلك حمية القرابة والرحم ، وإباء الذل الذي كان يتلبس بهم لو أنهم خلوا بين محمد ﷺ ومشركي قريش من غيرهم ليقتلونه ، بقطع النظر عن العقيدة والدين .

فقد آثروا أن يجمعوا بين رغبتين في صدورهم :

(أولاهما) الثبات على الشرك ، والاستكبار على الحق الذي جاءهم به محمد ﷺ .

(ثانيهما) : الانصياع للحمية التي تدعو إلى حماية القريب من بطشة الغريب وظلمه ، بحق أو بباطل .

٤- (٥٠) لماذا صبر الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ على هذا الحصار ؟

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ١/٣٨٥ وما بعدها .

صَبَّرهم على الحصار الانصياع لأمر الله ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وهَوَان الدنيا عندهم في جنب مرضاه الله ﷻ .

٥- (٥١) ما هو ردك على قول بعض المبطلين من محترفي الغزو الفكري : إن عصبية بني هاشم وبني المطلب كانت تكمن خلف دعوة محمد ﷺ وكانت تحوطها بالرعاية والحفظ بدليل موقفهم السلبي من مشركي قريش في مقاطعتهم للمسلمين ؟

إن قولهم هذا مغالطة مكشوفة ، بدليل أن أكثر هؤلاء استكبر على دعوة النبي ﷺ ، ولم يؤمنوا بها حتى فتح مكة .

وأما موقفهم من الحصار فلم يكن لحماية دعوة الله ، وإنما كان لحماية شخص الرسول ﷺ الذي هو منهم من الغريب ، فهي الحمية الجاهلية - حمية القرابة والرحم - لا تنظر إلى مبدأ أو حق أو باطل وإنما مجرد التعصب . ولذلك جمع هؤلاء بين صفتين متناقضتين : الكفر بدعوته ، والانتصار له ضد المشركين الآخرين لكونه منهم .

وإن كانت حمايتهم لصاحب الدعوة ﷺ يصب في النهاية لصالح الدعوة ، فهذه قضية أخرى ، ويمكن للمسلمين أن يستغلوا مثل هذه الحماية ، ويعتبروها وسيلة من وسائل الجهاد والتغلب على المشركين ورد كيدهم .

٦- (٥٢) تأول بعض المبطلين رسالة محمد ﷺ وإيمان أصحابه بها على أنها ثورة يسار (فقراء) ضد يمين (أغنياء) بدليل أن أكثر أتباعها فقراء ، وأنهم ما لبثوا أن فتحت عليهم الدنيا وأقبل إليهم الثراء والمال . فما هو ردك بالأدلة ؟

● **الرد على زعمهم** : أقول أن زعمهم هذا باطل ومردود بالأدلة الآتية :

١- عرض على النبي ﷺ الملك والسلطان والمال مقابل ترك دعوته ، فلم يقبل ولم يضغط عليه أصحابه ليقبل ، فلو كان الأمر كما يزعمون لقبل بما ثار لأجله هو وأصحابه .

٢- لقد قوطع النبي ﷺ وأصحابه وحوصروا اقتصاديًا ثلاث سنوات حتى أكلوا ورق الشجر وهم صابرون . أهكذا يصنع من يثور من أجل لقمة العيش .

٣- عندما هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة تركوا المال والأرض والمملتكات المختلفة واستقبلوا المدينة متجردين من كل متاع الدنيا يبتغون رضوان الله . فلو كانت دعوتهم ثورة يسارية لأجل لقمة العيش ، لما تركوا الدنيا ولقمة العيش وراءهم ، وهاجروا إلى مستقبل مجهول .

٤- إن النبي ﷺ وصحبه ﷺ تعرضوا لسلسلة متصلة من العذابات والآلام والاضطهاد والتضحيات والمقاطعات والمحاصرات ومفارقة الأوطان ومنهم من قتل . أهكذا يصنع من يثور للقمة العيش ، وهو يستطيع أن يجدها دون تلك التضحيات الجسام .

٥- إن من المسلمين من كان غنيًا كأبي بكر الصديق ﷺ ، فكيف يؤمن مثل هذا بدعوة تشكل خطرًا عليه وعلى ماله .

● **الرد على استدلالهم بأن أكثر أتباع الدعوة كانوا فقراء** : أما إنهم كان أكثرهم فقراء ومضطهدين في صدر الدعوة فنعم ، ولكن لم يكن دافعهم المال والمستقبل الاقتصادي للأدلة التي ذكرناها في النقطة الماضية ، وإنما كان دافعهم هو الإيمان الحق والتصديق واليقين ، وسهّل الأمر عليهم في ذلك ما وجدوه من مصلحة في الإسلام خاصة التخلص من الاضطهاد وظلم الظالمين ، إضافة إلىعدم وجود الموانع كالخشية من ذهاب السلطان والجاه والمصالح كما الحال للزعماء والسادة وأصحاب المصالح الذين يخشون فوات ذلك بالانتماء للإسلام .

● **الرد على استدلالهم الثاني** : إن فتحهم لبلاد الروم وفارس في حقبة يسيرة من الزمن دليل على صدقهم في إسلامهم ونصر الله لهم كنتيجة لذلك ، وليس لأنهم قاموا بدعوتهم من أجل امتلاك منابع الثروة والاستيلاء على عروش الملوك واستلاب السيادة منهم ، ويدل على ذلك ما يلي :

١- لو كانوا كذلك لما فكروا لحظة في قتال أكبر امبراطوريتين يومئذ فضلاً عن أن يغزوهما فعلاً وهم العرب المساكين الفقراء الذين يسكنون جزيرة العرب بظروفها القاسية ولا يملكون من مقومات الامبراطوريتين شيئًا .

٢- أنه لو كان الأمر كما يظنون لما دخل ربعي بن عامر ﷺ سرادق رستم مزدريًا مظاهر الترف التي غمس فيها السرادق غمسًا يتوكأ بزج رمحه على البسط والنمارق الفاخرة حتى أفسدها . ولَمَا قال لرستم : إن دخلتم الإسلام تركناكم وأرضكم وأموالكم ! أهكذا يقول من جاء ليستلب الملك والأرض والمال ؟

٣- أنهم لما فتحوا البلاد لم ينهبوا ولم يسرقوا الأموال ، وهذا سعد بن أبي وقاص ﷺ يرسل بعد وقعة القادسية كل خزائن كسرى إلى عمر بن الخطاب ﷺ دون أن ينقص منها شيئًا .

٤- أنهم بعد أن فتحوا البلاد ﷺ لم يظلموا ، ولم يأكلوا أموال الناس بالباطل ، ولم يتنافسوا ويتصارعوا ويقتل بعضهم بعضًا من أجل السلطان والأموال والثراء .. إلخ كما يفعل طلاب الدنيا في كل زمان ومكان .

والخلاصة : إنما كان ذلك تحقيقًا للقانون الإلهي الذي يقول الله جل ثناؤه فيه : **﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾** (١) .

٧- (...) يقول بعض المبطلين : إن الجماعة الأولى من أصحاب النبي ﷺ في مكة كانوا من الفقراء والموالي والمضطهدين وأنهم اتبعوا الدين الجديد أملا في مستقبل اقتصادي أفضل . فما هو ردك عليهم ؟

الجواب : هو ما سبق ذكره في النقطة الثانية من السؤال السابق .

٨- (...) يقول بعض المبطلين : إن خطة الدعوة التي سلكها محمد ﷺ كانت تستهدف امتلاك المسلمين لمنابع الثروة واستيلاءهم على عروش الملوك واستلاب السيادة منهم ، بدليل أنهم قد وصلوا فعلاً إلى ذلك . فما هو ردك عليهم ؟

الجواب : هو ما سبق ذكره في النقطة الثالثة من السؤال السادس .

---

(١) القصص / ٥ .

٧- أول هجرة في الإسلام
(هجرة الحبشة الأولى)

١ - (٥٣) اذكر ما تعرفه عن أول هجرة في الإسلام (أو عن هجرة الحبشة الأولى) ؟

● النبي ﷺ يحث أصحابه على الهجرة للحبشة

ثم إن رسول ا لله ﷺ لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء وأنه لا يقدر على أن يحميهم ويمنعه مما هم فيه ، قال لهم : (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنّ بها ملكًا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل ا لله لكم فرجًا مما أنتم فيه) .

● المهاجرون للحبشة :

فخرج عند ذلك المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا إلى ا لله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام . وكان في مقدمة المهاجرين : عثمان بن عفان وزوجته ، رقية بنت رسول ا لله ﷺ ، وأبو حذيفة وزوجته ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف ... حتى اجتمع في أرض الحبشة من أصحابه ﷺ بضعة وثمانون رجلاً [١] .

● موقف قريش من هجرة الصحابة إلى الحبشة وموقف النجاشي :

فلما رأت قريش ذلك ، أرسلت إلى النجاشي [٢] عبد ا لله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص (ولم يكن قد أسلم بعد) بهدايا مختلفة كثيرة ، إليه وإلى حاشيته وبطارقته [٣] ، رجاء أن يرفض قبول هؤلاء المسلمين فيجواره ويسلمهم مرة أخرى إلى أعدائهم .

فلما كلما النجاشي في ذلك – وكانا قد كلما من قبله بطارقته وقدّما إليهم ما جاءا به من الهدايا – رفض النجاشي أن يسلم أحدًا من المسلمين إليهما حتى يكلمهم في شأن دينهم الجديد هذا . فجيئ بهم إليه ، ورسولا قريش عنده ، فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل ؟

---

(١) هذا هو الصحيح كما ذكره ابن هشام في سيرته ١/٣٣٤ وما بعدها . وانظر فتح الباري ١٣٠/٧ . (٢) النجاشي : اسم لقب ملك الحبشة . (٣) بطارقته :"البطريق : .... القائد من قُوَّاد الروم وهو معرب" مختار الصحاح . للرازي / ٥٦ .

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ، فقال : أيها الملك : كنا قومًا أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم ، ونهانا عن الفواحش .. فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان .. فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك .

فسأله النجاشي أن يتلو عليه شيئًا مما جاءهم به الرسول ﷺ من عند الله .

فقرأ عليه جعفر صدرًا من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى اخضلت [(١)] لحيته ، ثم قال لهم : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة [(٢)] واحدة . ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاً : انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

ثم إنهما عادا فقالا للنجاشي : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيمًا ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون . فأرسل إليهم ، في ذلك ، فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا محمد ﷺ يقول : هو عبد الله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول [(٣)] .

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودًا . ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود .

ثم رد إليهما هداياهما ، وزاد استمساكه بالمسلمين الذين استجاروا به ، وعاد الرسل إلى قريش خائبين .

● عودة بعض مهاجري الحبشة إلى مكة :

وبعد فترة من الزمن بلغهم إسلام أهل مكة ، فرجعوا لما بلغهم ذلك - حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما قد سمعوه من إسلام أهل مكة باطل . فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار ، أو مستخفيًا وكان جميعهم ثلاثة وثلاثين رجلاً . وكان من بين من

---

(١) اخضلت : ابتلت ؛ انظر : النهاية . لابن الأثير ٤٣/٢ . (٢) مشكاة : يقصد من مصدر واحد "المشكاة : الكوة التي ليست بنافذة" مختار الصحاح . للرازي / ٣٤٥ .

(٣) العذراء البتول : (العذراء) البكر (البتول) المنقطعة عن الرجال ولا شهوة لها فيهم . انظر : النهاية . لابن الأثير ٩٤/١ . ومختار الصحاح . للرازي / ٤٢٠ .

دخل بجوار ، عثمان بن مظعون دخل بجوار الوليد بن المغيرة ، وأبو سلمة دخل بجوار أبي طالب [(١)] .

٢- (٥٤) بيِّن الدلالات الثلاثة المستفادة من حديث هجرة المسلمين إلى الحبشة ؟

● **الدلالة الأولى** : إن دين الإسلام والاستمساك به وإقامة دعائمه أساس ومصدر لكل قوة ، وهو السياج لحفظ كل حق من مال وأرض وحرية وحياة ، وأن على الدعاة والمجاهدين أن يجعلوا من هذه الأشياء وسائل لحفظ العقيدة وترسيخها ، حتى إذا اقتضى الأمر بذلها في سبيلها وجب بذلها .

ذلك أن الدين إذا فُقد أو غُلب سرعان ما يذهب كل شيئ من ورائه ، وأما إذا قوي فإن كل ما ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود قويًا معززًا مكرمًا .

ومن أجل هذا شرع مبدأ الهجرة في الإسلام ، فأشار الرسول ﷺ على أصحابه ﷺ - بعد أن نالهم من أذى المشركين ما خشي عليهم معه الفتنة في الدين - إلى الهجرة والخروج من الوطن .

وهجرة الصحابة هذه لم تكن هربًا من الأذى إلى الراحة ، وإنما فرارًا بالدين وحفاظًا عليه من الفتنة ، ولإقامة شعائره ، وهي تبديل للمحنة ريثما يأتي الفرج والنصر ، لأن الهجرة نفسها ضرب غير يسير من ضروب العذاب والألم في سبيل الدين ، ثم إن هجرتهم كانت من دار كفر إلى دار كفر ، فمكة والحبشة وغيرهما كانت سواء إذ ذاك . وأيها كانت أعون للصحابي على ممارسة دينه والدعوة إليه ، فهي أجدر بالإقامة فيها .

أما الهجرة من دار الإسلام فلها الأحكام الثلاث الآتية :

١- واجبة على المسلم الذي لا يتمكن من إقامة شعائر دينه كالصلاة والصيام والأذان والحج .

٢- جائزة للمسلم الذي يصيبه بلاء يضيق به ، فيهاجر لبلد إسلامي آخر .

٣- محرمة على المسلم إذا استلزمت هجرته إهمال واجب إسلامي لا يقوم به غيره .

● **الدلالة الثانية** : حقيقة العلاقة القائمة بين ما جاء به سيدنا محمد وسيدنا عيسى

---

(١) راجع : سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٧ وما بعدها .

عليهما الصلاة والسلام – ، وأنهما جاءا بعقيدة واحدة ، ولذلك رأينا النجاشي المخلص في نصرانيته يصدق ما قاله جعفر بن أبي طالب في عيسى – عليه السلام – ، وتخضل لحيته من الدموع عندما يسمع القرآن ، بل ويقول : إن هذا والذي جاء به عيسى بن مريم ليخرج من مشكاة واحدة .

وهذا يؤكد لنا أن قول النصارى أن عيسى ابن الله ، وأنه ثالث ثلاثة وغير ذلك إنما هو باطل من عند أنفسهم حرفوه بعدما جاءهم العلم بغيًا بينهم .

● **الدلالة الثالثة** : أنه يجوز للمسلم أن يدخل في حماية الكافر إذا دعت الحاجة سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي إذ كان نصرانيًا عندئذ ولكنه أسلم بعد ذلك (١) ، أم كان مشركًا كأولئك الذين عاد المسلمون إلى مكة في حمايتهم عندما رجعوا من الحبشة ، وكأبي طالب عم الرسول ﷺ ، وكالمطعم بن عدي الذي دخل الرسول ﷺ مكة في حمايته عندما رجع من الطائف .

وهذا مشروط بأن لا يستلزم مثل هذه الحماية إضرارًا بالدعوة الإسلامية ، أو تغييرًا لبعض أحكام الدين ، أو سكوتًا على اقتراف بعض المعاصي ، وإلا لم يجز للمسلم الدخول فيها . ودليل ذلك ما كان من موقفه ﷺ حينما طلب منه أبو طالب أن يبقي على نفسه ولا يحمله ما لا يطيق فلا يتحدث عن آلهة المشركين بسوء . فقد وطن نفسه إذ ذاك للخروج من حماية عمه وأبى أن يسكت عن شيء مما يجب عليه بيانه وإيضاحه .

٣– (...) بين حكم الهجرة في الإسلام من خلال دراستك لهجرة الحبشة الأولى ؟

الإجابة : هي ما سبق ذكره في آخر النقطة الأولى من السؤال السابق .

٤– (...) ما حكم دخول المسلم في حماية الكافر ؟ وما شروطه ؟ وما الأدلة ؟

الإجابة : هي ما سبق ذكره في النقطة الأخيرة من السؤال الثاني .

وشروطه شرطان (أولهما) أن يكون للحاجة (وثانيهما) أن لا يكون على حساب الدين . وقد سبق التفصيل كما أشرنا .

---

(١) كان النجاشي قد آمن برسول الله ﷺ ، ولما مات نعاه رسول الله ﷺ للصحابة ثم خرج بهم إلى المصلى فصلى عليه . رواه مسلم .

٨- أول وفد إلى رسول ا لله ﷺ
(وفد نصارى الحبشة)

١- (٥٥) اذكر ما تعرفه عن أول وفد من خارج مكة (أو وفد نصارى الحبشة) إلى رسول ا لله ﷺ ؟

في غمرة ما كان يلاقيه النبي ﷺ وأصحابه من العذاب والإيذاء وفد إلى رسول ا لله ﷺ أول وفد من خارج مكة لِفَهم شيء عن الإسلام . وكانوا بضعة وثلاثين رجلاً من نصارى الحبشة جاءوا مع جعفر بن أبي طالب لدى عودته إلى مكة . فلما جلسوا إلى رسول ا لله ﷺ واطلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلي عليهم من القرآن ، آمنوا كلهم ، فلما علم بذلك أبو جهل أقبل إليهم قائلاً : ما رأينا ركبًا أحمق منكم ! .. أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال . فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفسنا خيرًا .

فنزل في حقهم قوله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون O وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنوا به إنه الحق من ربنا إن كنا من قبله مسلمين O أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون O وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ [١] . [٢]

٢- (٥٦) بين العبر والعظات المستفادة من قصة هذا الوفد ؟

● **أولاً :** في قدوم هذا الوفد إلى مكة ولقائه بالرسول ﷺ وإيمانه به ، في غمرة ما كان المسلمون يعانونه من عذاب وإيذاء ومقاطعة وتضييق دلالة باهرة على أن ما

---

(١) القصص / ٥٢ - ٥٥ . (٢) رواه ابن إسحاق ومقاتل . والطبراني عن سعيد ابن جبير . وانظر ابن كثير والقرطبي والنيسابوري عند تفسير هاتين الآيتين . وانظر : سيرة ابن هشام ٤٠٣/١ ، ٤٠٤ .

قد يلاقيه الدعاة في طريقهم من الآلام والمصائب والابتلاءات لا يعني بحال م
الخيبة أو الإخفاق ، ولا يستلزم الضعف أو التخاذل أو اليأس . بل العذاب طريق
لابد من سلوكه للوصول إلى النجاح والنصر .

فقد جاء هذا الوفد – وكانوا يزيدون على ثلاثين أو أربعين رجلاً م
نصارى الحبشة – يمخرون عباب البحر إلى رسول الله ﷺ ليعلنوا الولاء للدعو
الجديدة ، وليعلنوا بلسان الحال أن أعداء الدعوة مهما ضيقوا عليها ، ومهما عذبوا
وآذوا أصحابها ، ومهما قاطعوهم وائتمروا بهم لن يستطيعوا أن يمنعوها من أ
تؤتي ثمارها ، أو أن يحبسوها عن الانتشار في مشارق الأرض ومغاربها .

● **ثانيًا** : إن إيمان أفراد هذا الوفد لم يكن إيمان من يخرج من ظلمات الكفر إلى
النور ، وإنما هو استمرار لإيمانهم السابق ، واستمرار لدينهم السابق وهو دي
الإسلام ، فالدين عند الله الإسلام ، ولكنهم انتقلوا من شريعة عيسى عليه السلام إلى
شريعة محمد ﷺ . وهذا هو معنى قولهم فيما تحكيه عنهم الآية الكريمة : ﴿ وإذا
يُتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ [1] أي : إنا كنا
مسلمين ومؤمنين بهذا الذي يدعو إليه محمد ﷺ من قبل بعثته ، لأنه مما يدع
الإنجيل إلى الإيمان به .

٣– (...) بين الدلالة الباهرة المستفادة من قدوم وفد الحبشة إلى النبي ﷺ ودخولهم في دينه ؟

الإجابة : ما سبق ذكره في النقطة الأولى من السؤال السابق .

٤– (...) ما هي نوعية الإيمان الذي آمنه أفراد وفد الحبشة. دلل على ما تقول ؟

الإجابة : ما سبق ذكره في النقطة الثانية من السؤال الثاني .

---

(١) القصص : ٥٣ .

٩- عام الحزن

١- (٥٧) اذكر ما تعرفه عن عام الحزن ؟

● **تاريخه وما وقع فيه :**

هو العام العاشر من بعثته ﷺ ، فقد توفيت فيه زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وتوفي فيه عمه أبو طالب ، ويقول ابن سعد في طبقاته : كان بين وفاة خديجة وأبي طالب شهر وخمسة أيام .

وقد كانت خديجة رضي الله عنها ، كما قال ابن هشام : وزير صدق على الإسلام ، يشكو الرسول إليها ويجد عندها أنسه وسلواه . أما أبو طالب ، فقد كان عضدًا وحرزًا في أمره ، وكان ناصرًا له على قومه .

● **ما حدث للنبي ﷺ فيه :**

يقول ابن هشام : فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه [١] من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا . ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول لها : (لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك) [٢] .

● **سبب تسميته عام الحزن :**

ولقد أطلق النبي ﷺ على هذا العام اسم (عام الحزن) لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة .

٢- (٥٨) متى كان عام الحزن ؟ وماذا وقع فيه ؟ وماذا حدث للنبي ﷺ فيه ؟ ولماذا سماه بعام الحزن ؟

● كان عام الحزن في العام العاشر من بعثة النبي ﷺ .

● ما وقع فيه هو وفاة زوجة النبي ﷺ خديجة رضي الله عنها ، ووفاة عمه أبي طالب بعدها بشهر وخمسة أيام .... [التفصيل سبق في السؤال السابق] .

---

(١) سفيه : جاهل . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢/٣٧٦ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام ٢/٤٤٢ . وتاريخ الطبري ٢/٥٤٤ .

● ما حدث فيه للنبي ﷺ أن قريشًا نالت منه من الأذى بعد وفاة عمه أبي طالب ما لم تكن تطمع به في حياته ... [التفصيل سبق في السؤال السابق]

● سماه النبي ﷺ بعام الحزن لعدة أسباب وهي :

١- موت زوجته خديجة رضي الله عنها التي كانت وزير صدق على الإسلام ، يشكو الرسول إليها ويجد عندها أنسه وسلواه ، وموت عمه أبي طالب الذي كان عضدًا وحرزًا في أمره ، وكان ناصرًا له على قومه .

٢- شدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا .

٣- انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه بعد فقد نصيره عمه أبي طالب ، مما دفعه للذهاب إلى الطائف .

٣- (٥٩) ما هي الحكمة الإلهية من قضاء الله تعالى في إماتته نصير النبي ﷺ أبي طالب قبل التمكين لدعوته ؟ وفي إماتته خديجة زوجته وأنسه وسلواه التي كانت تخفف عنه كثيرًا من الآلام ؟

يمكن توضيح هذه الحكمة وتلخيصها من خلال النقاط الآتية :

١- إن الحماية والعناية والنصر إنما من الله ، فلا يتوهم أن أبا طالب هو الذي كان وراء هذه الدعوة ، وهو الذي كان يدفعها إلى الأمام ويحميها بمكانته وسلطانه بين قومه .

٢- إن المراد من عصمة الله الواردة في قوله : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ [1] للنبي ﷺ هو عصمته من القتل ، أو من أي شيء يوقف مد الدعوة الإسلامية ، وليس من الإيذاء والعذاب والاضطهاد .

٣- حتى يكون الرسول ﷺ قدوة للمسلمين في كل زمان ومكان خاصة المجاهدين والدعاة ، فلا تحدثهم أنفسهم أن الرسول ﷺ قد عوفي من الأذى دون أصحابه فيركنوا إلى الدعة والراحة ويتركوا الدعوة والجهاد في سبيل الله ، وإنما يقومون بذلك ويصبرون على المحنة والعذاب كما صبر قدوتهم ﷺ .

---

(١) المائدة . من الآية / ٦٧ .

١٠- هجرة الرسول إلى الطائف

١- (٦٠) بيِّن ما تعرفه عن هجرة الرسول ﷺ إلى الطائف ؟

● **سبب خروج النبي ﷺ للطائف :**

لما نالت قريش من النبي ﷺ من الأذى بعد موت عمه أبي طالب ، خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف (١) ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل .

● **موقف سادات الطائف من دعوة النبي ﷺ :**

ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ ساداته ، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم من أجله فردوا عليه ردًا منكرًا ، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول (٢) . فقام رسول الله من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش إذًا ، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضًا . ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلي رسول الله ﷺ لتدميان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُج في رأسه عدة شجاج (٣) ، حتى وصل رسول الله إلى بستان لعتبة بن ربيعة ، فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه .

● **دعاء النبي ﷺ في الطائف :**

فعمد عليه الصلاة والسلام ، وقد أنهكه التعب والجراح ، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه . فلما اطمأن النبي ﷺ في ذلك الظل ، رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء : (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني (٤) أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ،

---

(١) ثقيف : اسم أشهر قبائل الطائف .

(٢) سمج القول : قبح القول . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣٩٨/٢ .

(٣) شجاج : جمع شَجَّة : وهي الجُرح والشَّق . انظر : النهاية . لابن الأثير ٤٤٥/٢ .

(٤) يتجهمني : "أي يلقاني بالغِلظة والوجه الكريه" المرجع السابق ٣٢٣/١ .

ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

● قصة عداس مع النبي ﷺ :

ثم إن ابني ربيعة – صاحبي البستان – تحركت الشفقة في قلبهما ، فدعوا غلامًا نصرانيًا لهما يقال له (عداس) فأرسلا إليه قطفًا من العنب في طبق ، فلما وضع عداس العنب بين يدي رسول الله ﷺ وقال له : كل ، مدّ الرسول يده قائلاً : (بسم الله) . ثم أكل ، فقال عداس متعجبًا : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له الرسول : (ومن أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟) قال : نصراني ، وأنا رجل من أهل نَيْنَوَى (قرية بالموصل) ، فقال الرسول ﷺ : (من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟) فقال عداس : وما يدريك ما يونس بن مَتّى ؟ فقال رسول الله ﷺ : (ذلك أخي ، كان نبيًا وأنا نبي) .. فأكبّ عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه [1] .

● رجوع النبي ﷺ وصلاته بنخلة واستماع الجن له :

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة ، حتى إذا كان بنخلة [2] قام من جوف الليل يصلي ، فمر به النفر من الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، فاستمعوا له ، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا .

وقد قصّ الله خبرهم عليه ﷺ في قوله : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن ﴾ [3] إلى قوله : ﴿ ويُجرْكم من عذاب أليم ﴾ [4] ، وقوله : ﴿ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾ [5] .. الآيات .

---

(١) انظر : تفصيل ذلك في سيرة ابن هشام ٤٤٤/٢ وما بعدها .

(٢) نخلة : اسم مكان قرب مكة .

(٣) الأحقاف . من الآية / ٢٩ .

(٤) الأحقاف . من الآية / ٣١ .

(٥) الجن . من الآية / ١ .

● **دخول النبي ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي :**

ثم عاد رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة – يريد دخول مكة . فقال له زيد : كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟ فقال : (يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه) . ثم أرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي يخبره أنه داخل مكة في جواره ، فاستجاب مطعم لذلك . وعاد رسول الله ﷺ إلى مكة [1] .

٢– (٦١) إن ما لاقاه النبي ﷺ من المحن لاسيما ما لاقاه في الطائف إنما كان من أعماله التبليغية للناس . وضح ذلك ؟

كما جاء النبي ﷺ يبلغنا العقيدة الصحيحة ، وأحكام العبادات والأخلاق والمعاملات بالوسيلة التطبيقية فقال : **(صلوا كما رأيتموني أصلي)** وقال : **(خذوا عني مناسككم)** ، فكذلك جاء يبلغنا ما كلفنا الله من واجب الصبر على المعاناة والإيذاء الذي أمرنا الله به في قوله : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾** [2] بالوسيلة التطبيقية أيضًا ، يدلنا على ذلك معاناته وصبره ﷺ فكأن لسان حاله يقول لنا : **(اصبروا كما رأيتموني أصبر)** . وليبين لنا أن الصبر ومصارعة الشدائد من أهم مبادئ الإسلام التي بُعث بها إلى الناس كافة .

٣– (٦٢) اذكر دعاء النبي ﷺ في الطائف ؟ وهل يدل على غُلبٍ وضجرٍ واستعظام للمهنة ؟ دلل على ما تقول ؟

● الدعاء سبق ذكره في إجابة السؤال الأول .

● لا يدل على ذلك ، وإنما استقبل المحن راضيًا صابرًا محتسبًا .

● ويدل على ذلك عدم انتقامه من السفهاء الذين آذوه ، والزعماء الذين أغروا به أولئك السفهاء ، وهو قادر على ذلك بدليل ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة

---

(١) طبقات ابن سعد . ١٩٦/١. وسيرة ابن هشام ٤٤٦/٢ ، ٤٤٧ .

(٢) آل عمران . من الآية / ٢٠٠ .

رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ : يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

فقال : (لقد لقيت من قومك . وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال . فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي . فلم أستفق إلا بقرن الثعالب [1] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت . قال : فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك . وأنا ملك الجبال . وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت . إن شئت أطبق عليهم الأخشبين) [2] . فقال رسول الله : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا) [3] .

٤- (٦٣) ما معنى شكوى النبي ﷺ في دعائه بالطائف الذي تدل ألفاظه وصيغته على الضجر والملل من طول المحاولة التي لم تأت بنتيجة إلا الأذى والعذاب ؟

إن الشكوى إلى الله تعالى والضراعه له والتذلل بين يديه عبادة وطاعة تقربنا إليه ، وهذه حكمة أو ثمرة من ثمرات المحن والمصائب ، فلا تعارض بين الصبر على المكاره والشكوى إلى الله ، فالرسول ﷺ بصبره الشديد على المحن كان يعلمنا وظيفة المسلمين عامة والدعاة خاصة ، وبطول ضراعته والتجائه إلى الله كان يعلمنا وظيفة العبودية ومقتضياتها .

---

(١) قال القاضي : قرن الثعالب هو قرن المنازل .وهو ميقات أهل نجد ، وهو على مرحلتين من مكة . واصل القرن كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير .

(٢) الأخشبين : هما جبلا مكة : أبو قبيس والجبل الذي يقابله .

(٣) صحيح البخاري . وصحيح مسلم . واللفظ له . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٣٩ (ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين) ١٤٢٠/٣ ، ١٤٢١ (١٧٩٥) .

٥- (٦٤) في كل ما كان يجده ﷺ من الأذى في مشاهد سيرته مع قومه نجد ردًا إلهيًا على ذلك الإيذاء وما يهدف إليه أربابــه . فمـا الحكمـة مـن الـرد الإلهـي ؟ ومثل لذلك ؟

● **الحكمة من الرد الإلهي :** تتمثل في مواساة وسلوى للرسول ﷺ ، وأن اللـه جـل ثنـاؤه معـه ونـاصره وغير خاذلـه ، وكـي لا يتجمـع فـي النفس مـن عوامـل التـألم والضجر ما يدخل إليها اليأس .

● **ومثال ذلك :** في مشهد هجرتـه ﷺ إلـى الطـائف ، ومـا قـد اكتنفهـا مـن العـذاب المضني : عذاب الإيذاء وعذاب الخيبة ، نجد ردًا إلهيًا واضحًا علــى سفاهة أولئـك الذيــن آذوه ولحقـوا بـه ، واعتذارًا لهم عن سفاهتهم وغلظتهم . نجد ذلك في مظهـر الرجل النصراني (عداس) حينما جاء يسعى إليه وفي يده طبق من عنب ، ثم انكـب فجعل يقبل رأسه ويديه ورجليه وذلك عندما أخبره ﷺ أنه نبي .

٦- (٦٥) ماذا تستفيد من وقايــة زيـد بـن ثـابت ﷺ للرسـول ﷺ بنفسـه مـن حجارة السفهاء حتى شج في رأسه عدة شجاج ؟

أستفيد من ذلك أنه على المسلمين أن يضحـوا بالمـال وبـالجهد وبـالأرواح وبكل شيء لحماية النبي ﷺ ، وإن هذا من مقتضيات ديننا الحنيف ، وقد قـام بذلـك الصحابة ﷺ على أحسن وجه .

وأما بعد موته ﷺ ، فنحقق ذلك بالآتي :

١- أن لا نضـن على أنفسـنا بالمحن والعذاب في سبيل الدعوة الإسـلامية ، دعـوة النبي ﷺ ، وأن نسهم بشيء من تحمل الجهد والمشاق التي تحملها ﷺ .

٢- أن نكون لقادة الدعوة الإسلامية - الذين يخلفون قيادة النبـي ﷺ فـي الدعـوة - جنودًا مخلصين لهم ، نفديهم بالمهج والأموال ن كما كان شأن المسلمين مع رسـول الله ﷺ .

٧- (٦٦) اذكـر قصـة اسـتماع الجـن للنبـي ﷺ وهـو يصلـي بعـد عودتـه مــن الطائف ؟ وبين بالأدلة حكم الإيمان بوجودهم ؟

● سبق ذكر القصة في إجابة السؤال الأول .

● يجب على المسلمين أن يؤمنوا بوجود الجن لأن ذلك ثابت بالقرآن والسنة ، وبما أجمعت عليه الأمة ومما علم من الدين بالضرورة ، قال تعالى : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنًا عجبًا** ﴾ (1) ، والآيات في ذلك كثيرة ، وكذلك الأحاديث ومنها القصة السابقة ، وقد أخرجها البخاري ومسلم والترمذي إضافة إلى ابن إسحق .

وأما من أنكر وجود الجن أو شك فيه فقد كفر وارتد عن الإسلام لأنه أنكر شيئًا من القرآن والسنة ، وكوننا لا نراهم لا يدل على عدم وجودهم ، فكثير من الأشياء لا تُرى مع أنها موجودة ، والقاعدة العلمية تقول : عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود .

٨- (٦٧) اذكر القصة التي رواها ابن إسحق في استماع الجن للنبي ﷺ وهو يصلي بنخلة ؟ واذكر الاختلاف بينها وبين ما رواه البخاري ومسلم والترمذي ؟ واذكر الإشكال في الرواية الأخرى ؟ وكيف تجيب عليه ؟

● **القصة** : التي ساقها ابن إسحق ورواها ابن هشام سبق ذكرها في إجابة السؤال الأول .

● **ما رواه البخاري ومسلم والترمذي يختلف عما رواه ابن إسحق من ناحيتين :**

الأولى : أن رواية ابن إسحق خالية عن الإشارة إلى أنه كان يصلي بأصحابه . بل هي تفيد أنه كان يصلي منفردًا ، في حين أن الروايات الأخرى ذكرت أنه كان يصلي بأصحابه .

الثانية : أن رواية ابن إسحاق ليس فيها تقييد الصلاة بالفجر ، والروايات الأخرى تنص على أنه كان يصلي الفجر .

فأما رواية ابن إسحاق فلا إشكال فيها .

● **غير أن الرواية الأخرى تشكل من ناحيتين :**

---

(١) الجن / ١ .

الأولى : أن النبي ﷺ لم يكن معه في ذهابه إلىالطائف ورجوعه منها إلا زيد بن حارثة . فكيف يستقيم أنه كان يصلي بطائفة من أصحابه ؟

الثانية : أن الصلوات الخمس لم تُشرع إلا ليلة الإسراء والمعراج . وإنما كان المعراج بعد ذهاب الرسول إلى الطائف – على ما ذهب إليه كثيرٌ من المحققين – فكيف يستقيم أنه كان يصلي الفجر ؟

والجواب على الإشكال الأول : أنه يحتمل أن يكون قد التقى ببعض أصحابه عندما وصل إلى نخلة فصلى بهم الفجر هناك .

أما الإشكال الثاني : فجوابه أن يقال بأن حادثةالجن واستماعهم للقرآن منه ﷺ تكرر أكثر من مرة . فقد رويت مرة عن ابن عباس ورويت بصورة أخرى عن ابن مسعود . وكل منهما صحيح . وهذا ما ذهب إليه جمهور المحققين [1] هذا على القول بأن حادثة الإسراء والمعراج كانت بعد الهجرة إلى الطائف أما على القول بأنها كان قبل ذلك فلا إشكال البته .

٩– (٦٨) ما موقع كل ما رآه النبي ﷺ في سياحته في الطائف وما هو أثر ما عاناه في نفسه ؟ وما الدليل ؟ وما هي الفائدة التعليمية لنا في هذا الأمر ؟

- **موقع المعاناة وأثرها :** لم يكن لتلك المعاناة أي تأثير على ثقته ﷺ بالله تعالى ، أو على قوة عزيمته ، وإنما كان يقين النبوة ثابتًا في قلبه ﷺ ، فهو يعلم أنه ينفذ أمر الله ، وأنه سبحانه ناصر دينه ، وجاعل لكل شيء قدرًا .
- **الدليل :** يدلنا على ذلك إجابته على سؤال زيد له : كيف تعود يا رسول الله إلى مكة وهم أخرجوك ؟ فقال له : (**يا زيد إن ا لله جاعل لما ترى فرجًا ومخرجًا . وإن ا لله ناصر دينه ومظهر نبيه**) .
- **الفائدة التعليمية :** هي أن لا تصدنا المحن والعقبات عن الاستمرار في طريق الدعوة الإسلامية ، لأننا نسير على هدى الله وتوفيقه ، ونستمد قوتنا منه سبحانه ، بخلاف الذين يسيرون في طرق المبادئ الباطلة ، فهؤلاء يصيبهم الكسل والقنوط واليأس والتخاذل نتيجة العقبات والمحن .

---

(١) انظر عيون الأثر . لابن سيد الناس ١١٨/١ . وفتح الباري ٤٧٢/٨ .

١١- معجزة الإسراء والمعراج

١- (٦٩) اذكر قصة الإسراء والمعراج ؟ وبين موقف المشركين منها ؟

● أما قصة ذلك فقد رواها البخاري ومسلم بطولها .

وفيها أنه ﷺ أتي بالبراق ، وهو دابة فوق حمار ودون بغل ، يضع حا ره عند منتهى طرفه [1] .. وفيها أنه ﷺ دخل المسجد الأقصى فصلى فيه ركعتين ، ـم أتاه جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاختار عليه الصلاة والسلام اللبن .. فقال جبريل : اخترت الفطرة .. وفيها أنه عرج [2] به ﷺ إلى السماء الأولى فالثا ية فالثالثة .. وهكذا حتى ذهب به إلى سدرة المنتهى وأوحى ا لله إليه عندئذ ما أوحى .. وفيها فرضت الصلوات الخمس على المسلمين ، وهي في أصلها خمسون صلا في اليوم والليلة [3] .

● موقف المشركين من قصة الإسراء والمعراج :

ولما كانت صبيحة اليوم التالي وحدث رسول ا لله ﷺ الناس بما شاه ، طفق [4] المشركون يجمع بعضهم بعضًا ليتناقلوا هذا الخبر الطريف ويضحكوا منه ، وتحداه بعضهم أن يصف لهم بقايا بيت المقدس ما دام أنه قد ذهب إليه وصلى فيه ، والرسول حينما زاره لم يخطر في باله أن يجيل النظر في أطرافه ويحفظ أشكاله وعدد سواريه ، فجلّى له ا لله ﷻ صورته بين عينيه ، وأخذ يصفه لهم وصفًا تفصيليًا ـما يسألون . روى البخاري ومسلم عن رسول ا لله ﷺ أنه قال : (لما كذبتني قريـ . قمت في الحجر ، فجلى [5] ا لله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أ ظر إليه) [6] .

---

(١) منتهى طرفه : آخر شيء يقع عليه بصرة . (٢) عُرج : صُعد . من العروج : الصعـ د . انظر النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٢٠٣/٣ . (٣) إذا أردت الوقوف على ـة الإسراء والمعراج فارجع إلى : صحيح البخاري (حديث الإسراء ...) ب (المعراج) ٧/ ١٥ - ١٧٣ . أو صحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ٧٤ (الإسراء برسول ا لله ﷺ ...) ١/ ١٤ - ١٥٤ (١٦٢ - ١٦٨) . أو أي مصدر من مصادر السنة الصحيحة واحذر ك (معراج ـن عباس) فهو مليء بالأباطيل وابن عباس منه بريء . (٤) طفق : "بمعنى أخذ في الـ عل وجعل يفعل ، وهي من أفعال المقاربة" . النهاية . لابن الأثير ١٢٩/٣ . (٥) فجلّى : كـ ف وأظهر . (٦) صحيح البخاري . وصحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ٧٥ (ذكرالمسيح بن مريم ...) ١/ ١٥٦ (١٧٠) .

أما أبو بكر ﷺ فقد حدثه بعض المشركين عما يقوله الرسول ، رجاء أن يستعظمه فلا يصدقه ، فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق ، إني لأصدقه على أبعد من ذلك .

● وفي صبيحة ليلة الإسراء جاء جبريل وعلم رسول الله ﷺ كيفية الصلاة وأوقاتها وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلي ركعتين صباحًا ومثليها مساءً كما كان يفعل إبراهيم عليه السلام .

٢- (٧٠) ما المقصود بالإسراء والمعراج ؟ وما تاريخه ؟ وهل كان بالجسم أم بالروح وما الدليل ؟ وكيف تمت هذه المعجزة ؟ وكيف يتصورها العقل ؟

● **المقصود بالإسراء :** الرحلة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ من المسجد الحرام بمكة ، إلى المسجد الأقصى بالقدس .

● **المقصود بالمعراج :** هو ما أعقب ذلك من العروج والصعود به ﷺ إلى طبقات السموات العلا ، ثم الوصول به إلى حد انقطعت عنده علوم الخلائق من ملائكة وإنس وجن ، كل ذلك في ليلة واحدة .

● **تاريخه :** كان قبل الهجرة بعام ونصف ، كما روى ابن سعد في طبقاته الكبرى .

● **جمهور المسلمين على أنه كان بالجسم والروح معًا للأدلة الآتية :**

١- قوله تعالى : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ [1] فقوله : ﴿ **بعبده** ﴾ يدل على أنه بالروح والجسد معًا ، فلم يقل بروحه ، أو بجسده .

٢- استعظام المشركين لحادثة الإسراء والمعراج ، وتعجبهم لذلك وتكذيبهم السريع ، وتحديهم للنبي ﷺ بأن يصف لهم بيت المقدس ، فلو أخبرهم ﷺ أنها بالروح أي : رؤيا منامية ، لما استعظموا ذلك ، لأن المرئيات في النوم لا حدود لها .

● **تمت هذه المعجزة :** كما تتم كل معجزة في الكون والحياة ؛ فالإنسان معجزة وكذا الشمس والنبات ... إلخ .

---

(١) الإسراء . من الآية / ١ .

● **يتصورها العقل** : كما يتصور معجزات الكون المختلفة ؛ كالأرض مثلاً فهي تسبح في الهواء دون أن تقع ، رغم ضخامتها ، وما تحمله على متنها من جبال ، وبحار ، ومحيطات ، وإنس ، وجن ، وحيوان ، ونبات .. إلخ .

٣- (٧١) اذكر نظرية بعض الباحثين المسلمين بشأن معجزات النبي ﷺ ؟ واذكر منبعها وأسماء أصحابها من الأجانب والمسلمين ؟ وبين هدفهم منها ؟ ما هو ردك عليهم ؟

● **النظرية** : تقوم هذه النظرية على المبالغة في تصوير حياة النبي ﷺ على أنها حياة بشرية عادية ، لم تكن معقدة وراء الخوارق والمعجزات ، بل كان منكرًا لها ، غير عابئ بها ، ولا ملتفت إلى المطالبين بها ، ويكثرون من الاستدلال بمثل قوله تعالى : ﴿ **قل إنما الآيات عند الله** ﴾ [1] ، بحيث يُخيل للقارئ أن سيرته ﷺ كانت بعيدة جدًا عن المعجزات التي يؤيد الله بها أنبياءه .

● **منبعها وأصحابها** : هذه النظرية نبعت من فكرة بعض المستشرقين والباحثين الأجانب من أمثال : غوستاف لوبون ، وأوجست كونت ، وهيوم ، وجولد زيهر ، وأساسها عندهم : عدم الإيمان بخالق المعجزات أولاً ، لأن الإيمان به يسهل الإيمان بالمعجزات وبكل ما جاء به النبي ﷺ .

وقد تلقف هذه النظرية منهم بعض المسلمين الذين خدعوا بزخرف قولهم ، وتأثروا ببريق حضارتهم ، ومنهم : الشيخ محمد عبده ، ومحمد فريد وجدي ، وحسين هيكل .

● **هدفهم منها** : يهدف المستشرقون من هذه النظرية إلى إبعاد شخص النبي ﷺ عن الخوارق والمعجزات التي تقتضي نبوته ورسالته ، ويروجون بدل ذلك صفات البطولة والعبقرية والقيادة ونحوها ، وذلك لتتكون - مع مرور الزمن - صورة جديدة عن النبي ﷺ في أذهان المسلمين وهي : محمد العبقري ، أو محمد القائد ، أو محمد البطل بدلاً من (محمد النبي والرسول) . ليصلوا في النهاية إلى نفي النبوة

---

(١) الأنعام . من الآية / ١٠٩ .

والرسالة عنه ، بنفي مستلزماتها من معجزات ووحي وغيبيات .

- أرد على هذه النظرية الباطلة الهادفة بما يلي

١- إن معنى المعجزة قائم في أصل كيانه ﷺ باعتباره نبي ورسول ؛ فلا يتسنى نفي المعجزات والخوارق عنه إلا بهدم معنى النبوة ونسخها من حياته .

٢- إذا تأملنا في سيرته ، ووقائع حياته ، نجد هذه المعجزات والتي منها : نبع الماء من بين أصابعه في أكثر من موطن ، وانشقاق القمر ، والإسراء والمعراج ، وهي ثابتة في القرآن والسنة الصحيحة .

٣- إن الكون كله بكلياته وجزيئاته معجزات ، فالكواكب والنجوم والأرض ، والنباتات والأشجار ، والحيوان والطير ، والإنسان ، والعين ، والقلب ، والدورة الدموية ... إلخ كلها معجزات ، فكما نؤمن بهذه المعجزات التي خلقها الله ، نؤمن كذلك بالمعجزات التي أجراها الله على يد نبيه ﷺ باعتباره رسوله .

٤- (٧٢) ما موقع معجزة الإسراء والمعراج من الأحداث التي كانت تمر برسول ا لله ﷺ في ذلك الحين ؟

جاءت ضيافة الإسراء والمعراج بعد الإيذاء والتكذيب في مكة والطائف تكريمًا من الله تعالى للنبي ﷺ ، وتجديدًا لعزيمته وثباته ، وتأكيدًا ودليلاً على أن ما لاقاه من قومه ليس بسبب تخلي الله عنه أو غضبه عليه ، وإنما هي سنة الله مع أوليائه ، وهي سنة الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان .

٥- (٧٣) ما المعنى الموجود في الإسراء به ﷺ إلى بيت المقدس ؟

إن في الاقتران الزمني بين إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس والعروج به إلى السموات السبع دلالات مهمة منها :

١- أهمية بيت المقدس ومكانته وقدسيته عند الله تعالى .

٢- الرابطة القوية والوثيقة بين المسجد الحرام في مكة المكرمة وبين المسجد الأقصى في القدس الشريف .

٣- العلاقة الوثيقة بين ما بعث به كل من عيسى بن مريم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، ورابطة الدين الواحد القائمة بين الأنبياء عليهم السلام .

٤- وجوب حفاظ المسلمين وحمايتهم للأرض المقدسة على مر الأزمان ، وهو ما ينبغي أن يفعله مسلموا هذا الزمان .

٦- (٧٤) ما هي الدلالة الرمزية المستفادة من اختياره ﷺ للبن على الخمر حينما قدمها له جبريل عليه السلام ؟

الدلالة الرمزية هي أن الإسلام إنما هو دين الفطرة ، أي المنسجم في عقيدته وأحكامه كلها مع ما تقتضيه نوازع الفطرة الإنسانية الأصيلة ، وهذا من أسرار سعة انتشاره وسرعة تقبل الناس له .

٧- (٧٥) ما رأيك في كتاب : (معراج ابن عباس) ؟ وما هو موقف دعاة السوء منه ولماذا ؟

● **رأيي** : هو كتاب ملفق من مجموعة أحاديث باطلة لا أصل لا ولا سند مكذوبة على ابن عباس ، بدليل أن ابن عباس لم يؤلف أي كتاب في معراج الرسول ﷺ ، بل وما ظهرت حركة التأليف إلا في أواخر عهد الأمويين .

● **موقف دعاة السوء** : أنهم تقبلوه ومدحوه وروجوا له ، لأنهم وجدوا فيه من الأكاذيب المنسوبة إلى رسول الله ﷺ ما يشوش أفكار المسلمين ، ويلبس عليهم دينهم ، ويزعزع إيمان كثير منهم .

١٢- عرض الرسول نفسه على القبائل وبدء إسلام الأنصار

١- (٧٦) اذكر ما تعرفه عن عرض الرسول نفسه على القبائل وبدء إسلام الأنصار ؟

● كان النبي ﷺ ، خلال هذه الفترة كلها ، يعرض نفسه في موسم الحج من كل سنة على القبائل التي تتوافد إلى البيت الحرام ، يتلوا عليهم كتاب ا لله ويدعوهم إلى توحيد ا لله فلا يستجيب له أحد .

يقول ابن سعد في طبقاته : كان رسول ا لله ﷺ يوافي الموسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز [١] ، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدًا ينصره ، ويقول : (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا ا لله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم العجم ، وإذاآمنتم كنتم ملوكًا في الجنة) ، وأبو لهب وراءه يقول : "لا تطيعوه فإنه صابئ [٢] كاذب" ، فيردون على رسولا لله أقبح الرد ويؤذونه [٣] .

● وروى ابن إسحاق عن الزهري أن النبي ﷺ أتى بني عام بن صعصعة ، فدعاهم إلى ا لله عز وجل ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم يقال له بيحرة ابن فراس : وا لله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ، ثم قال : أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك ا لله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : (الأمر إلى ا لله ، يضعه حيث يشاء) ، قال ، فقال له : أفنهدف نحورنا [٤] للعرب دونك ، فإذا أظهرك ا لله كان الأمر لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك [٥] .

---

(١) هذه أسماء مواضع في مكة .

(٢) صابئ : "يقال : صبأ فلان إذاخرج من دينٍ إلى دين غيره .. وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصابئ ؛ لأنه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام" . النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٣/٣ .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٠٠/١ ، ٢٠١ . وروى ابن إسحاق نحوه . انظر سيرة ابن هشام ٤٤٧/٢ ، ٤٤٨ .

(٤) أفنهدف نحورنا : أي نصيرها هدفًا ، والهدف : الغرض الذي يرمى بالسهام إليه .

(٥) سيرة ابن هشام ٤٤٩/٢ . وتاريخ الطبري ٣٥٠/٢ .

● وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على القبائل شأنه في كل عام ، فبينما هو عند العقبة (موضع بين منى ومكة منها ترمى جمرة العقبة) لقي رهطًا [1] من الخزرج أراد الله بهم الخير ، فسألهم : (من أنتم ؟) . قالوا : نفر من الخزرج . قال : (أمن موالي يهود ؟) . قالوا : نعم . قال : (فلا تجلسون أكلمكم ؟) . قالوا : بلى . فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ﷻ وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

وكان مما مهد أفئدتهم لقبول الإسلام ، أن اليهود كانوا معهم في بلادهم ، ومعلوم أنهم أهل كتاب وعلم ، فكان إذا وقع بينهم وبين اليهود نفرة أو قتال ، قال لهم اليهود : إن نبيًا مبعوث الآن قد أظل زمانه ، سنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم الرسول هؤلاء النفر ، ودعاهم إلى الإسلام ، نظر بعضهم لبعض وقالوا : "تعلموا والله أنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه" .

فأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك . ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل [2] .

٢- (٧٧) لماذا جاءت النصرة لمحمد ﷺ من خارج قريش بعيدة عن قومه على الرغم من جواره معهم واحتكاكهم به ؟

اقتضت حكمة الله عز وجل أن يكون أنصاره الأول من غير بيئته وقومه ، بل من المدينة المنورة ، وذلك حتى لا يظن ظانّ بأن دعوة الرسول ﷺ كانت في حقيقتها دعوة قومية ، حاكتها رغبات قومه وظروف بيئته . وهذا يدل على أن الدعوة النبوية وظروفها تحوطها العناية الإلهية ؛ كي تكون خالية من أي ثغرة يستغلها المشككون والمستشرقون .

---

(١) كانوا ستة وهم : أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر ، وعقبة بن عامر .

(٢) رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن أشياخ من قومه . وانظر سيرة ابن هشام ٢/٣٥٤ .

٣- (٧٨) إن الله قد مهد حياة المدينة وبيئتها لقبول الدعـوة الإسـلامية . وإنـه كان في صدور أهل المدينة تهيؤ نفسي لقبول هذا الدين . فمـا هـي مظـاهر هـذا التهيؤ النفسي ؟

كـانت المدينــة المنــورة تتكـون مــن قبيلتيــن عربيتيـن وهمــا : الأوس ، والخزرج ، ومن ثلاثة قبائل يهودية وهـي : بنـي قريظـة ، وبنـي النضـير ، وبنـي قينقاع .

وقد أثار اليهود - كعـادتهم - الفتـن بيـن الأوس والخـزرج حتـى أدخلوهـم فـي حـروب متلاحقـة يفنـي فيهـا بعضـهم بعضًـا ، واسـتمرت الحـروب بينهـم مائـة وعشرين سنة .

وفي غمـار هـذه الخصومـة الطويلـة حـالف الأوس بنـي قريظـة ، وحـالف الخـزرج بنـي النضـير وبنـي قينقـاع . وكـان آخـر تلـك الحـروب الطاحنـة معركـة بعاث قبل الهجرة بسنوات قليلـة وكـان يومًـا عظيمًـا مـات فيـه أكـثر رؤسـاء الأوس والخزرج .

وفي أثنـاء ذلـك كـان كلمـا وقـع شـيء بيـن العـرب واليهـود ، هـدد اليهـود العـرب : بأن نبيًا قد آن أوان بعثته ، وأنـهم سـيكونون مـن أتباعـه ، ويقتلونـهم معـه قتل عادٍ وإرم . فهذه الظروف جعلت أهل المدينة يتطلعون إلى هـذا الديـن ، عسـى أن تتوحد بفضله صفوفهم ، وتذوب أسباب الفرقة والشقاق ممـا بينهـم ، وأرادوا أن يسبقوا اليهود إلى الإيمان بهذا النبي ﷺ .

١٣- بيعة العقبة الأولى

١- (٧٩) اذكر ما تعرفه عن بيعة العقبة الأولى ؟

انتشر الإسلام خلال تلك السنة في المدينة ، ولما كان العام الذي يليه ، و فى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء (أي على نمطها في البند التي بايع النساء عليها ، أي إنه لم يبايعهم فيها على الحرب والجهاد ، وكانت بيعة النساء ثاني يوم الفتح على جبل الصفا بعدما فرغ من بيعة الرجال) وكان منهم : أسعد بن زرارة ، ورافع بن مالك ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الهيثم بن التيهان .

وقد روى عبادة بن الصامت خبر هذه المبايعة ، فقال . كنا اثني عشر رجلاً ، فقال لنا رسول الله ﷺ : (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان [١] تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه) . قال : فبايعناه على ذلك [٢] .

فلما أرادوا الانصراف بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين ، فكان يسمى مقرئ المدينة .

٢- (٨٠) كيف كانت صورة إسلام عدد من كبار أهل المدينة في بيعة العقبة الأولى ؟ وما هي حدود مسؤولياتهم التي حملهم الإسلام إياها ؟ ولماذا خلت بنود المبايعة من ذكر الجهاد ؟ ولم كانت على نمط بيعة النساء ؟

---

(١) ببهتان : من البُهتْ : وهوالكذب والافتراء . انظر : النهاية في غريب الحديث . ابن الأثير ١/١٦٥.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . واللفظ له . ك (أحاديث الأنبياء) ب (وفود الأنصار و بيعة العقبة) ٧/١٧٦ . وصحيح مسلم . ك ٢٩ (الحدود) ب ١٠ (الحدود كفارات لأهلها) ٣/١٣٣٣ (١٧٠٩) .

● **صورة إسلامهم :** كانت بالجزم القلبي بالشهادتين ، والنطق اللساني بهما .

● **مسؤولياتهم :** كانت التزامًا للبيعة التي أخذها رسول الله ﷺ عليهم : أن ينصبغ سلوكهم بالصبغة الإسلامية عن طريق التمسك بنظمه وأخلاقه وعامة مبادئه . أخذ عليهم أن لا يشركوا بالله شيئًا ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصوا رسول الله ﷺ في أي معروف يأمرهم به .

● **خلت بنود المبايعة من ذكر الجهاد والقتال :** لأنه لم يكن قد شرع بعد .

● **سميت بيعة النساء :** لأنها على غرار بيعة النساء من حيث خلوها من ذكر الجهاد في سبيل الله تعالى .

٣- (٨١) ما علاقة الذين يدخلون في الإسلام بعبء تبليغ دعوة الله ؟ وهل يجوز إطلاق كلمة (رجال دين) على فئة من المسلمين ؟ وما علاقة هذا بالعلماء ؟

● **العلاقة :** إنه يجب عليهم أن يبلغوا دعوة الله إلى الناس ؛ بدليل إرسال النبي ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة المنورة ليبلغ دعوة الله إلى الناس ويعلمهم القرآن والصلاة ، ذلك أن الدعوة إلى الله ليست مهمة الرسل والأنبياء وحدهم ، ولا ورثتهم العلماء ، ولكنها جزء من حقيقة هذا الدين ، يجب على كل مسلم أن يقوم بها مهما كان عمله واختصاصه .

● **لا يجوز ذلك :** فالمسلمون كلهم رجال لهذا الدين ، ذلك أن كل من دخل الإسلام فقد بايع الله ورسوله على الجهاد من أجل هذا الدين ، ذكرًا أو أنثى ، عالمًا أو جاهلاً ، ومهما كان شأنه أو اختصاصه ، فالله اشترى منهم أرواحهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يضحون بكل شيء في سبيل إقامة دينه ونصر شريعته .

● **علاقة هذا بالعلماء :** هذا كله لا علاقة له بما للعلماء من اختصاص البحث والاجتهاد وتبصير المسلمين بأحكام دينهم ، وحل مشكلاتهم ، على ضوء نصوص الشريعة الثابتة مع الزمن .

١٤- بيعة العقبة الثانية (بيعة الحرب)

١- (٨٢) اذكر ما تعرفه عن بيعة العقبة الثانية - بيعة الحرب - ؟

٢- (...) ما تاريخ بيعة العقبة الثانية ؟ وكيف اجتمع الأنصار بالنبي ﷺ ؟ وعلى أي شيء بايعهم ؟ وما موقفهم من ذلك ؟ وما شأن النقباء الذين عينهم عليهم ؟ وما موقف قريش من كل ذلك ؟ وما الشروط الزائدة عما في بيعة العقبة الأولى ؟

● ثم أن مصعب بن عمير عاد إلى مكة في موسم العام التالي ، ومعه جمع كبير من مسلمي المدينة ، خرجوا مستخفين مع حجاج قومهم المشركين .

● قال محمد بن إسحاق يروي عن كعب به مالك : فواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق [(١)] . فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، نمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا [(٢)] مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب [(٣)] عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نسيبة بنت كعب ، وأسماء بنت عمرو بن عدي .

● قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، فتكلم القوم وقالوا : خذ منا لنفسك ولربك ما أحببت .. فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام ثم قال : (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) .

● فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : "نعم ، والذي بعثك بالحق نبيًا لنمنعنك مما

---

(١) أيام التشريق : "وهي ثلاثة ايام تلي عيد النحر [الأضحى] ، سُميت بذلك من تشريق اللحم ، وهو تقديده وبسطه في الشمس ليجف ، لأن لحوم الأضاحي كانت تُشَرَّق فيها : منى . وقيل : سُميت به لأن الهَدْي والضحايا لا تُنحر حتى تشرق الشمس : أي تطلع" . النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٤٦٤/٢ . (٢) القطا : اسم طائر من الطيور . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٣٧٩/٤ . (٣) الشعب : هو الطريق في الجبل ، أو ما انفرج بين الجبلين . انظر : المرجع السابق ٨٨/١

نمنع منه أزرنا [(١)] ، فبايعنا يا رسول ا لله ، فنحن وا لله أبناء الحروب وأهل الحلقة (أي السلاح كله) ورثناها كابرًا عن كابر" .

فاعترض القول - والبراء يتكلم - أبو الهيثم بن التيهان فقال : "يا رسول ا لله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك ا لله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟" .

فتبسم رسول ا لله ﷺ ثم قال : (بل الدم الدم والهدم الهدم [(٢)] ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) .

● وقد كان قال رسول ا لله ﷺ : (أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا [(٣)] ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبًا ، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فلما تخيّرهم قال للنقباء : أنتم كفلاء [(٤)] على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي) .

وكان أول من ضرب على يد رسول ا لله ﷺ البراء بن معرور ثم بايع القوم كلهم بعد ذلك .

فلما بايعنا رسول ا لله ﷺ قال : (ارفضوا [(٥)] إلى رحالكم) [(٦)] ، فقال له العباس بن عبادة بن نفلة : "وا لله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا" ، فقال رسول ا لله ﷺ : (لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم) .

---

(١) أزرنا : أي نساءنا وأهلنا ، والمرأة يُكنى عنا بالإزار . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٤٥/١ .

(٢) الهَدْم : "هو إهدار دم القتيل ... والمعنى : إن طُلب دمُكم فقد طُلب دمي ، وإن أُهدر دمُكم فقد أُهدر دَمي ، لاستحكام الألفة بيننا ، وهو قول معروف للعرب ، يقولون : دمي دمي وهدمك هدمي ، وذلك عند المعاهدة والنصرة" . المرجع السابق ٢٥١/٥ .

(٣) نقيبًا : مفرد نقباء ، وهو كالعريف على القوم المقدم عليهم ، الذي يتعرف أخبارهم . وينقِّب أي يفتش عن أحوالهم . انظر : المرجع السابق ١٠١/٥ .

(٤) كفلاء : أي : قائمون وضامنون . انظر : المرجع السابق ١٩٢/٤ .

(٥) ارفضوا : تفرقوا . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٢٤٢/٢ .

(٦) رحالكم : منازلكم جمع رحل ، وتطلق على : الدور والمساكن والمنازل . انظر المرجع السابق ٢٠٩/٢ .

● فرجعنا إلى مضاجعنا [1] ، فنمنا عليها حتى أصبحنا ، فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش [2] ، فقالوا : يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب [3] بيننا وبينهم منكم .

فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله : ما كان من هذا شيء وما علمناه . وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : "وبعضنا ينظر إلى بعض" .

ونفر الناس من منى ، فتحرى القوم الخبر فوجدوا أن الأمر قد كان . فخرجوا في طلبنا فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو – وكلهما كان نقيبًا – فأما المنذر فأعجز القوم فهرب ، وأما سعد فأخذوه ، فربطوا يديه إلى عنقه بشراك رحله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجبهته ، وكان ذا شعر كثير .

قال سعد : فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني ، إذ أقبل إليّ رجل ممن كان معهم ، فقال : "ويحك .. أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟" قلت : "بلى والله ، لقد كنت أجير لكل من جبير بن مطعم والحارث بن أمية تجاره مما وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي" ، قال : "ويحك ، فأهتف باسمهما" ، قال : ففعلت ، فجاء مطعم بن عدي والحارث بن أمية فخلصاه من أيديهم .

● قال ابن هشام : وكانت لبيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطًا سوى شرطه عليهم في بيعة العقبة الأولى . كانت الأولى على بيعة النساء ، وذلك أن الله لم يكن أذن لرسوله ﷺ في الحرب ، فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله ﷺ في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب ، على

---

(1) مضاجعنا ، مواضع نومنا . انظر : النهاية . لابن الأثير ٧٤/٣ . والقاموس المحيط . للفيروز أبادي ٥٥/٣ .

(2) جِلة قريش : عظماء قريش . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٢٨٨/١

(3) تنشب الحرب : تشتبك الحرب . انظر : المرجع السابق ٥٢/٥ .

السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا [1] ومنشطنا ومكرهنا [2] وأثرة علينـا [3] ، وأن لا ننازع الأمر أهله [4] ، وأن نقول بالحق أينما كنا . لا نخاف في ا الله لومة لائم [5] .

٢- (٨٣) ما الفرق بين بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبـة الثانيـة ؟ ومـا سـببه ؟ وفيم اتفقت البيعتان ؟

● **الفرق بين البيعتين يتمثل في الآتي :**

١- أن عدد المبايعين من أهل المدينة في المرة الأولى كان اثنى عشـر ، أمـاعددهم في البيعة الثانية فقد كان بضعة وسبعين بينهم امر أتان .

٢- أن البنود المنصوص عليهـا فـي البيعـة الولـى خاليـة عـن الإشـارة إلـى الجهـاد بالقوة ، ولكنها في البيعـة الثانيـة تضمنـت الإشـارة بـل التصريـح بضـرورة الجهـاد والقتال والدفاع عن رسول الله ﷺ ، والدعوة إلى دينه بكل وسيلة .

● **سبب الفرق بين البيعتين :**

١- إن الإسـلام – خـلال السنة الواقعـة بيـن البيعتيـن – انتشـر فـي المدينـة وكـثر معتنقوه ، ولذلك زاد المبايعون للنبي ﷺ فـي بيعـة العقبـة الثانيـة ، عنهـم فـي بيعـة العقبة الأولى .

٢- إنه لم يكن ثمة ما يستوجب مبايعتهم على القتال في بيعة العقبة الأولى ، ما دام الإذن به لم يأت بعد ، وما دام المبايعون سيلتقون بعد عام مرة أخـرى برسـول اللـه ﷺ .

● **اتفقت البيعتان :** باعتبار أن كل منهما إعلان عن الدخول في الإسلام أمام رسول

---

(١) عسرنا ويسرنا : فقرنا وغنانا . (٢) منشطنا ومكرهنا : أي ما نحب وما نكره مما هـو موافق لنشاطنا وهوانا ، أو مخالف له مما نكره وليس بمعصية .

(٣) وأثرة علينا : الأثرة : الاستئثار والاختصـاص بـأمور الدنيـا ، أي : عليكـم الطاعـة وإن اختص الأمراء بالدنيا و لم يوصلوكم حقكم مما عندهم .

(٤) لا ننازع الأمر أهله : أي لا ننازع أصحاب السلطان سلطانهم (وفي حديـث) مـا أقـاموا الصلاة فيكم (وفي حديث آخر) إلا أن تروا منهم كفرًا بواحًا .

(٥) انظر : سيرة ابن هشام ٤٦١/٢ وما بعدها . ومسند أحمد . وتاريخ الطبري .

الله ﷺ ، وأخذ للمواثيق والعهود على السمع والطاعة والإخلاص لدين الله ، والانصياع لأوامر رسوله ﷺ .

٣- (٨٤) هل بيعة العقبة الثانية - بيعة الحرب - تدل على مشروعية القتال حينئذٍ ؟ وما الدليل ؟

● **لا تدل** : إذ ليس في بنود تلك البيعة ما قد يدل على مشروعية القتال حينئذ ، لأن النبي ﷺ إنما أخذ على أهل المدينة عهد الجهاد نظرًا للمستقبل ، عندما سيهاجر إليهم ، ويقيم بينهم في المدينة .

● **والدليل** : أن العباس بن عبادة قال بعد البيعة : والله الذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غدًا بأسيافنا . فقال رسول الله ﷺ : (**لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم**) .

٤- (٨٥) متى أذن بالقتال ؟ ولماذا ؟ وما هي الآية الأولى الدالة على الإذن بالقتال ؟

● **أذن بالقتال** : بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة .

● **أذن لسببين :**

١- حتى يسبق القتال تعريف بالإسلام ، ودعوة إله ، وإقامة لحججه ، وحل للمشكلات التي قد تقف في سبيل فهمه .

٢- اقتضت رحمة الله بعباده أن لا يحملهم واجب القتال إلى أن توجد لهم دار إسلام يأوون إليها ويلوذون بها ، فكانت المدينة المنورة أول دار في الإسلام .

● **الآية الأولى الدالة** : هي قوله تعالى : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا إن الله على نصرهم لقدير** ﴾ [1] ، وقد نزلت بعد إخراج النبي ﷺ من مكة .

---

(١) الحج / ٣٩ .

١٥ - كلمة عامة عن الجهاد ومشروعيته

١- (٨٦) اذكر معنى الجهاد ؟ وغايته في الإسلام ؟ والمراحل التي تدرج فيها ؟ ثم المرحلة التي استقر عندها ودليلها ؟

● **معنى الجهاد** : هو بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله ، وإقامة المجتمع الإسلامي ، وبذل الجهد بالقتال نوع من أنواعه .

● **غايته** : هو إقامة المجتمع الإسلامي ، وتكوين الدولة الإسلامية الصحيحة .

● **مراحله** :

١- كان الجهاد في صدر الإسلام مقتصرًا على الدعوة السلمية مع الصمود في سبيلها للمحن والشدائد .

٢- شرع إلى جانب ذلك مع بدء الهجرة القتال الدفاعي ، أي : رد كل قوة بمثلها .

٣- شرع بعد ذلك قتال كل من وقف عقبة في طريق إقامة المجتمع الإسلامي ، على أن لا يقبل من الملاحدة والوثنيين والمشركين إلا الإسلام ؛ وذلك لعدم إمكان الانسجام بين المجتمع الإسلامي الصحيح وما هم عليه من الإلحاد أو الوثنية . أما أهل الكتاب فيقبل منهم الإسلام أو الجزية مع خضوعهم للمجتمع الإسلامي وانضوائهم في دولته .

● **المرحلة التي استقر عليها حكم الجهاد** : هي المرحلة الأخيرة، وهذا هو واجب المسلمين في كل عصر إذا توفرت لديهم القوة والعدة اللازمة ، ودليلها :

١- قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين** ﴾ [١] .

٢- قول النبي ﷺ : (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله**) [٢] .

---

(١) التوبة / ١٢٣ . (٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الجهاد) ب (دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام ...) ٦/٨٥ . وصحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ٨ (الأمر بقتال الناس ...) ١/٥١ ، ٥٢ (٢٠) .

٢- (٨٧) يقسم البعض الجهاد في سبيل الله إلى حرب دفاعية وأخرى هجوميا ، فما رأيك في ذلك ؟

لا معنى لهذا التقسيم ؛ إذ مناط شرعة الجهاد ليس الدفاع لذاته ولا الهجوم لذاته ، وإنما مناطه الحاجة إلى إقامة المجتمع الإسلامي بكل ما يتطلبه من النظم والمبادئ الإسلامية ، ولا عبرة بعد ذلك بكونه جاء هجومًا أو دفاعًا .

أما دفاع المسلم عن ماله أو عرضه أو أرضه أو حياته فهو قتال مشروع يسمى بقتال الصائل ، ولا علاقة له بالجهاد المصطلح عليه في الفقه الإسلامي .

٣- (٨٨) اذكر النظريتين اللتين أشاعهما المستشرقون عن الجهاد ؟ وما العلاقة بينهما ؟ وإلى أي شيء تهدفان ؟ وما موقف بسطاء المسلمين منهما ؟

● **النظريـة الأولـى :** هـي أن الإسـلام لـم ينتشـر إلا بحـد السـيف ، وأن النبـي ﷺ وأصحابه سلكوا مسلك الإكراه . فكان الفتـح الإسـلامي فتـح قهـر وبطـش ، لا فتح قناعة وفكر .

● **النظرية الثانية :** إن دين الإسلام دين سلام ومحبة ، لا يشرع الجهاد فيه إلا لرد العدوان المداهم ، ولا يحارب أهله إلا إذا أرغموا على ذلك وبودئوا به .

● **العلاقة بينهما :** أنهما متناقضتان في الظاهر ، منسجمتان في الباطن ، متحدتان في الغاية والهدف . فالمستشرقون أشاعوا الأولى حتى إذا أتت ثمارها وأثَّرت على بعض المسلمين ، أشاعوا الثانية كحل وإخراج من المعضلة الأولى ، وهـي النتيجة والغاية التي أرادوها .

● **تهدف النظريتان :** إلى إماتـة روح الطمـوح فـي نفـوس المسـلمين ، وإلـى نسخ فكرة الجهاد من أذهانهم ، بل وإلى إلغاء مشروعية الجهاد من أساسه .

● **موقف بسطاء المسلمين :** أنهم تحرجوا من النظرية الأولى ، وأنكروا هذا الظلم في حق الإسلام الوارد فيهـا ، ثـم تلقفـوا النظريـة الثانيـة وأيدوهـا وأكدوهـا وأخذوا يستخرجون البرهان تلو الآخر على صحتهـا ، وهـم لا يشـعرون أنهـم حققـوا بذلك الهدف والغاية التي أراد المستشرقون أن يوصلوهم إليها .

١٦- إذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة

١- (٨٩) اذكر ما تعرفه عن هجرة الصحابة ﷺ إلى المدينة المنورة ؟

قال ابن سعد في طبقاته يروي عن عائشة رضي الله عنها : لما صدر السبعون من عند رسول الله ﷺ طابت نفسه ، فقد جعل الله له منعة وقومًا أهل حرب وعدة ونجدة [١] ، وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج ، فضيقوا على أصحابه وتعبَّثوا بهم . ونالوا ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى . فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ واستأذنوه في الهجرة ، فقال (قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب [٢] ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها) فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون [٣] ويخرجون ويخفون ذلك ، فكان أول من قدم المدينة من أصحابه ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه امرأته بنت أبي حشمة ، فهي أول ظعينة [٤] قدمت المدينة ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ أرسالاً فنزلوا على الأنصار في دورهم ، فآووهم ونصروهم وآسوهم [٥] .

● ولم يهاجر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا متخفيًا غير عمر بن الخطاب ﷺ فقد روى علي بن أبي طالب ﷺ أنه لما همّ بالهجرة تقلد سيفه [٦] وتنكب قوسه [٧] وانتضى في يده أسهمًا [٨] ، واختصر عنزته [٩] ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها فطاف في البيت سبعًا متمكنًا مطمئنًا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف

---

(١) أي : أهل قتال ، وسلاح . والنجدة : الشجاعة وشدة البأس ، كما في النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ١٨/٥ . (٢) يثرب : هي البلدة التي هاجر إليها النبي ﷺ وسماها بعد ذلك بالمدينة . (٣) يتواسون : من المواساة وهي : المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٥٠/١ . (٤) ظعينة : هي المرأة التي تكون في الهودج . (٥) طبقات ابن سعد ٢١٠/١ ، ٢١١ . وتاريخ الطبري ٣٦٧/١ . (٦) تقلد سيفه : لبس سيفه . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٣٣٠/١ . (٧) تنكب قوسه أي علق قوسه في منكبه (كتفه) .انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ١١٣/٥ (٨) انتضى في يده أسهمًا : أي أخذ واستخرج في يده أسهمًا من كنانته . انظر المرجع السابق ٧٣/٥ . (٩) اختصر عنزته : أي أمسك بيده عصاه . انظر : المرجع السابق ٣٦/٢ .

فقال : "شاهت الوجوه ، لا يرغم الله إلا هذه المَعَاطِس [1] ، من أراد أن يثكل أمه [2] أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي" .

قال علي : فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضى لوجهه [3] .

● وهكذا تتابع المسلمون في الهجرة إلى المدينة حتى لم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعلي ، أو معذب محبوس ، أو مريض أو ضعيف عن الخروج .

٢- (...) لماذا هاجر الصحابة من مكة إلى المدينة ؟ وما موقف النبي ﷺ من هجرتهم ؟ وكيف تمت ؟ واذكر قصة الصحابي الذي هاجر علنًا ؟

الإجابة : متضمنة في إجابة السؤال السابق .

٣- (٩٠) ما هي فتنة المسلمين في مكة قبل الهجرة ؟ وما هي فتنتهم عند الهجرة ؟ وكيف قابلوا الفتنتين ؟ وماذا تستفيد من ذلك ؟

● **فتنتهم قبل الهجرة :** في مكة كانت فتنة الإيذاء والتعذيب ، وألوان الهزء والسخرية والإهانة .

● **فتنتهم عند الهجرة :** تمثلت في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم .

● **قابلوا الفتنتين :** من المحن والشدائد والحرمان بصبر ثابت ، وعزم عنيد ، ووفاء لدينهم ، وإخلاص لربهم ، وطاعة لنبيهم ﷺ .

● **أستفيد من ذلك :** أن هذا هو المثل الصحيح للمسلم الذي أخلص دينه لله ، لا يبالي بالإيذاء والعذاب ، ولا يبالي بالوطن ولا بالمال في سبيل أن يسلم له دينه .

---

(١) المعاطس : "هي الأنوف ، واحدها : مَعْطَس ؛ لأن العُطاس يخرج منها" . النهاية . لابن الأثير ٣/٢٥٧ .

(٢) يُثكل أمه : من الثُّكل : وهو فقد الولد ، والمعنى : يجعل أمه ثكلى به لموته . انظر : المرجع السابق ١/٢١٧ .

(٣) أسد الغابة ٤/٥٨ .

٤- (٩١) يستنبط من مشروعية هجرة المسلمين إلى المدينة حكمان شرعيان . بينهما ؟

١- وجوب الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام ، ومِثْلُ دار الحرب كل مكان لا يتسنى للمسلم فيه إقامة الشعائر الإسلامية من صلاة وصيام وجماعة وأذان وغير ذلك من أحكام الإسلام الظاهرة ، بدليل هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة . ولقوله تعالى : ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا O إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً** ﴾ [١] .

٢- وجوب نصرة المسلمين بعضهم بعضًا ، مهما اختلفت ديارهم وبلادهم ما دام ذلك ممكنًا . فقد اتفق العلماء والأئمة على أن المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين أو المأسورين أو المظلومين من إخوانهم المسلمين في أي مكان في الأرض ، ثم لم يفعلوا ذلك فقد باءوا بإثم كبير . وهذا مستنبط من موالاة ونصرة الأنصار في المدينة لإخوانهم المهاجرين من مكة .

٥- (٩٢) ما حكم الموالاة في الإسلام ؟ وماذا يترتب على تطبيقها أو إهمالها ؟

● **حكم الموالاة :** تجب موالاة المسلمين بعضهم لبعض ، وتحرم موالاة المسلمين للكفار بأي شيء من التناصر أو التآخي وما إلى ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ [٢] .

● **ما يترتب على تطبيقها أو إهمالها :** لا ريب أن تطبيق المسلمين لمثل هذه التعاليم الإلهية ، هو اساس نصرتهم وقوتهم ووحدتهم في كل عصر وزمن ، كما أن إهمالهم لها ، وانصرافهم إلى ما يخالفها ، يؤدي إلى ضعفهم وتفككهم وتألب أعدائهم عليهم من كل جهة وصوب كما هو الواقع اليوم .

---

(١) النساء / ٩٧ ، ٩٨ .　　(٢) الأنفال / ٧٣ .

١٧- هجرة الرسول ﷺ

١٨- قـــدوم قبـــاء

١٩- صورة عن مقام النبي ﷺ في بيت أبي أيوب

١- (٩٣) بِّين بالتفصيل ما تعرفه عن هجرة الرسول ﷺ ؟

● جاء في صحاح السنة وما رواه علماء السيرة أن أبا بكر ﷺ لما وجد المسلمين قد تتابعوا مهاجرين إلى المدينة ، جاء يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة . فقال له رسول الله ﷺ : (على رسلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي) فقال أبو بكر : "وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟" قال : (نعم) . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ، وأخذ يتعهدهما بالرعاية أربعة أشهر [١] .

● وفي هذه الأثناء رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وخافوا أن يكون قد أجمع لحربهم .

فاجتمعوا له في دار الندوة (وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها) يتشاورون فيما يصنعون بأمر رسول الله ﷺ ، فاجتمع رأيهم أخيرًا على أن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا ، ثم يعطى كل منهم سيفًا صارمًا [٢] ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، كي لا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعًا ، وضربوا لذلك ميعاد يوم معلوم فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ يأمره بالهجرة ، وينهاه أن ينام في مضجعه تلك الليلة [٣] .

● قالت عائشة فيما يروي البخاري : فبينما نحن يومًا جلوس في بيت أبي بكر في حر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : "هذا رسول الله ﷺ متقنعًا ، في ساعة لم يكن يأتينا فيها" . فقال أبو بكر : "فدًا له أبي وأمي . والله ما جاء به في هذه الساعة لا

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ب (هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) ١٨٦/٧ .

(٢) صارمًا : قاطعًا . من الصَّرم : القطع . انظر النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٢١/٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٠٢/٢ وما بعدها . وطبقات ابن سعد / ٢١٢ .

أمر" ، قالت : فجاء رسول ا لله ﷺ ، فاستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : (أخرج من عندك) ، فقال أبو بكر : "إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول ا لله" . قال : (فإني قد أذن لي في الخروج) ، فقال أبو بكر : "فخذ بأبي أنت يا رسول ا لله إحدى راحلتي" ، قال رسول ا لله ﷺ : (بالثمن) .

قالت عائشة : فجهزناهما أحث الجهاز . وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها [1] فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سُميت ذات النطاق [2] .

● وانطلق رسول ا لله ﷺ إلى علي بن أبي طالب ﷺ فأمره أن يتخلف بعده بمكة ريثما يؤدي عن رسول ا لله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس ، إذ لم يكن أحد من أهل مكة له شيء يخشى عليه إلا استودعه عند رسول ا لله ﷺ لما يعلمون من صدقه وأمانته .

● وأمر أبو بكر ابنه عبد ا لله أن يتسمَّع لهما ما يقوله الناس عنهما في بياض النهار ، ثم أتيهما إذا أمسى بما يكون معه من الأخبار . وأمر عامر بن فهيرة (مولاه) أن يرعى غنمه نهاره ن ثم يريحها عليهما إذا أمسى ، إلى الغار (غار ثور) ليطعما من ألبانها ، وأمر أسماء بنته أن تأتيهما من الطعام بما يصلحهما في كل مساء .

● وروى ابن إسحاق والإمام أحمد ، كلاهما عن يحيى بن عباد بن عبد ا لله بن الزبير ، عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما خرج رسول ا لله ﷺ وخرج معه أبو بكر ، احتمل أبو بكر ماله كله معه : خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت : وانطلق بها معه .

قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره فقال : وا لله إني لأراه قد فَجَعَكم بماله مع نفسه ، قلت : كلا يا أبت ، إنه قد ترك لنا خيرًا كثيرًا ، قالت : فأخذت أحجارًا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبًا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال .

---

(١) نطاقها : المِنْطَق ، والنِطَاق ، وجمعه : مَنَاطِق ، وهو الحزام الذي تشد به المرأة وسطها . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٥/٧٥ .

(٢) في طبقات ابن سعد : أنها شقت نطاقها فأكأت بقطعة منه الجراب . وشدت فم الجراب بالباقي فسميت ذات النطاقين .

قالت : فوضع يده عليه قال : لا بأس . إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئًا ولكني أردت أن أسكت الشيخ بذلك [1] .

● ولما كانت عتمة تلك الليلة التي هاجر فيها النبي ﷺ اجتمع المشركون على باب رسول الله ﷺ يتربصون به ليقتلوه ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خرج من بينهم وقد ألقى الله عليهم سنة من النوم بعد أن ترك عليًا ﷺ في مكانه نائمًا على فراشه ، وطمأنه بأنه لن يصل إليه أي مكروه .

● وانطلق رسول الله وصاحبه أبو بكر إلى غار ثور ليقيما فيه ، وكان ذلك على الراجح في اليوم الثاني من ربيع الأول الموافق ٢٠ أيلول سنة (٦٢٢م) بعد أن مضى ثلاث عشرة سنة من البعثة ، فدخل أبو بكر قبل الرسول ﷺ فلمس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فأقاما فيه ثلاثة أيام ، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بأخبار مكة ، ثم يُدلج [2] من عندهما بسحر فيصبح مع قريش في مكة كبائت بها ، وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من الغنم ، فإذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر أثره بالغنم كي لا يظهر لقدميه أثر .

● أما المشركون فقد انطلقوا بعد أن علموا بخروج النبي ﷺ ينتشرون في طرق المدينة ويفتشون عنه في كل المظانّ ، حتى وصلوا إلى غار ثور ، وسمع الرسول وصاحبه أقدام المشركين تخفق من حولهم فأخذ الروع أبا بكر وهمس يحدث النبي ﷺ : لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا . فأجابه عليه الصلاة والسلام : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) [3] .

فأعمى الله أبصار المشركين حتى لم يحن لأحد منهم منهم التفاته إلى ذلك الغار ، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يتساءل عما يكون بداخله .

● ولما انقطع الطلب عنهما خرجا ، بعد أن جاءهما عبد الله بن أرقط (وهو من المشركين ، كانا قد استأجراه ليدلهما على الطرق الخفية إلى المدينة بعد أن اطمأنا

---

(١) سيرة ابن هشام ٥١١/٢ ، ٥١٢ . وترتيب مسند الإمام أحمد ٢٨٢/٢٠ .

(٢) يدلج : من الدُّلجة وهو : سير الليل . يقال : أَدْلَج إذا سار من أول الليل ، وادَّلَج إذا سار من آخره . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ١٢٩/٢ .

(٣) صحيح مسلم . ك ٤٤ (فضائل الصحابة) ب ١ (من فضائل أبي بكر ...) ١٨٥٤/٤ (٢٣٨١) .

إليه ، وواعداه مع الراحلتين عند الغار) فسارا متبعين طريق الساحل بإرشاد من عبد الله بن أرقط .

● وكان قد جعل مشركو مكة لكل من أتى برسول الله ﷺ وأبي بكر ﷺ دية كل منهما .

● وذات يوم : بينما كان جماعة من بني مدلج في مجلس لهم ، وبينهم سراقة بن جعشم ، إذ أقبل إليهم رجل منهم فقال : إني قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل . أراهما محمدًا وأصحابه ، فعرف سراقة أنهم هم ، ولكنه أراد أن يثني عزم غيره عن الطلب ، فقال له : إنك قد رأيت فلانًا وفلانًا ، انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم . ثم لبث في المجلس ساعة ، وقام فركب فرسه ثم سار حتى دنا من الرسول فعثرت به فرسه فخرّ عنها ، ثم ركبها ثانية وسار حتى صار يسمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، فساخت [1] قائمتا فرس سراقة في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخرّ عنها ثم زجرها حتى نهضت ، فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ارتفع في السماء مثل الدخان ، فعلم سراقة أنه ممنوع عن رسول الله ﷺ ، وداخله رعب عظيم ، فناداهما بالأمان .

فوقف عليه الصلاة والسلام ومن معه حتى وصل إليهم ، فاعتذر إليه وسأله أن يستغفر له ، ثم عرض عليهما الزاد والمتاع ، فقالا له : لا حاجة لنا ، ولكن عَمِّ عنا الخبر ، فقال : كفيتم [2] .

ثم عاد سراقة أدراجه إلى مكة وهو يصرف أنظار الناس عن الرسول ومن معه بما يراه من القول ... وهكذا انطلق إليهما في الصباح جاهدًا في قتلهما ، وعاد في المساء يحرسهما ويصرف الناس عنهما .

٢- (...) من خلال دراستك لهجرة النبي ﷺ . أجب عن الأسئلة الآتية :

---

(١) فساخت : أي غاصت . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٤١٦/٢ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . والتفصيل له . ب (هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ١٧٩/٧ وما بعدها . وصحيح مسلم . ك ٥٣ (الزهد والرقائق) ب ١٩ (في حديث الهجرة ...) ٢٣٠٩/٤ ، ٢٣١٠ (٢٠٠٩) .

أ – بين بالتفصيل ما قدمه آل أبي بكر في هجرة النبي ﷺ ؟
ب – بين بالتفصيل موقف مشركي مكة من هجرة النبي ﷺ ؟
ج – ما هو دور علي بن أبي طالب ﷺ في الهجرة ؟
د – ما اسم الدليل الذي استأجره النبي ﷺ ؟ وما هي الطريق التي سلكها ؟
هـ – اذكر ما كان من سراقة بن جعشم في الهجرة ؟
(الإجابة : متضمنة في إجابة السؤال السابق)

٣– (٩٤) اذكر ما تعرفه عن قدوم النبي ﷺ قباء ؟ وما أسسه فيها ؟ ووصو له المدينة وتاريخه ؟ ومكان نزوله فيها ؟

● وصل رسول الله ﷺ قباء ، فاستقبله من فيها وأقام فيها بضعة أيام نازلاً على كلثوم بن هدم ، حيث أدركه فيها علي ﷺ بعد أن أدى عنه الودائع إلى أصحابها .

● وأسس النبي ﷺ هناك مسجد قباء ، وهو المسجد الذي وصفه الله بقوله : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه .. ﴾ [1] الآية .

● ثم واصل سيره إلى المدينة فدخلها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على ما ذكره المسعودي [2] .

● فالتف من حوله الأنصار ، كل يمسك زمام راحلته [3] يرجون النزول عنده فكان ﷺ يقول لهم : دعوها فإنها مأمورة ، فلم تزل راحلته تسير في فجاج المدينة [4] وسككها [5] حتى وصلت إلى مربد [6] لغلامين يتيمين من بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري ، فقال النبي ﷺ : (ههنا المنزل إن شاء الله) . وجاء أبو أيوب فاحتمل الرحل إلى بيته ، وخرجت ولائد من بني النجار – فيما يرويه ابن هشام –

---

(١) التوبة . من الآية / ١٠٨ .   (٢) مروج الذهب ٢/٢٧٩ ط بيروت .
(٣) زمام راحلته : الحبل الذي تربط وتقاد به .   (٤) فجاج المدينة : طرق المدينة الواسعة . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٣/٤١٢ .   (٥) سككها : أزقتها . والسكة : الطريقة المصطفة من النخل . ومنها قيل للأزقة سِكك لاصطفاف الدور فيها . انظر : المرجع السابق ٢/٣٨٤ .   (٦) أرض يجفف فيها التمر .

فرحات بمقدم النبي ﷺ ، وجواره لهن ، وهن ينشدن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام لهن : (أتحببنني ؟) فقلن : "نعم" فقال : (ا لله يعلم أن قلبي يحبكن) [1] .

٤- (٩٥) تحدث عن صورة مقام النبي ﷺ في بيت أبي أيوب ؟

روى أبو بكر بن أبي شيبة وابن إسحاق والإمام أحمد بن حنبل من طرق متعددة بألفاظ متقاربة أن أبا أيوب ﷺ قال وهو يحدث عن أيام رسول ا لله ﷺ عنده : لما نزل رسول ا لله ﷺ في بيتي نزل في أسفل البيت وأنا وأم أيوب في العلو ، فقلت له : يا نبي ا لله ، بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي ، فاظهر أنت فكن في الأعلى ، وننزل نحن نكون في السفل . فقال : يا أبا أيوب ، إنه لأرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت .

قال : فكان رسول ﷺ في سفله وكنا فوقه في المسكن ، ولقد انكسرت جرة لنا فيها ماء يومًا ، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة [2] لنا ، ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء ، تخوفًا أن يقطر على رسول ا لله ﷺ منه شيء يؤذيه ، فنزلت إليه وأنا مشفق ، فلم أزل أستعطفه حتى انتقل إلى العلو .

قال : وكنا نضع له العشاء ، ثم نبعث به إليه ، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده ، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثومًا ، فرده رسول ا لله ﷺ ولم أر ليده فيه أثرًا، فجئته فزعًا فقلت : يا رسول ا لله بأبي أنت وأمي ، رددت عشاءك ولم أر فيه موضع يدك ، وكنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة . فقال : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي [3] ، فأما أنتم فكلوه . قال : فأكلناه ، ثم لم نضع في طعامه شيئًا من الثوم أو البصل بعد [1] .

---

(١) راجع في ذلك سيرة ابن هشام ٥١٧/٢ وما بعدها . (٢) قطيفة : "هي كساء له خَمْل" . النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٨٤/٤ . (٣) أناجي : أي أُحَدِّث وأُخَاطِبُ . انظر : المرجع السابق ٢٥/٥ .

(٤) الإصابة . لابن حجر ٤٠٥/١ . وسيرة ابن هشام ٥٢٤/٢ ، ٥٢٥ . وترتيب مسند الإمام أحمد ٢٩٢/٢٠ .

٥- (٩٦) ماذا استنبط العلماء من استبقاء النبي ﷺ لأبي بكر دون غيره من الصحابة كي يكون رفيقه في هذه الرحلة ؟ وهل كان أبو بكر على مستوى هذه المزية ؟ وماذا يستفاد من ذلك ؟

● **استنباط العلماء** : استنبط العلماء من ذلك مدى محبة النبي ﷺ لأبي بكر ، وأنه أقرب أصحابه إليه ، وأولاهم بالخلافة من بعده ، وعزز ذلك أمور كثيرة أخرى منها : استخلافه ﷺ له في الصلاة عند مرضه وإصراره على ذلك ، ومنها قوله ﷺ : **(لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)** [1] .

● **أبو بكر على مستوى المزية** : كان أبو بكر ﷺ على مستوى هذه المزية ، فقد كان مثال الصادق والمضحي بروحه وبكل ما يملك من أجل رسول الله ﷺ ، فسبقه بدخول الغار ليفديه بنفسه من سبع أو حية أو أي مكروه ، وقد جند أمواله وابنه وبنته وراعي أغنامه وجهز راحليته لخدمة رسول الله ﷺ .

● **يستفاد من ذلك** : أن هذا هو الذي يجب أن يكون عليه حال كل مسلم مؤمن ، لقوله ﷺ : **(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)** [2] .

٦- (٩٧) لماذا هاجر عمر علانية متحديًا المشركين دون أي خوف ووجل ؟ ولماذا هاجر رسول الله ﷺ مستخفيًا محتاطًا لنفسه ؟ ولماذا لم يفعل مثل عمر ؟

● يُعد تصرف عمر بن الخطاب ﷺ تصرفًا شخصيًا لا حجة تشريعية فيه ، فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما يحلو له ، وما يتفق مع قوة جرأته وإيمانه بالله تعالى .

● النبي ﷺ هاجر مستخفيًا محتاطًا لنفسه ، ليشرع للمسلمين ، وليوضح بذلك أن

---

(١) صحيح مسلم . ك ٤٤ (فضائل الصحابة ...) ب ١ (من فضائل أبي بكر ...) ٤/١٨٥٥ (٢٣٨٣) .

(٢) صحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ١٦ (وجوب محبة رسول الله ﷺ) ٦٧/١ (٤٤)

الإيمـان بالله ﷻ لا ينـافي استعمال الأسباب المادية التي سخرها الله للإنسـان وجعلها أسبابًا ، ذلك أن مجموع أقوال وأفعال وصفات وتقارير النبي ﷺ المتمثلة في سننه هي المصدر الثاني للتشريع .

● لم يفعل مثل عمر حتى لا يظن المسلمون أن هذا هو الواجب ، وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر ، والتخفي عند الخوف ، مع أن الله أقام شريعته في هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها .

ولذلك استعمل الرسول ﷺ كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في هجرته . [وسيأتي تفصيلها في السؤال الآتي]

٧- (٩٨) ما هي الأسباب التي اتخذها النبي ﷺ في هجرته ؟ وهل اتخذها خوفًا على نفسه ؟ وما دليل ذلك ؟

● **الأسباب** : يمكن تلخيص هذه الأسباب في الآتي :

١- أخفى ﷺ أمر الهجرة عن جميع الناس إلا أبي بكر وعلي بن أبي طالب .

٢- كلف ﷺ علي بن أبي طالب بإعادة الأمانات إلى أهلها بدلاً عنه ، حتى لا ينكشف أمر هجرته .

٣- جاء ﷺ بيت أبي بكر متقنعًا في ساعة لم يكن يأتيه فيها وهي ساعة الهاجرة ، ليخبره بالهجرة .

٤- اتخذ ﷺ رفيقًا في الهجرة ليتعاونا على البر والتقوى ، وحتى لا يكون وحيدًا .

٥- استعان ﷺ بأحد المشركين - بعد أن أمنه - ، ليدله على طريق فرعية لا تخطر ببال الأعداء مقابل أجرة معينة .

٦- أبو بكر جهز راحلتين للهجرة ، وأخذ ما يلزم للسفر ، إضافة لكل ماله .

٧- أمر ﷺ علي بن أبي طالب أن ينام في فراشه تلك الليلة ويتغطى ببردته .

٨- النبي ﷺ خرج من بيته في عتمة الليل .

٩- النبي ﷺ اختبئ في غار ثور عن أعين المشركين .

١٠- أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما بالطعام كل مساء .

١١- كان عبد الله بن أبي بكر يتسمع أخبار قريش نهارًا ، وينقلها للنبي ﷺ مساءً ، ويعود وقت السحر .

١٢- كان عامر بن فهيرة يرعى غنم أبي بكر نهارًا ، ويطعم النبي ﷺ وأبا بكر من ألبانها مساءً ، ويعود بعد عودة عبد الله بن أبي بكر ليطمس آثار أقدامه بغنمه .

١٣- النبي ﷺ بقي في غار ثور ثلاثة أيام حتى انقطع الطلب .

● **سبب اتخاذه ﷺ للأسباب** : لم يتخذ تلك الأسباب خوفًا على نفسه ، وإنما تشريعًا للأمة [كما سبق في السؤال السابق] .

● **الدليل** : يدل على ذلك دليلان وهما :

١- أن المشركين لما أحاطوا بغار ثور ، بحيث لو نظر أحدهم عند قدمه لأبصر النبي ﷺ ، وقد استبد القلق بأبي بكر ، و ﷺ يطمأنه ويقول : **(يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)** يقول ذلك دون أدنى خوف .

٢- أن سراقة لما أدركهما يريد قتل النبي ﷺ لم يشعر به ﷺ ، ولم يهتم له ، بل كان مستغرقًا في قراءته ومناجاته لربه ، لأنه يعلم أن الذي أمره بالهجرة سيعصمه من الناس .

٨- (٩٩) يدل تخلف علي ﷺ لأداء الأمانات التي كانت عند النبي ﷺ على التناقض العجيب الواقع فيه المشركون . وضح ذلك ؟

في الوقت الذي كان الكفار يكذبون النبي ﷺ ويرونه ساحرًا أو مخادعًا ، لم يكونوا يجدون من هو خير منه أمانة وصدقًا ، فكانوا لا يضعون أماناتهم إلا عنده ، وهذا يدل على أن كفرهم ليس بسبب الشك في صدقه ، وإنما لتكبرهم وجحودهم ، وخوفًا على مصالحهم .

٩- (١٠٠) ماذا تلمح في النشاط الذي كان يبذله عبد الله بن أبي بكر ذهبًا

آيبًا بين الغار ومكة يتحسس الأخبار وينقلها إلى النبي ﷺ ، وفيما بدا من أخته أسماء من النشاط والجد في تهيئة الزاد والراحلة لتلك الهجرة ؟

ألمح من ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكورًا ونساءً في سبيل الله ، ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي ، فلا يكفي أن يكون المسلم منطويًا على نفسه مقتصرًا على عبادته ، بل عليه أن يستنفذ جهده وطاقاته في سبيل هذا الدين ، وهذه مزية الشباب في حياة الإسلام والمسلمين في كل زمن وعصر .

١٠- (١٠١) ماذا تفسر ما حدث لسراقة وفرسه وهو يلحق برسول الله ﷺ ؟

ما حدث هو معجزة خارقة جديدة لرسول الله ﷺ ، اتفق أئمة الحديث على صحتها ونقلها وفي مقدمتهم البخاري ومسلم رحمهما الله ، فتضاف إلى معجزاته الأخرى .

١١- (١٠٢) ما هي أبرز المعجزات الخارقة في قصة هجرته ﷺ ؟ وعلى أي شيء تدل ؟

● **أبرز المعجزات :** هي خروجه ﷺ من بيته وقد أحاط به المشركون يتربصون لقتله ، فقد علق النوم بأعينهم فلم يشعر به أحدهم ، بل ووضع التراب على رؤوسهم جميعًا وهو يقرأ : ﴿ **وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ [1] .

● **دلالتها :** كانت هذه المعجزة بمثابة إعلان لكل المشركين في كل عصر أن ما قد يلاقيه النبي ﷺ وصحبه من ألوان الاضطهاد والعذاب على أيديهم فترة من الزمن ليس لتخلي الله عنهم ، بل إن نصر الله قريب منهم ووسائله توشك أن تتحقق . ولذلك لا ينبغي لهم أن يفرحوا ويستبشروا لأن نصر الله آت آت .

---

(١) يس / ٩ .

١٢- (١٠٣) كيف استقبلت المدينة المنورة النبي ﷺ ؟ وعلى أي شيء يدل ذلك ؟

● استقبل أهل المدينة النبي ﷺ بالفرح وبالقصائد والأهازيج ، فرحًا بمقدمه ورؤيته ﷺ .

● يدل ذلك على شدة محبة الأنصار من رجال ونساء وأطفال للنبي ﷺ ، حتى أنهم كانوا يخرجون كل يوم ينتظرونه تحت لفح الشمس حتى وصل إليهم . ويدل ذلك أن محبة النبي ﷺ ليست في مجرد الاتباع له . بل المحبة له هي أساس الاتباع وباعثه . فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وُجد وازع يحمل على الاتباع والعمل .

١٣- (١٠٤) كيف تكون محبة رسول الله ﷺ ؟ وما دليل ذلك ؟

● **محبته ﷺ تكون** : بالحب القلبي المتمثل في العواطف والمحبة القلبية ، وتكون باتباعه فيما جاء ، فالمحبة القلبية العاطفية هي أساس الاتباع وباعثه ، فلولاها لما وجد وازع يحمل على الاتباع في العمل .

● **الدليل** : قال الله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾ [1] ، وقال رسوله ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**) [2] .

١٤- (١٠٥) ما حكم التبرك بآثار النبي ﷺ ؟ وما الدليل ؟ وهل يجوز التوسل بمنزلته عند الله ؟

● **الحكم** : التبرك بآثاره ﷺ أمر مشروع قد أقره النبي ﷺ ، ولكن مع الاعتقاد أن الله جل ثناؤه هو النافع لا تلك الآثار .

● **الأدلة في ذلك كثيرة منها :**

---

(١) آل عمران . من الآية / ٣١ .   (٢) سبق تخريجه . ص /

١- أبو أيوب وزوجته كانا يتبركان بآثار أصابع رسول الله ﷺ في قصعة الطعام ، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك فلم يعترض عليهما .

٢- إن أم سلمة والصحابة كانوا يتوسلون للاستشفاء والتبرك بشعرات النبي ﷺ كانت تحتفظ بها أم سلمة .

٣- إن أم سليم كانت تتبرك وأولادها بعرق للنبي ﷺ تحتفظ به في قوارير وأقرها النبي ﷺ .

٤- الصحابة كانوا يتسابقون إلى فضل وضوئه ﷺ ، وكانوا يتبركون بالكثير من آثاره كألبسته والقدح الذي كان يشرب به .

● **حكم التوسل بمنزلته ﷺ** : يجوز ذلك ، لأن التوسل والتبرك كلمتان تدلان على معنى واحد وهو التماس الخير والبركة عن طريق المتوسل به .

القسم الرابع
(أسس المجتمع الجديد)

١- الأساس الأول (بناء المسجد) .

٢- الأساس الثاني (الأخوة بين المسلمين)

٣- الأساس الثالث (كتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم)

١- الأساس الأول (بناء المسجد)

١- (١٠٦) اذكر الأسس الهامة التي أقامها النبي ﷺ للدولة الإسلامية التي أسسها ؟

● **الأساس الأول** : بناء المسجد .

● **الأساس الثاني** : المؤاخاة بين المسلمين عامة ، والمهاجرين والأنصار خاصة .

● **الأساس الثالث** : كتابة وثيقة (دستور) حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم ، وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة ، واليهود بصورة خاصة .

٢- (١٠٧) بين قصة بناء النبي ﷺ للمسجد في المدينة ؟ وما هي التغييرات التي طرأت عليه في عهد الخلفاء الراشدين ؟

● إن ناقته ﷺ بركت في موضع كان لغلامين يتيمين من الأنصار ، وكان أسعد بن زرارة قد اتخذه مصلى قبل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، فكان يصلي بأصحابه فيه . فأمر رسول الله ﷺ أن يبنى ذلك الموضع مسجدًا ، ودعا الغلامين - وكانا في كفالة أسعد بن زرارة رضي الله عنه - فسام [1] رسول الله ﷺ فيه ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير [2] .

وكان فيه شجر غرقد [3] ونخل وقبور قديمة لبعض المشركين ، فأمر رسول الله ﷺ بالقبور فنبشت وبالنخيل والشجر فقطعت ، وصفّت في قبلة المسجد ، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه ، ثم بنوه باللبن ، وكان رسول الله ﷺ يباشر البناء مع أصحابه وينقل معهم الحجارة

---

(١) فسام : من "المساومة : المجاذبة بين البائع والمشتري على السلعة وفصل ثمنها" النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٤٢٥/٢ . (٢) صحيح البخاري مع الفتح . ب (هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) ١٩٦/٧ . وطبقات ابن سعد ٤/٢ . وانظر : إعلام الساجد في أحكام المساجد . للزركشي / ٢٢٣ . (٣) شجر غرقد : "هو ضرب من شجر العِضاة وشجر الشوك . والغرقدة : واحدته" النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٣٦٢/٣ .

بنفسه ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل عمده الجذوع ، وسقفه بالجريد . وقيل له : ألا نسقفه ؟

فقال : (عريش كعريش موسى : خشيبات وثمام - نبت ضعيف قصير - الشأن أعجل من ذلك) [١] ، أما أرضه فقد بقيت مفروشة بالرمال والحصباء .

وروى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك ، أنه ﷺ كان يصلي حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم [٢] ، قال ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاؤوا ، فقال : (يا بني النجار ثامنوني حائطكم هذا) ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، قال [أنس] فكان فيه ما أقول لكم : كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخل . فأمر رسول الله ﷺ بقبور المشركين فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطع ، قال : فصفوا النخل قبلة المسجد ، قال : وجعلوا عِضَادَتَيْهِ [٣] حجارة ، قال : جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون [٤] ورسول الله ﷺ معهم يقولون :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة — فانصر الأنصار والمهاجرة [٥]

● وقد ظل مسجد رسول الله ﷺ على هذا الشكل دون أي زيادة أو تغيير فيه مدة خلافة أبي بكر ﷺ ، ثم زاد فيه عمر ﷺ بعض التحسين . ولكنه بناه على بنائه في عهد النبي ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشبًا . ثم غيره عثمان ﷺ ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (الجص) [٦] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٥/٢ .

(٢) مرابض الغنم : المواضع التي تربض (تبرك) فيها الغنم . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ١٨٤/٢ ، ١٨٥ .

(٣) عضادتيه : "تثنية عضادة : وهي الخشبة التي على كتف الباب ، ولكل باب عضادتان ، وأعضاد كل شيء ما يشد جوانبه" فتح الباري . لابن حجر ٢١٣/٧ .

(٤) يرتجزون : "اي : يقولون رجزًا ، وهو ضرب من الشعر على الصحيح" المرجع السابق ٢١٣/٧ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ب (مقدم النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة) ٢١٢/٧ ، ٢١٣ .

(٦) إعلام الساجد . للزركشي / ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

٣- (١٠٨) بين مدى أهمية المسجد في المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية

١- إن إقامة المسجد أول وأهم ركيزة في بناء المجتمع الإسلامي الذي لا يكتسب صفة الرسوخ والتماسك إلا بالتزام الإسلام ، وهذا إنما ينبع من روح المسجد ووحيه .

٢- إن المسجد يعمل على شيوع الأخوة والمحبة بين المسلمين بتلاقي المسلمين فيه عدة مرات في اليوم ، وقد تساقطت من بينهم فوارق الجاه والمال والاعتبار .

٣- إن المسجد يؤدي إلى شيوع روح المساواة والعدل بين المسلمين ؛ بتلاقيهم فيه كل يوم صفًا واحدًا بين يدي الله عز وجل ، لا فرق بين غني وفقير ، أو قوي وضعيف ، أو حاكم ومحكوم .

٤- إن المسجد يعمل علىوحدة المسلمين عن طريقين (أولهما) الممارسةالعملية التطبيقية لهذه الوحدة بالتجمع في المسجد كل يوم مرات عديدة (وثانيهما) العلم بوجوب الوحدة الإسلامية من خلال الدروس والخطب التي تُعطى في المسجد وتنص على ذلك ، والتي يجتمع المسلمون لها ليتعلموا حكم الله وشريعته .

٤- (١٠٩) ما حكم التعامل مع من لم يبلغوا سن الرشد من الأطفال والأيتام ؟

١- ذهب الحنفية إلى جواز صحة تصرف غير البالغ ، بدليل أن النبي ﷺ اشترى المربد من الغلامين اليتيمين ، بعد أن ساومهما ، ولو لم يصح تصرفهما لما اشترى منهما .

٢- ذهب الجمهور إلى عدم صحة تصرف غير البالغ لقوله تعالى : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده** ﴾ [١] . أما حديث شراء المربد فيُجاب عليه بجوابين :

أحدهما : أنه جاء في رواية ابن عيينة [٢] أن النبي ﷺ كلم عمهما الذين كانا في حجره وكفالته وابتاعه منهما بواسطته فلا حجة فيه لما ذهب الحنفية .

---

(١) الإسراء . من الآية / ٣٤ .   (٢) انظر فتح الباري . لابن حجر ١٩٦/٧ .

ثانيهما : أن للنبي ﷺ ولاية في مثل هذه الأمور ، وقد اشترى الأرض منهما بوصف كونه وليًا عامًا لجميع المسلمين ، لا بوصف كونه فردًا منهم .

٥- (١١٠) ما حكم نبش القبور الدارسة واتخاذ موضعها مسجدًا ؟ وما شرط ذلك ؟ وما الدليل ؟

● **الحكم** : يجوز ذلك ، بحيث يصلى فيها ، ويتخذ موضعها مسجدًا .

● **شروط ذلك** :

١- إزالة بقايا الأموات ، وإزالة ترابها المختلط بصديدهم ودمائهم .

٢- أن لا تكون الأرض موقوفة ، فإن كانت موقوفة فهي لما أوقفت له .

● **الدليل** : أن النبي ﷺ بنى المسجد في أرضٍ كان فيها قبور دارسة ، فأزالها وطهرها ، فلما طابت الأرض أقام فيها مسجده .

٦- (١١١) ما المراد من تشييد المساجد ونقشها وزخرفتها ؟ وما حكمه ؟

● **التشييد** : هو بناء المسجد بالحجارة وشبهها مما يزيد في قوة بنائه ومتانة سقفه وأركانه . **والنقش والزخرفة** : هو ما جاوز أصل البناء من شتى أنواع الزينة .

● **حكم تشييد المساجد** : أجازه واستحسنه العلماء عامة ، لقوله تعالى : ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ [1] . والعمارة إنما تكون بالتشييد وتقوية البناء والعناية به . ولفعل عمر وعثمان رضي الله عنهما حيث جددا بناء المسجد النبوي .

● **حكم نقش المساجد وزخرفتها** : أجمع العلماء على كراهتهما ، واتفقوا على أنه يحرم صرف المال الموقوف لعمارة المساجد على شيء من الزخرفة والنقش ، وأما إذا كان المال المصروف على ذلك من الباني نفسه فمن العلماء من حرمه ، ومنهم من كرهه .

---

(١) التوبة . من الآية / ١٨ .

٧- (١١٢) بين الفرق بين عموم التشييد ، وخصوص الزخرفة والنقش ؟

التشييد لا يترتب عليه إخلال بالحكمة التي من أجلها شرع بناء المسجد ، ما الزخرفة والنقس فيترتب عليها إخلال بهذهالحكمة ، لأنهما يصرفان قلوب المصلين عن الخشوع والتدبر إلى الانشغال بمظاهر الدنيا . وفي ذلك قال عمر لما أمر ببناء مسجد : "أكنّ الناس من المطر ، وإياك أن تحمِّر أو تصفِّر فتفتن الناس" (١) .

٨- (١١٣) هل يجوز كتابة آية من القرآن في قبلة المسجد ؟

كره بعض العلماء ذلك باعتباره من الزخرفة ، وأجازه بعض العلماء منهم الإمام مالك بدليل فعل عثمان ذلك بمسجد النبي ﷺ ولم ينكر ذلك عليه (٢) .

٢- الأساس الثاني (الأخوة بين المسلمين)

١- (١١٤) اذكر ما تعرفه عن الأساس الثاني (الأخوة بين المسلمين) الذي أقامه النبي ﷺ في المدينة ؟ وما هو أهم أساس (أو مظهر) مادي له ؟ ومتى نُسخ وما الناسخ له ؟

● إن الرسول ﷺ آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، آخى بينهم على الحق والمواساة ، وعلى أن يتوارثوا بينهم بعد الممات ، بحيث يكون أثر الأخوة الإسلامية في ذلك أقوى من أثر قرابة الرحم .

فجعل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين ، وجعل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخوين ، وجعل أبا بكر الصديق ﷺ وخارجة ابن زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين ، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين .. وهكذا (٣) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه . (٢) انظر إعلام الساجد . للزركشي / ٣٣٧ .

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ٥٣١/١ . وطبقات ابن سعد ٢/٣ .

ثم ربط النبي ﷺ هذا التآخي بين أفراد الصحابة بنطاق عام من الأخوة والموالاة .

● وقد قامت هذه الأخوة على أسس مادية أيضًا ، وكان حكم التوارث فيما بينهم من بعض هذه الظواهر المادية .

● ظلت حقوق هذا الإخاء مقدمة على حقوق القرابة إلى موقعة بدر الكبرى ، حيث نزل في أعقابها قوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب ا لله إن ا لله بكل شيء عليم ﴾ [1] فنسخت [2] هذه الآية ما كان قبلها وانقطع أثر المؤاخاة الإسلامية في الميراث ، ورجع كل إنسان في ذلك إلى نسبه وذوي رحمه ، وأصبح المؤمنون كلهم إخوة .

٢- (١١٥) بين أهمية الأساس الثاني (الأخوة بين المسلمين) الذي اعتمده النبي ﷺ في المدينة ؟

١- إن عامل التآخي والمحبة المتبادلة القائم على عقيدة الإسلام يؤدي إلى وحدة الأمة وتساندها ، وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه وتنهض دولة الإسلام .

٢- إن التآخي بين المسلمين المؤسس علىحقيقة العقيدة الإسلامية هو الأساس لمبادئ العدالة الاجتماعية التي لها الأثر التطبيقي والإيجابي في شد أزر المجتمع الإسلامي ودعم كيانه . فالمجتمع يقوم على مبدأ التعاون والتناصر بين أفراده طبق ميزان العدل والمساواة بينهم ، وهذه لا تتحقق إلا بالتآخي والتآلف ثم بسلطة القانون .

٣- (١١٦) إذا كان المجتمع السليم إنما يقوم على اساس من العدالة في الاستفادة من أسباب الحياة والرزق . فما الذي يضمن سلامة هذه العدالة وتطبيقها على خير وجه ؟

إن الضمانة الطبيعية والفطرية الأولى لذلك إنما هي التآخي والتآلف ، يليها بعد ذلك ضمانة السلطة والقانون . فمهما أرادت السلطة أن تحقق مبادئ العدالة

---

(١) الأنفال . من الآية / ٧٥ .   (٢) فنسخت   أي رَفَعت هذه الآية حُكمَ التوارث بالمؤاخاة الذي كان قبلها ، بحُكمِ التوارث بالأرحام المذكور فيها .

بين الأفراد فإنها لا تتحق إلا على أساس التآخي والمحبة بينهم ، وإلا صارت تلك المبادئ مصدر أحقاد وضغائن بين الأفراد تؤدي إلى الظلم والطغيان .

٤- (١١٧) بين المعنى التفسيري الذي صاحب شعار التآخي ؟

إن الأخوة بين المسلمين التي أقامها النبي ﷺ لم تكن مجرد شعارًا وإنما واقع وحقيقة ملموسة ، ومن مظاهرها ما يلي :

١- إن حق الميراث متعلق بهذه الأخوة دون حقوق القرابة والرحم ، فكان المهاجر يرث أخاه الأنصاري إذا مات ، والعكس .

٢- إن هذا الإخاء اقتضى التعاون على الحق والمواساة ، بدليل أن سعد بن الربيع الأنصاري عرض على أخيه عبد الرحمن بن عوف المهاجري أن يشركه في بيته وأهله وماله في قسمة متساوية ، ولكنه رفض وطلب أن يدله على سوق المدينة ، وهكذا كان ديدن الصحابة ﷺ في علاقتهم وتعاونهم فيما بينهم .

٥- (١١٨) كانت المؤاخاة مرتين اذكرهما ؟ وبين الحكمة من نسخ التوارث على أساس أخوة الدين فقط ؟

- **المؤاخاة الأولى** : كانت بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة ، **والمؤاخاة الثانية** : كانت بين المهاجرين والأنصار وذلك بالمدينة .

- **الحكمة** : إن التآخي الذي أقامه النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار والذي من مظاهره حق التوارث بينهم كان لتحقيق مسؤولية التعاون والتناصر والمؤانسة بسبب مفارقة المهاجرين لأهلهم وتركهم ديارهم وأموالهم في مكة ونزولهم ضيفًا على إخوانهم الأنصار في المدينة . فلما استقر أمر المهاجرين في المدينة وتمكن الإسلام فيها ، ولم يعد يخشى على نظام الإسلام من التفكك والتميع صار من الحكمة أن يكون الميراث على أساس الدين وقرابة الرحم معًا ؛ بدل صلة الدين فقط ؛ إذ لا توارث بين دينين مختلفين .

٣- الأساس الثالث (كتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم)

١- (١١٩) اذكر ما تعرفه عن الأساس الثالث (كتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم) الذي أسسه النبي ﷺ في المدينة ؟ واذكر أهم بنود هذه الوثيقة ؟

● هذا الأساس هو أهم ما قام به النبي عليه الصلاة والسلام مما يتعلق بالقيمة الدستورية للدولة الجديدة . روى ابن هشام أن النبي عليه الصلاة والسلام لم تمض له سوى مدة قليلة في المدينة حتى اجتمع له إسلام عامة أهل المدينة من العرب ، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها ، عدا أفرادًا من قبيلة الأوس ، فكتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم .

● أهم بنود الوثيقة : هذا الكتاب طويل ، وبنوده تدل على مدى القيمة الدستورية للمجتمع الإسلامي ودولته الناشئة في المدينة ، وأهم هذه البنود حسب ترتيبيها في نص كتاب النبي ﷺ ما يلي :

١- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فَلَحِق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس .

٢- هؤلاء المسلمون جميعًا على اختلاف قبائلهم يتعاقلون [١] بينهم ، ويفدون عانيهم [٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٣- إن المؤمنين لا يتركون مفرحًا [٣] بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل .

٤- إن المؤمنين المتقين ، على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة [٤] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم .

٥- لا يقتلُ مؤمنٌ مؤمنًا في كافر ، ولا ينصر كافرًا على مؤمن .

٦- ذمة [٥] الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم [٦] ، والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس .

---

(١) يتعاقلون : من العَقْل : الدية ، والمقصد : يتعاونون في دفع الدية . انظر : النهاية في غريب الحديث . لابن الأثير ٣/٢٧٨ . (٢) عانيهم : أسيرهم . (٣) مُفْرحًا : المُفْرح : المثقل بالديون الكثير العيال . (٤) دسيعة : عظيمة . (٥) ذمة : "أي : العهد ، والأمان ، والضَّمان ، والحرمة ، والحق" . النهاية في غريب الحديث ٢/١٦٨ . (٦) يجير عليهم أدناهم : "أي إذا أجار واحدٌ من المسلمين - حر أو عبد أو أمة - واحدًا أو جماعة من الكفار وخَفَرهُم وأمَّنَهُم جاز ذلك على جميع المسلمين ، لا ينقَضُ عليه جوارُهُ وأمانُهُ" . المرجع السابق ١/٣١٣ .

٧- لا يحل لمؤمن أقر بما في الصحيفة وآمن با لله واليوم الاخر أن ينصر مُحْدثًا [١] أو أن يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة ا لله وغضبه يوم القيامة لا يؤخذ منه صرف ولا عدل [٢] .

٨- اليهود ينفقون مع اليهود ما داموا محاربين .

٩- يهود بني عوف أمة من المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ [٣] إلا نفسه وأهل بيته

١٠- إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم . وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .

١١- كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فإن مرده إلى ا لله ﷻ وإلى محمد رسول ا لله .

١٢- من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن ، إلا من ظلم وأثم .

١٣- إن ا لله على أصدق ما في الصحيفة وأبره [٤] . وإن ا لله جار لمن بر [٥] . [٦]

٢- (...) اذكر بنود الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ بين المسلمين وغيرهم ؟

الإجابة : هي ما ذكر في النقطة الثانية من إجابة السؤال السابق .

٣- (١٢) للوثيقة التي كتبها النبي ﷺ دلالات هامة تتعلق بمختلف الأحكام التنظيمية للمجتمع الإسلامي . اذكرها باختصار شديد ؟

أ - إن كلمة دستور أقرب إطلاق مناسب معاصر لهذه الوثيقة .

---

(١) ينصر مُحْدِثًا : أي : "من نَصَرَ جانيًا أو آواه من خصمه ، وحال بينه وبين أن يقتص منه" . النهاية . لابن الأثير ١/٣٥١ . (٢) لا يؤخذ منه صرف ولا عدل : لا يُقبل منه (صرف) : توبة وقيل نافلة (ولا عدل) : فِدية ، وقيل : فريضة . انظر المرجع السابق ٣/٩٠ . (٣) لا يُوتغ : لا يُهلك . انظر : المرجع السابق ٥/١٤٩ . (٤) أَبَرَّه : من البِرّ : وهو الصلة والخير والاتساع في الإحسان وهو ضد العقوق . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ١/٣٧٠ . ومختار الصحاح . للرازي / ٤٧ . (٥) بَرَّ : أطاع وصدق وأمضى ما في الصحيفة على الصدق . انظر : المرجعين السابقين نفس الأجزء والصفحات / ٤٧ .

(٦) انظر : سيرة ابن هشام ٢/٥٢٧ وما بعدها . وعيون الأثر . لابن سيد الناس ١/١٩٨ . ومسند أحمد ٢١/١٠ شرح البنا .

ب - إن هذه الوثيقة تدل على أحكام هامة في الشريعة الإسلامية منها :

١- البند الأول يدل على أن الإسلام هو الوحيد الذي يحقق وحدة المسلمين ، وأن جميع الفوارق والمميزات بينهم تزول ضمن نطاق هذه الوحدة .

٢- البند الثاني والثالث يدلان على أن سمات المجتمع الإسلامي هو ظهور معنى التكافل والتناصر بين المسلمين بأجلى صوره وأشكاله .

٣- البند السادس يدل على مدى الدقة في المساواة بين المسلمين .

٤- البند الحادي عشر يدل على أن شريعة الله المتضمنة في كتابه وسنة رسوله ﷺ هي الحكم العدل الذي يجب على المسلمين أن يحتكموا إليه في كل شيء .

٤- (١٢١) إن كلمة (دستور) هي أقرب إطلاق مناسب في اصطلاح العصر الحديث على الوثيقة التي كتبها ﷺ في المدينة . وضح ذلك ؟

وذلك أن هذه الوثيقة كانت بمثابة إعلان دستور ، لأنها جمعت جميع ما يمكن أن يعالجه أي دستور حديث يعنى بوضع الخطوط الكلية الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج ، أي فيما يتعلق بعلاقة أفراد الدولة بعضهم مع بعض ، وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين .

٥- (١٢٢) يزعم محترفو الغزو الفكري أن الإسلام ليس إلا دينًا قوامه ما بين الإنسان وربه . وليس له من مقومات الدولة والتنظيم الدستوري شيء . اذكر قصدهم وهدفهم من ذلك ؟ وما هو رأيك في زعمهم مع الدليل ؟

● **قصدهم وهدفهم** : أن يقيدوا بزعمهم الإسلامي بجعله دينًا لا دولة ، وعبادات مجردة ، لا تشريعًا وقانونًا ، كي لا ينطلق فيعمل عمله في المجتمعات الإسلامية ، ولا يصبح له شأن قد يتغلب به على المجتمعات المنحرفة الأخرى .

● **رأيي** : أن زعمهم هذا باطل وكاذب بدليل أن المجتمع الإسلامي نشأ على أسس دستورية تامة ، وأن الدولة الإسلامية الأولى قامت على يد مؤسسها رسول الله ﷺ على أتم ما تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية ، والوثيقة التي كتبها النبي ﷺ أكبر شاهد ودليل على ذلك .

٦- (١٢٣) تدل الوثيقة على العدالة التي عامل بها النبي ﷺ اليهود . وضح ذلك مع ذكر البنود الدالة على ذلك ؟

● إن هذه الوثيقة تدل على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة النبي ﷺ لليهود ، وهذه العدالة كانت ستؤتي ثمارها فيما بين المسلمين واليهود لولا غدر اليهود ونقضهم لما التزموا به من بنود الوثيقة ؛ فصار المسلمون في حلٍ مما التزموا به تجاه اليهود .

● البنود الدالة على ذلك : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ . [وقد سبق ذكرها في النقطة الثانية من إجابة السؤال الأول فيرجع إليها] .

٧- (١٢٤) دلت هذه الوثيقة على أحكام هامة في الشريعة الإسلامية . اذكر أربعة منها مع ذكر البنود الدالة عليها ؟

١- البند الأول وهو : (**المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس**) يدل على أن الإسلام وحده الذي يوحد المسلمين ، ويجعل منهم أمة واحدة تذوب فيها جميع الفوارق والمميزات من بينهم ، وهذا أول أساس لابد منه لإقامة مجتمع إسلامي متماسك سليم .

٢- البند الثاني وهو : (**هؤلاء المسلمون جميعًا على اختلاف قبائلهم يتعاقلون بينهم ، ويفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين**) . والبند الثالث هو : (**إن المؤمنين لا يتركون مفرحًا بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل**) .

هذان البندان يدلان على أن من أهم سمات المجتمع الإسلامي ظهور معنى التكافل والتضامن بين المسلمين بأجلى صوره وأشكاله ، فهم جميعًا مسؤولون عن بعضهم في شؤون دنياهم وآخرتهم . وإن عامة أحكام الشريعة الإسلامية إنما تقوم على أساس هذه المسئولية . وتحدد الطرائق التنفيذية لمبدأ التكافل والتضامن بين المسلمين .

٣- البند السادس وهو : (**ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ،والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس**) يدل على المساواة التامة بين المسلمين ، فلا يخفر جوار

لمسلم ذكرًا كان أو أنثى بإجماع عامة المسلمين بشروط حددها الفقهاء كأن تكون الإجارة لعدد محصور ، ولمدة لا تزيد على أربعة أشهر ، وأن تخلو من الإضرار بالمسلمين كإجارة الجاسوس (١) .

يدل على ذلك هذا البند ، وما روى الشيخان وغيرهما أن أم هانئ بنت أبي طالب ذهبت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله زعم ابن أمي عليّ أنه قاتل رجلاً أجرته : فلان ابن هبيرة . فقال رسول الله ﷺ : (**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**) (٢) .

وهذا يدل على أن المرأة المسلمة في ظل الشريعة الإسلامية نالت رفعتها ، وكل حقوقها الإنسانية والاجتماعية كالرجل تمامًا في مساواة إنسانية رائعة دقيقة قائمة على الفطرة الإنسانية الأصيلة . يتوخى منها سعادة الناس كلهم نساءً ورجالاً . وهذا بخلاف المظاهر التقليدية التي ينادي بها عشاق المدنية اليوم ، والتي تقوم على نزوات حيوانية يُتوخى منها اتخاذ المرأة مادة تسلية ورفاهية للرجل على أوسع نطاق ممكن دون نظر إلى شيء آخر .

٤- البند الحادي عشر هو : (**كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فساده ، فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد رسول الله**) يدل على أنه يجب على المسلمين أن يحتكموا إلى شريعة الله وحكمه وهو ما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله في سائر خصوماتهم وخلافاتهم وشؤونهم ، فإن لم يفعلوا فهم آثمون ، معرضون أنفسهم للشقاء في الدنيا وعذاب الله ﷻ في الآخرة .

٨- (...) اذكر خمسة بنود من بنود الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ في المدينة ؟ ووضح ما تدل عليه من أحكام ؟

الإجابة : هي نفس إجابة السؤال السابق .

---

(١) انظر : بدائع الصنائع . للكاساني ٤٣١٨/٩ - ٤٣٢٠ . وفتح القدير . لابن الهمام ٤٦٢/٥ . والمدونة . لمالك ٤٠٠/١ . وحاشية العدوي ٧/٢ . وحاشية الدسوقي ١٨٥/٢ . والمهذب للشيرازي ٣٠١/٢ . والمغني . لابن قدامة ٢٢٧/٩ . (٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك ٨ (الصلاة) ب ٤ (الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به) ٤٦٩/١ (٣٥٧) . وصحيح مسلم . ك ٦ (صلاة المسافرين وقصرها) ب ١٣ (استحباب صلاة الضحى ...) ٤٩٨/١ (٣٣٦) .

القسم الخامس

(مرحلة الحرب الدفاعية)

١- غزوة بدر الكبرى .

٢- غزة أحد .

٣- غزوة الخندق .

٤- غزوة بني قريظة .

١ – غزوة بدر الكبرى

١ – (١٢٥) بيِّن بالتفصيل أحداث غزوة بدر الكبرى ؟

● سببها أن النبي ﷺ سمع بعير تجارية [١] لقريش قادمة من الشام بإشراف أبي سفيان ابن حرب ، فندب [٢] المسلمين إليها ، ليأخذوها لقاء ما تركوا من أموالهم في مكة ، فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون ، إذ لم يكونوا يتصورون قتالاً في ذلك

● وتحسس أبو سفيان الأمر وهو في طريقه إلى مكة ، فبلغه عزم المسلمين على خروجهم لأخذ العير ، فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة ليخبر قريشًا بالخبر ويستنفرهم [٣] للخروج محافظة على أموالهم .

فبلغ الخبر قريشًا ، فتجهزوا سراعًا ، وخرج كلهم قاصدين الغزو ، حتى إنه لم يتخلف من أشراف قريش أحد ، وكانوا قريبًا من ألف مقاتل .

● وخرج رسول الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان مع أصحابه وكانوا فيما رواه ابن إسحق ، ثلاثمائة وأربعةَ عشر رجلاً ، وكانت إبلهم سبعين ، يتعاقب على الواحدة منها اثنان أو ثلاثة من الصحابة ، وهم لا يعلمون من أمر قريش وخروجهم شيئًا ، أما أبو سفيان فقد أتيح له أن يحرز [٤] عيره ، إذ سلك طريق الساحل إلى مكة وجعل ماء بدر عن يساره ، وأخذ يسرع حتى نجى عيره وتجارته من الخطر .

● ثم إن النبي ﷺ أتاه خبر مسير قريش إلى المسلمين ، فاستشار من معه من أصحابه ، فتكلم المهاجرون كلامًا حسنًا ، وكان منهم المقداد بن عمرو ، فقد قال : يا رسول الله ! امض لما أمرك الله فنحن معك .. ولكن النبي ﷺ ظل ينظر إلى القوم ويقول لهم : (أشيروا علي أيها الناس) . فقال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ، قال : (أجل) . فقال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ،

---

(١) بعير تجارية : أي إبل يُتاجَر عليها . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣/٣٢٩ .

(٢) فندب : فدعا وبعث . انظر : المرجع السابق ٥/٣٤ .

(٣) يستنفرهم : يستنجدهم ويستمدهم ويحثهم على الخروج . انظر : المرجع السابق ٥/ ٩ .

(٤) يحرز : يحفظ ويصون . انظر : المرجع السابق ١/٣٦٦ .

فامض لما أردت فنحن معك ، فوالـذي بعثـك بـالحق لـو استعرضت بنـا هـذا البحـر فخضته لخضناه معك .

فَسُرَّ رسول ا لله ﷺ بقول سعد ، ثم قال : (سيروا وأبشـروا فإن ا لله قـد وعدني إحدى الطائفتين .. وا لله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم) .

ثم إن النبي ﷺ أخذ يتحسس أخبار قريش وعددهم عن طريـق العيـون الـتي بثها حتى علم المسلمون أنهم ما بـين التسعمائة والألـف ، وأن فيهـم عامـة زعمـاء المشركين .

● وقد كان أرسل أبو سفيان إليهـم أن يرجعوا إلى مكـة ، إذ أنـه قـد أحـرز العـير ، ولكن أبا جهل أصر على المضي ، وكان مما قال : وا لله لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيم عليه ثلاثًا ، فننحر الجـزر ونطعـم الطعـام ونسـقي الخمـر وتعـزف علينـا القيـان [1] ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا . ثـم إنهـم مضـوا حتـى نزلـوا بالعدوة القصوى [2] من الوادي .

● ونزل رسول ا لله ﷺ عند أدنى ماء من ميـاه بـدر . فقـال الحبـاب بـن المنـذر : يا رسول ا لله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه ا لله ليس لنـا أن نتقـدم ولا أن نتـأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : (بل هو الحـرب والـرأي والمكيـدة) ، فقال : فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى مـاء مـن القـوم فننزلـه ثـم نغوِّر [3] ماوراءه من الآبـار ، ثـم نبـني عليـه حوضًـا فنملـؤه مـاء ، ثـم نقـاتل القـوم فنشرب ولا يشربون . فنهض رسول ا لله ﷺ وتحول إلى المكان والرأي اللذيـن أشـار بهما الحباب رضي ا لله عنه [4] .

● واقترح سعد بـن معـاذ أن يبـني عريـش للنـبي ﷺ يكـون بمَـأمَنٍ فيـه رجـاء أن يعود سالمًا إلى من تخلف من المسلمين في المدينة وأن لا ينكبوا [5] بفقـده ، فوافـق عليه الصلاة والسلام على ذلك . ثم أخذ يطمئن أصحابه بتاييد ا لله ونصـره .

---

(١) القِيَان : أو القَيْنات : الإماء المغنيـات ، ومفردهـا : قَيْنَـة . انظر : النهايـة . لابـن الأثـير ٩٢/٥ .

(٢) القصوى : الأبعد . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٥٣٩ .

(٣) نغوِّر : أي نجعله غائرًا بعيدًا ذاهبًا في الأرض لا نقدر عليه . انظر : المرجع السابق ٣٩٣/٣ .

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة . لابن حجر ٣٠٢/١ . وسيرة ابن هشام ٦٥٩/٢ .

(٥) لا يُنكبوا : لا يُصابوا . انظر : المرجع السابق ١١٣/٥ .

حتى إنه كان يقول : (هذا مصرع فلان)[1] ، ومصرع فلان (أي من المشـركين) ، وهو يضع يده على الأرض ههنا وههنا .. فما تزحزح أحدهم في مقتله عن موضع يد .

● وراح رسول الله ﷺ يجأر [2] إلى الله تعالى بالدعاء مساء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ويقول : (اللهـم هـذه قريـش قـد أقبلـت بخيلائهـا وفخرها تحادك [3] وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم [4] الغداة) .. وظل يناشد الله متضرعًا [5] وخاشعًا [6] وهو يبسط كفيه إلى السماء حتـى أشفق عليه أبو بكر ﷺ ، فالتزمه من ورائه وقال له : يا رسول الله ! أبشر فوالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك . وأقبل المسلمون أيضًا يستنصرون الله ويستغيثونه ويخلصون له في الضراعة [7] .

● وفي صبيحة يوم الجمعة لسنتين خلتا من الهجرة بدأ القتال بين المشركين والمسلمين وأخذ النبي ﷺ حفنة من الحصباء [8] فاستقبل بها قريشًا وقال : (شاهت الوجوه) [9] ، ثـم نفحهـم [10] بهـا فلـم يبـق فيهـم رجـل إلا امتـلأت عينـاه منهـا ، وأيد الله المسلمين بالملائكة يقاتلون إلى جانبهم ، وانحسر [11] القتال عن نصر كبير للمسلمين ، وقتل في تلك الموقعة سبعون من صناديد [12] المشركين ، وأسر سبعون ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً .

وألقيت جثث المشركين الذين صُرعوا في هـذه الغزوة – وفيهم عامة

---

(١) صحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٣٠ (غزوة بدر) ١٤٠٤/٣ (١٧٧٩) . وانظر : سيرة ابن هشام ٦٥٩/٢ . (٢) يجأر : يرفع صوته ويستغيث . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٣٣/١ . (٣) تحادّك : تُعادك وتخالفك وتنازعك . انظر : المرجع السابق ٥٣/١ . (٤) أحنهم : أهلكهم . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ١٦٦ . (٥) متضرعًا : متذللاً مبالغًا في السؤال والرغبة . انظر : النهاية . لابن الأثير ٨٥/٣ . (٦) خاشعًا : خاضعًا خاشيًا . انظر : المرجع السابق ٣٤/٢ . (٧) سيرة ابن هشام ٦٦٦/٢ . وصحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ١٨ (الإمداد بالملائكة في غزة بدر ...) ١٣٨٣/٣ ، ١٣٨٤ (١٧٦٣) . وصحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) (قصة غزوة بدر) ب (قول الله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم .. ﴾) ٢٣١/٧ ، ٢٣٢ . (٨) الحَصْبـاء : "الحصى الصغير" . النهاية لابن الأثير ٣٩٣/١ . (٩) شاهت الوجوه "أي : قَبُحت" المرجع السابق ١١/٢ . (١٠) نفحهم : رماهم وضربهم من النَّفح . انظر المرجع السابق ١١٣/٥ . (١١) انحسر : انكشف . انظر المرجع السابق ٣٨٣/١ . (١٢) صناديد : أشراف وعظماء ورؤساء ومفردها : صنديد . انظر : المرجع السابق ٥٥/٣

صناديدهم – في قليب [1] بدر وقام رسول ا لله ﷺ على ضفة [2] البئر فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : (يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ، ايسركم أنكم أطعتم ا لله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟) فقال عمر : يا رسول ا لله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال رسول ا لله ﷺ : (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) [3] .

● واستشار النبي ﷺ أصحابه في أمر الأسرى ، فأشار عليه أبو بكر ﷺ أن يأخذ منهم فدية من المال تكون قوة للمسلمين ويتركهم عسى ا لله أن يهديهم ، وأشار عمر بن الخطاب ﷺ بقتلهم لأنهم أئمة الكفر وصناديده ، ولكن النبي ﷺ مال إلى ما رآه أبو بكر من الرحمة بهم وافتدائهم بالمال ، وحكم فيهم بذلك ، غير أن آيات من القرآن نزلت عتابًا لرسول ا لله ﷺ في ذلك ، وتأييدًا للرأي الذي رآه عمر من قتلهم ، وهي من قوله تعالى : ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ [4] إلى قوله : ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا ﴾ [5] [6] .

٢- (١٢٦) خرج المسلمون بقصد الاستيلاء على عير أبي سفيان ، فأبعد ا لله عنهم العير وأبدلهم نفيرًا ونصرًا ، وفي هذا دليل على أمرين . بينهما ؟

● **الأمر الأول :** أن عامة ممتلكات الحربيين أموال غير محترمة عند المسلمين ، فلهم أن يستولوا عليها وما أخذوه يعتبر ملكًا لهم ، وهذا باتفاق عامة الفقهاء . وللمهاجرين عذر آخر وهو محاولة تعويضهم عن ممتلكاتهم في مكة التي سيطر عليها المشركون .

● **الأمر الثاني :** أنه على الرغم من مشروعية هذا القصد ، فقد أبدلهم الله بقصد أفضل وأشرف وأليق بوظيفتهم التي خلقوا لأجلها وهي الدعوة إلى دين الله والجهاد

---

(١) قليب : "القَلِيبُ : البئر الذي لم تُطْوَ ، ويُذكّر ويؤنث" النهاية .لابن الأثير ٩٨/٤ .

(٢) ضفة : جانب . انظر : المرجع السابق ٩٦/٣ . (٣) صحيح البخاري مع الفتح (واللفظ له) . ك (المغازي) ب (قتل أبي جهل) ٢٤٠/٧ ، ٢٤١ . وصحيح مسلم . ك ٥١ (الجنة وصفة نعيمها) ب ١٧ (عرض مقعد الميت ...) ٢٢٠٣/٤ (٢٨٧٣) . (٤) الأنفال . من الآية / ٦٧ . (٥) الأنفال . من الآية / ٦٩ . (٦) انظر : صحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ١٨ (الإمداد بالملائكة في غزة بدر ...) ١٣٨٥/٣ (١٧٦٣) .

في سبيل الله والتضحية بالروح والمال لإعلاء كلمة الله ، ولذلك قدر الله أن تنـجو عير أبي سفيان ويقع الجهاد والنصر في بدر . وفي ذلك يقول : ﴿ **وإذ يعدكـم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** ﴾ [1] .

٣- (١٢٧) في مشاورة النبي ﷺ لأصحابه ﷺ في أمر الحرب التي فوجئوا بها دلالتان شرعيتان . بينهما ؟

• **الدلالة الأولى** : التزامه ﷺ بمبدأ التشاور مع أصحابه ، وقد كان كذلك طوال حياته فيما يتعلق بالتدبير والسياسة الشرعية ما لا نص فيه ، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم فيه من كتاب أو سنة أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله ، وأما ما ثبت في القرآن أو السنة فيجب العمل به ولا شأن للشورى فيه .

• **الدلالة الثانية** : خضوع حالات الغزو والمعاهدات والصلح بين المسلمين وغيرهم لما يسمى بالسياسة الشرعية أو حكم الإمامة ، فحكم الجهاد ثابت في الشريعة ، كذلك حكم الصلح والمعاهدات ، غير ان تطبيق هذا أو ذاك يخضع لظروف الزمان والمكان وحالة المسلمين وحالة أعدائهم قوة وضعفًا وتقدير الإمام العالم بالدين والسياسة لذلك لما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين بعد استشارة أهل الخبرة والرأي والعلم بشرط ألا يصادم نصًا من القرآن أو السنة . وقد اتفق عامة الفقهاء أن هذه الشورى مشروعة ولكنها ليست بملزمة للإمام ، فله أن ينظر أقربها إلى الكتاب والسنة فيعتمده - وإن خالف رأي الأكثرية - ، ويتوكل على الله وينفذه . والله أعلم .

٤- (١٢٨) لماذا لم يقع جواب أبي بكر وعمر والمقداد موقعًا كافيًا من نفس

---

(١) الأنفال / ١٧٧ .

الرسول ﷺ ، وظل ينظر في وجوه القوم ، حتى إذا تكلم سعد بن معاذ اطمأن وطابت نفسه عندذاك ؟ واذكر ما تكلمه سعد بن معاذ في ذلك ؟

● لأن الأنصار كانوا أعداد الناس في غزوة بدر ، فأراد النبي ﷺ أن يعرف رأيهم في حرب قريش ، لأن معاهدتهم معه في بيعة العقبة الثانية تنص على أن يحموا النبي ﷺ داخل المدينة ، لا أن يسير بهم خارجها . ولم يرد النبي ﷺ أن يجبرهم على ما لم يرد في الوثيقة ، فلماتكلم سيد النصار سعد بن معاذ ، ودل كلامه أن بيعته وطاعته لله ولرسوله أكبر مما ورد في بيعة العقبة اطمأن النبي ﷺ وطابت نفسه .

● ما تكلمه سعد بن معاذ سبق ذكره في النقطة الرابعة من إجابة السؤال الأول .

٥- (١٢٩) هل يجوز للإمام وغيره أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين . وضح ذلك مع ذكر الدليل ؟

● **الحكم** : يجوز ذلك ليكتشف المسلمون قوة أعدائهم وضعفهم ، وخططهم وأحوالهم ، فييسر عليهم وضع الخطة الحربية المناسبة مع اختيار المكان والزمان الملائمين لذلك ، ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك على أن لا تضر بمصلحة أهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو ، وربما استلزمت الوسيلة تكتمًا أو نوعًا من المخادعة والحيلة .

● **الدليل** : يدل على ذلك ما يلي :

١- أنه ﷺ في غزوة بدر "وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وبما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما [1] ؟ فقال رسول الله ﷺ : (**إذا أخبرتنا أخبرناك**) قال : أو ذلك بذلك ؟ قال : (**نعم**) قال الشيخ : ... وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرنا صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : (**نحن من ماء**) ثم انصرف عنه . يقول الشيخ : ما من ماء ؟! أمن ماء العراق ؟" [2] .

---

(١) الذي كان مع النبي هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه . (٢) سيرة ابن هشام ٦٥٤/٢ .

٢- ويدل على ذلك أيضًا ما قاله ابن إسحق في روايته : "ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد ابن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه ، إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه" [(١)] .

٦- (١٣٠) على أي شيء يدل الحديث الذي جرى بين النبي ﷺ والحباب ابن المنذر في شأن المكان الذي نزل فيه ؟

يدل على أن تصرفات النبي ﷺ ليس كلها من نوع التشريع ، بل هو في كثير من الأحيان يتصرف من حيث إنه بشر من الناس يفكر ويدبر كما يفكر غيره ، ولا ريب لسنا ملزمين باتباعه في مثل هذه التصرفات كما حدث في اختياره للمكان الذي نزله ، حيث أخذ بنصيحة الحباب وتحول إلى المكان الآخر الذي أشار إليه الحباب بن المنذر بعد أن استوثق أن اختياره ﷺ ليس بوحي . ومن ذلك كثير من عطاءاته وتدابيره العسكرية وغير ذلك من السياسة الشرعية التي يتصرف فيها كإمام ورئيس لا كمبلغ وحي من الله .

٧- (١٣١) بين أهمية التضرع إلى الله وشدة الاستعانة به ؟ وما الدليل على ذلك ؟

● **الأهمية** : أنه يؤدي إلى استنزال النصر والاستجابة من الله ، فالنصر مهما توفرت وسائله وأسبابه لا يكون إلا من الله وتوفيقه . والتضرع والاستعانة بالله من صفات العبودية للإنسان لربه ، وهي التي يريدها الله من الإنسان ، إذ الإنسان يتقرب إلى الله بصفة العبودية ، ويتوسط إلى الله لاستجابة دعائهِ بواسطة ذلِّ العبودية .

● **الدليل** : أن النبي ﷺ وقف ليلة الجمعة في العريش الذي أقيم له يجأر إلى الله تعالى داعيًا ومتضرعًا باسطًا كفيه إلى السماء يناشد الله عز وجل أن يؤتيه نصره الذي وعد حتى سقط رداؤه وأشفق عليه أبو بكر والتزمه قائلاً : كفى يا رسول

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٦٥٤ .

الله إن الله منجز لك ما وعد . فالنبي ﷺ يدعو ويتضرع مع أنه كان يعلم أن الله سينصره فكان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم حتى كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول : (**هذا مصرع فلان**) ، ولقد وقع الأمر كما أخبر فلم يتزحزح أحد عن مصرعه ، وإنما ألح في الدعاء لتحقيق صفة العبودية .

٨- (١٣٢) لماذا ألح النبي ﷺ في الدعاء والتضرع إلى الله لينزل نصره مع أنه كان مطمئنًا لنصر الله لدرجة أنه قال : لكأني أنظر إلى مصارع القوم . وأنه حدد مصارع بعضهم على الأرض ؟

إن اطمئنان النبي ﷺ وإيمانه بالنصر ، إنما كان تصديقًا منه للوعد الذي وعد الله به رسوله . ولا شك أن الله لا يخلف الميعاد ، وقد وعده الله إحدى الطائفتين . أما الاستغراق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء ، فتلك هي وظيفة العبودية التي خُلق من أجلها الإنسان . وذلك هو ثمن النصر في كل حال . وقد نصت الآية الكريمة على ذلك إذ تقول : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾ (١) .

٩- (١٣٣) اذكر الدليل على أن الله أمد المسلمين بالملائكة في غزوة بدر ؟ وما هدف هذه الإمداد ؟ ومن أين يأتي النصر ؟ وما الدليل ؟ وهل المقصود بالملائكة هنا المدد الروحي أو القوة المعنوية كما ذهب البعض وما الدليل ؟

● **الدليل على ذلك :**

١- قوله تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾ (٢) .

٢- وما روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر : (**هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب**) .

٣- وما روى - أيضًا - أنه جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : "ما تعدون أهل

---

(١) الأنفال / ٩ .   (٢) الأنفال / ٩ .

بدر فيكم ؟" قال : (من أفضل المسلمين) أو كلمة نحوها ، قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة [1] .

● **هدف الإمداد :** القتال مع المسلمين ، وتبشيرهم بنصر الله ، وتطمين قلوبهم ، وتثبيتهم .

● **مصدر النصر والدليل :** النصر يأتي من عند الله فقط ، ولا يأتي من الملائكة ولا غيرهم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ [2] .

● **المقصود بالملائكة والدليل :** ليس المقصود بالملائكة هنا المدد الروحي أو القوة المعنوية ، وإنما ملائكة الله على الحقيقة ، بدليل ضبط البيان الإلهي الملائكة بعدد معين محدود وهو الألف ، كما في الآية السابقة ، إذ العدد من مستلزمات الكم المنفصل في الأشياء ، ولا يكون ذلك إلا في الأشياء المادية المحسوسة .

١٠- (١٣٤) وضح الدلالة من وقوف رسول الله ﷺ على فم القليب ينادي قتلى المشركين ويكلمهم بعد ما ماتوا ، وفيما قاله لعمر إذ ذاك ؟

يدل ذلك على الحياة البرزخية للأموات ، وأن للميت حياة روحية خاصة به ، لا ندري حقيقتها وكيفيتها ، وأن أرواح الموتى تظل حائمة حول أجسادهم ، ومن هنا يتصور معنى عذاب القبر ونعيمه ، وهذه أمور لا تخضع للمشاهدة أو التجارب العقلية والمادية ، وإنما نؤمن بها لأنها ثابتة في القرآن والسنة كما نؤمن بالجنة والنار .

١١- (١٣٥) وضح الدلالات العامة من مشاورة الرسول ﷺ في شأن الأسرى ، وما أعقبها من حكم افتدائهم بالمال ثم نزول آيات تعتب على النبي ﷺ وعلى أصحابه اتخاذ ذلك الحكم ؟

● **الدلالة الأولى :** (الأسرى واجتهاد الرسول ﷺ) : هذه الواقعة تدل على أن النبي

---

(١) صحيح البخاري . ك (المغازي) ب (غزوة أحد) ١٣/٥ ، ١٤ . (٢) الأنفال / ١٠ .

ﷺ كان له أن يجتهد وبذلك قال جمهور علماء الأصول ، واستدلوا بمسألة أسرى بدر ، وإذا صح أن يجتهد ، صح منه بناء على ذلك أن يخطئ في الاجتهاد ويصيب ، غير أن الخطأ لا يستمر . بل لابد أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده . فإذا لم تنزل آية فهو دليل على أن اجتهاده قد وقع على ما هو الحق في علم الله تعالى ، واجتهاده إنما يكون فيما لم يوحى إليه به ، وليس المقصود بالخطأ هو الإثم والانحراف ونحو ذلك مما يتنافى مع العصمة الثابتة للأنبياء ، وإنما المقصود عدم مطابقة اجتهاده لما هو الكمال الثابت في علم الله ﷻ ، وهو لا يتنافى مع عصمته ﷺ . بل هو مثاب من الله تعالى عليه . والناس مكلفون باتباعه في ذلك ما لم تتنزل عليه آية تصرفه إلى حكم آخر .

● **الدلالة الثانية :**

أ - إن غزوة بدر هي أول تجربة للمسلمين في التضحية والقتال في سبيل الله تعالى وهم أقلة ضعفاء ، وقد عالجت الحكمة الإلهية تجربة القتال مع الضعف بأن ثبت الله قلوبهم وطمأن نفوسهم بالخوارق الدالة على النصر .

ب - إن غزوة بدر هي أول تجربة للمسلمين في رؤية الغنائم والأموال أمامهم عقب المعركة وهم فقراء محتاجون ، وقد عالجت الحكمة الإلهية تجربة رؤية الغنائم والأموال مع الحاجة والفقر بوسائل تربوية دقيقة تجلت في مشهدين :

١ - **المشهد الأول** : لما اختلفوا وتشاجروا في الغنائم سألوا النبي عن ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين O إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [1] .

فالآيتان الكريمتان صرفتهم عن موضوع الغنائم ووجهتهم إلى إصلاح ذات بينهم لأن أمور الدنيا بيد الله فليتوكلوا عليه ، فلما تاب المؤمنون إلى هدى الآيتين نزلت آيات أخرى تقرر حكم الغنائم بين المقاتلين . وهذه من أبرع الوسائل التربوية .

---

(١) الأنفال / ١ ، ٢ .

٢- **المشهد الثاني** : أن النبي - ﷺ - لما شاور أصحابه في شأن الأسرى سكنت نفوسهم إلى رأي افتدائهم بالمال ليجمعوا بين الرحمة بالأسرى عسى أن يهتدوا ، وبين تعويض المهاجرين ما فاتهم من مال في مكة ، وهذا الرأي سكنت إليه نفس النبي ﷺ لشفقته الشديدة على أصحابه ، فلما رآهم خارجين إلى بدر وهم فقراء دعا الله قائلاً : (**اللهم إنهم حفاة فاحملهم . اللهم إنهم عراة فاكسهم . وإنهم جياع فأشبعهم**) [1] . ولكن الحكمة الإلهية رفضت من المسلمين أن يجعلوا من النظرة إلى المال ميزانًا أو جزء ميزان للحكم في قضاياهم الكبرى التي قامت على أساس النظرة الدينية وحدها مهما كانت الأحوال والظروف . إذ يوشك لو تركوا النظرة الدينية أمام أول تجربة أن تصير هذه حالتهم وطريقتهم بعد ذلك .

وقد نزل قرآن يُتلى إلى يوم القيامة في ذلك ، فقد روى مسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال : "... فلما كان من الغدِ جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان . قلت : يا رسول الله ! أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك . فإن وجدت بكاءً بكيت . وإن لم أجد بُكاءً تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله ﷺ : (**أبكي للذي عرض عليَّ أصحابُك من أخذهم الفداء . لقد عُرض عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة**) - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ - وأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان لنبيٍ أن يكون له أسرى حتى يثخِن في الأرض** [2] ﴾ [3] إلى قوله : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا** ﴾ [4] فأحل الله الغنيمة لهم" [5] .

١٢- (١٣٦) اذكر الدلائل والدروس والعظات الجليلة التي انطوت عليها غزوة بدر الكبرى ؟

١- إن الله جل ثناؤه أبدل المسلمين غنيمة العير التي كانوا يطلبونها ، بنفيرٍ في

---

(١) أبو داود . عن جمع الفوائد ٢/ ٩٠ .

(٢) يثخن في الأرض : أي يكثر القتل والقهر في العدو . (٣) الأنفال . من الآية / ٦٧

(٤) الأنفال . من الآية / ٦٩ . (٥) صحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ١٨ (الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ...) ٣/١٣٨٥ (١٧٦٣) .

سبيله أعقبه بنصر مؤزر . وهذه غنيمة أكبر وعمل أشرف وتجارة لا ينقطع ربحها .

٢- إن عامة ممتلكات الحربين مباحة للمسلمين ، وما استولوا عليه منها يعتبر ملكًا حلالاً لهم .

٣- إن جيش قريش هو الخاسر الأكبر في غزوة بدر ، نظرًا للخسائر الكبيرة التي وقعت فيه والمتمثلة في هزيمته وفراره ، وقتل سبعين من جنوده وقادته ، واسر مثلهم ، وانحطاط سمعته ، وإن نجت قافلة أبي سفيان التجارية فإن الفائدة من نجاتها ضئيلة مع تلك الخسارة الفادحة .

٤- التزام النبي ﷺ بمبدأ الشورى مع أصحابه في غزوة بدر وفي سائر حياته .

٥- خضوع حالات الغزو والمعاهدات والصلح بين المسلمين وغيرهم لما يُسمى بالسياسة الشرعية أو حكم الإمامة .

٦- إن الأنصار التزموا نصوص بيعة العقبة الثانية التي تنص على الدفاع عن النبي ﷺ داخل المدينة ، بل وعبروا عن بيعتهم الكبرى مع اللـه بالجهاد في سبيله والدفاع عن نبيه في كل زمان ومكان ، ووقعوا بذلك تحت صك عظيم تضمن قوله تعالى : ﴿ **إن ا لله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل ا لله فيقتُلون ويُقتلون** ﴾ (١) .

٧- يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين .

٨- إن تصرفات النبي ﷺ ليس كلها من نوع التشريع ، بل يتصرف أحيانًا كبشر يفكر ويدبر كما يفكر غيره ، وهذه نأخذ منها ما يناسبنا فقط ، بدليل أن النبي ﷺ نفسه ترك المكان الذي نزل فيه ببدر ، ونزل في المكان الذي أشار بالتحول إليه الحباب لأنه الأفضل .

٩- أهمية التضرع لله وشدة الاستعانة به في استنزال نصر الله ، وفي تحقيق وظيفة العبودية لله التي خلقنا لأجلها ، والدعاء عبادة بل هو مُخُّ العبادة .

١٠- انطوت غزوة بدر على معجزة باهرة تمثلت في إمداد المسلمين بألف من الملائكة مردفين يقودهم جبريل عليه السلام ، وجعلهم الله سببًا للنصر . وأما النصر فمن عند الله وحده .

---

(١) التوبة . من الآية / ١١١ .

١١- في وقوف النبي ﷺ علىفم قليب بدر يكلم موتى المشركين دليل على إثبات الحياة البرزخية للأموات .

١٢- تدل واقعة الأسرى أن للنبي ﷺ أن يجتهد فيما لم ينزل به قرآن ، وأن المسلمين ملزمون باجتهاده ما لم ينزل قرآن يصححه . وهذا لا يتنافى مع عصمته .

١٣- عالجت الحكمة الإلهية تجربة قتال المسلمين مع ضعفهم في غزوة بدر بأن ثبت الله قلوبهم ، وطمأن نفوسهم ؛ بالخوارق الدالة على النصر .

١٤- عالجت الحكمة الإلهية تجربة رؤية المسلمين للغنائم والأموال مع الحاجة والفقر بوسائل تربوية دقيقة تجلت في مشهدين (أولهما) نزول القرآن يصرفهم عن موضوع الغنائم ويوجههم إلى تقوى الله وإصلاح ذات البين ، ثم نزول القرآن بحكم توزيع الغنائم بين المجاهدين . (وثانيهما) أنهم لما أشاروا على النبي ﷺ بأخذ الفداء من الأسرى لتعويض المهاجرين ما فاتهم بمكة ، نزلت الحكمة الإلهية في آيات تتلى ترفض من المسلمين هذه النظرة الدنيوية وتوجههم إلى النظرة الدينية الأخروية مهما كانت الأحوال والظروف .

١٣- (...) كانت غزوة بدر أول تجربة لقتال المسلمين مع ضعفهم . فكيف عالجت الحكمة الإلهية ذلك ؟

الإجابة: سبقت في (أ) من الدلالة الثانية من السؤال الحادي عشر .

١٤- (...) كانت غزوة بدر أول تجربة لقتال المسلمين مع فقرهم ثم رؤيتهم للغنائم . فكيف عالجت الحكمة الإلهية ذلك ؟

الإجابة: سبقت في (ب) من الدلالة الثانية من السؤال الحادي عشر .

٢- غزوة أحد

١- (١٣٧) وضّح بالتفصيل أحداث غزوة أحد ؟

● سببها أن بقية من زعماء قريش ممن لم يقتلوا في غزوة بدر ، اجتمع رأيهم على الثأر لقتلاهم في بدر ، وأن يستعينوا بعير أبي سفيان وما فيها من أموال لتجهيز جيش قوي لقتال رسول ا لله ﷺ ، فاجتمعت كلمة قريش على ذلك ، وانضم إليهم غيرهم أيضًا ممن يسمون بالأحابيش [1] ، واستعانوا بعدد كبير من النسوة كي يمنعن الرجال من الفرار إذا أحدق بهم المسلمون [2] . وخرجوا من مكة وقد بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل .

● وسمع رسول ا لله ﷺ بالخبر فاستشار أصحابه وخيّرهم بين الخروج لملاقاتهم وقتالهم ، والبقاء في المدينة ، فإن دخلوا عليهم فيها قاتلوهم ، فكان رأي بعض شيوخ من المسلمين عدم الخروج من المدينة ، وكان عبد ا لله بن أبي سلول من أصحاب هذا الرأي ، غير أن كثيرًا من الصحابة ممن لم يكن لهم شرف القتال في بدر رغبوا في الخروج ، وقالوا : يا رسول ا لله أخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جَبُنّا عنهم وضعفنا .. ولم يزل أصحاب هذا الرأي برسول ا لله ﷺ حتى وافقهم على ما أرادوا ، فدخل بيته فلبس درعه وأخذ سلاحه وظن الذين ألحوا على رسول ا لله ﷺ بالخروج أنهم قد استكرهوه على ما لا يريد فندموا على ما كان منهم ، ولما خرج عليهم قالوا : استكرهناك يا رسول ا لله ، ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت فاقعد . فقال رسول ا لله ﷺ : (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته "أي درعه" أن يضعها حتى يقاتل) [3] .

● ثم إن النبي ﷺ خرج من المدينة في ألف من أصحابه ، وذلك يوم السبت لسبع ليالٍ خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من هجرته عليه الصلاة والسلام [4] ،

---

(١) الأحابيش : هم أحياء من القارة سموا بذلك من التَّحَبُّش : التَّجمع . وقيل : لأنهم حالفوا قريش تحت جبل يُسمى حُبيشًا فسموا بذلك . انظر : النهاية . لابن الأثير ١/٣٣٠ .

(٢) أحدق بهم المسلمون : أي رموهم بحدقهم - أعينهم - ، والتحديق : شدة النظر . انظر المرجع السابق ١/٣٥٤ . (٣) انظر : سيرة ابن هشام ٣/٨٣٧ وما بعدها . وتاريخ الطبري ٢/٥٠٠ . وترتيب مسند الإمام أحمد ٢٢/٥٢ . (٤) طبقات ابن سعد ٣/٨٧ . وسيرة ابن هشام ٣/٨٣٧ وما بعدها .

حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد انخزل [1] عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش - وعامتهم من شيعته وأصحابه - وكرّ راجعًا بهم [2] وهو يقول : عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له ، وما ندري علام نقتل أنفسنا ؟

وتبعهم عبد الله بن حرام يناشدهم الله أن لا يخذلوا [3] نبيهم ، فلم يستجيبوا لندائه ، وقال زعيمهم : "لو نعلم قتالاً لاتبعناكم" . وروى البخاري ﷺ أن المسلمين اختلفوا في أمر هؤلاء الذين انخزلوا عن المسلمين ، ففرقة منهم تقول نقاتلهم ، وأخرى تقول دعوهم ، فنزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم [4] بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ﴾ [5][6] . واقترح بعض الصحابة الاستعانة باليهود ، بناء على ما بينهم من ميثاق التناصر فقال رسول الله ﷺ : (لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك) [7] .

● وعسكر النبي ﷺ وأصحابه - وهم لا يزيدون على سبعمائة مقاتل - في الشعب من أحد فجعل ظهور المسلمين إلى أحد واستقبلوا المدينة ، وجعل على الجبل خلف المسلمين خمسين راميًا ، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير وأوعز إليهم قائلاً : (قوموا على مصافّكم [8] هذه فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد انتصرنا فلا تشركونا ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا) [9] .

● وألحّ كل من رافع بن خديج وسمرة بن جندب أن يشتركا مع النبي ﷺ في القتال ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، فردهما النبي ﷺ لصغر أسنانهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعًا رامٍ ، فأجازه ، فجاء سمرة بن جندب يقول : فأنا والله أصرع رافعًا ، فأجازه هو أيضًا .

---

(١) انخزل : "أي : انفرد" النهاية . لابن الأثير ٢/ ٢٩ . (٢) كرّ راجعًا بهم : عَطَف عن جيش النبي ﷺ - راجعًا بشيعته . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢/ ١٢٥ .

(٣) لا يخذلوا : أي لا يتخلوا عن إغاثته ونصره . انظر : المرجع السابق ٢/ ١٦ .

(٤) أركسهم : "معناه : ردهم إلى الكفر" فتح القدير . للشوكاني ١/ ٤٩٥ . (٥) النساء . من الآية / ٨٨ . (٦) انظر : صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة أحد) ٧/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ . (٧) طبقات ابن سعد ٣/ ٨٠ . وسيرة ابن هشام ٣/ ٨٤١ ، ٨٤٢ .

(٨) مصّافكم : "المَصافّ ... جمع مصَفّ ، وهو موضع الحرب الذي يكون فيه الصفوف" النهاية . لابن الأثير ٣/ ٣٨ . (٩) طبقات ابن سعد ٣/ ٨ . وانظر : سيرة ابن هشام ٣/ ٨٤٣ ، ٨٤٤ . وصحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة أحد) ٧/ ٢٨٠

• وأمسك النبي ﷺ بسيف فقال : (من يأخذ هذا السيف بحقه ؟) فأقبل أبو دجانة قائلاً : أنا آخذه بحقه ، فأعطاه إياه ، فأخرج أبو دجانة عصابة حمراء فعصب بها رأسه – وكان ذلك شأنه عندما كان يريد أن يقاتل حتى الموت – ، ثم راح يتبختر [1] بين الصفوف . فقال رسول الله ﷺ : (إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن) [2] . ثم أعطى رسول الله ﷺ اللواء [3] لمصعب بن عمير ﷺ . وكان الذي يقود ميمنة المشركين خالد بن الوليد ، وميسرتهم عكرمة بن أبي جهل .

• فاقتتل الناس ، وحميت الحرب ، وراح المسلمون يحسون [4] المشركين في اندفاع مذهل ، وكان في مقدمة المبارزين والمقاتلين أبو دجانة ، وحمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير .

وقُتل مصعب بن عمير دون الرسول ﷺ فأخذ اللواء علي بن أبي طالب ﷺ ، وما هو إلا أن أنزل الله نصره على المسلمين فانكشف المشركون منهزمين لا يلوون [5] على شيء ونساؤهم يدعون بالويل . وتبعهم المسلمون يقتلون ويغنمون . فتكلم الرماة الذين كانوا يرابطون على الجبل في النزول ، واختلفوا فيما بينهم ، فنزل كثير منهم ظنًا منهم بأن الحرب قد وضعت أوزارها [6] ، وراحوا يأخذون مع أصحابهم الغنائم ، وثبت رئيسهم عبد الله بن جبير مع عدد يسير قائلاً : لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ . ونظرخالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله ، فكرّ راجعًا بالخيل وتبعه عكرمة فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وأميرهم ، وأخذوا يهجمون على المسلمين من الخلف [7] .

• وحينئذ انكشف المسلمون وداخلهم الرعب ، وأخذ المسلمون يقتتلون على غير

---

(١) يتبختر : أي : يمشي مشية المتكبر المعجب بنفسه . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٠١/١ .

(٢) سيرة ابن هشام ٨٤٤/٣ ، ٨٤٥ . وصحيح مسلم بنحوه . ك ٤٤ (فضائل الصحابة) ب ٢٥ (من فضائل أبي دجانة ...) ١٩١٧/٤ (٢٤٧٠) .

(٣) اللواء : "الراية ويُسمى أيضًا العلم" فتح الباري . لابن حجر ٩٥/٦ .

(٤) يحسُّون : يستأصلون قتلاً . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣٨٥/١ .

(٥) لا يلوون . لا يلتفتون . انظر : المرجع السابق ٢٧٩/٤ .

(٦) أوزارها : "أي انقضى أمرها وخفّت أثقالها فلم يبق قتال" المرجع السابق ١٧٩/٥ .

(٧) طبقات ابن سعد ٨٣/٣ . والبخاري مع الفتح . ك (الجهاد) ب (ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ...) ١٢٢/٦ .

شعار أو هدى وأوجع المشركون المسلمين قتالا ذريعًا [1] حتى خلص إلى رسول الله ﷺ فرُمي بالحجارة حتى رمي لشقة ، وأصيبت رباعيته (السن المجاورة للناب) وشج [2] في وجهه ، وجعل الدم يسيل من وجهه فيمسحه وهو يقول : (كيف يفلح قوم خضبوا [3] وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟) وجاءت فاطمة رضي الله عنها تغسل عنه الدم وعليّ يسكب الماء بالمجن [4] ، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك [5] .

● وأثناء ذلك شاع في الناس أن رسول الله ﷺ قد قتل ، وكانت هذه الشائعة من أشد ما أدخل الرعب في قلوب بعض المسلمين ، وهي التي جعلت ضعاف الإيمان يقولون : فما مقامنا هنا إذا كان قد قتل الرسول ؟ وذهبوا يولون الأدبار ، وهي التي جعلت أنس بن النضر يقول : بل ما فائدة حياتكم بعد رسول الله ﷺ ، ثم أشار إلى المنافقين وإلى ضعاف الإيمان قائلاً : اللهم إني أبرأ إليك مما يقول هؤلاء ، وأعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وانطلق فشد بسيفه على المشركين حتى قتل [6] .

● وتجلّى في هذه الأثناء مظهر رائع للتضحية والفداء ممن كانوا حول رسول الله من الصحابة فراحوا يقدمون أرواحهم رخيصة دون رسول الله ﷺ حتى قتل معظمهم .

روى البخاري أنه لما كان يوم أحد ، انهزم الناس عن النبي ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي النبي ﷺ مجوّب عليه (متَرّس بنفسه عليه) بحجفة له (ترس من جلد) ، وكان أبو طلحة رجلاً راميًا شديد النزع . يشرف النبي ﷺ ينظر إلى القوم ، فيقول أبو طلحة : بأبي أنت وأمي لا تشرف ، يصيبك سهم من سهام القوم ، نحري دون نحرك [7] .

---

(١) ذريعًا : "اي : سريعًا كثيرًا" النهاية . لابن الأثير ١٥٨/٢ .

(٢) شجَّ : جُرح وشُق . انظر : المرجع السابق ٤٤٥/٢ .

(٣) خضبوا : بلّوا . انظر : المرجع السابق ٣٩/٢ .

(٤) بالمجن : الترس أو الدرقة . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٧١/٦ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد) ٢٩٨/٧ . وصحيح مسلم . ك ٢٣ (الجهاد والسير) ب ٣٧ (غزوة أحد) ١٤١٧/٣ (١٧٩١) .

(٦) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة أحد) ٨٤/٧ ، ٢٨٥ . وصحيح مسلم .

(٧) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (إن همت طائفتان ...) ٢٨٩/٧ ، ٢٩٠ .

وترّس أبو دجانة نفسه دون رسول ا لله ﷺ ، والنبل يتلاحق في ظهره وهو منحن على رسول ا لله ﷺ لا يتحول . وترّس زياد بن السكن نفسه دون رسول ا لله ﷺ حتى قتل هو وخمسة من أصحابه ، وكان آخرهم على ما رواه ابن هشام عمارة ابن يزيد بن السكن ، فقاتل دونه عليه الصلاة والسلام حتى أثبتته الجراح ، فقال رسول ا لله ﷺ : أدنوه مني ، فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول ا لله ﷺ .

● ثم إن الحرب هدأت بين الطرفين وانحسر [١] المشركون منصرفين ، وقد زُهوا [٢] بالنصر الذي أحرزوه ، وفزع الناس لقتلاهم ، وكان فيهم حمزة بن عبد المطلب ، واليمان ، وأنس بن النضر ، ومصعب بن عمير وعدد كبير غيرهم ، وقد تأثر النبي ﷺ لمقتل عمه تأثرًا كبيرًا، وقد مُثّل به فبقر [٣] بطنه وجدع [٤] أنفه وأذناه . وأخذ النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من القتلى في ثوب واحد ثم يقول : (أيهم أكثر أخذًا للقرآن ؟) فإذا أشير له إلى أحدهم قدّمه في اللحد ، وقال : (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) . وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم ولم يُغسلوا [٥] .

● وأخذ اليهود والمنافقون يظهرون الشماتة بالمسلمين ، وراح عبد ا لله بن أبي بن سلول يقول هو وأصحابه للمسلمين : لو أطعتمونا ما قتل منكم من قتل ، وأخذوا يتساءلون عن النصر الذي كانوا يتوهمونه مع رسول ا لله ﷺ ، فأنزل ا لله تعالى آيات من سورة آل عمران تعليقًا على إرجاف [٦] اليهود والمنافقين وبيانًا لحكمة ما حصل في غزوة أحد ، وهي تبدأ بقوله تعالى : ﴿ وإذ غدوت من أهلك تبوِّء [٧] المؤمنين مقاعد للقتال وا لله سميع عليم ﴾ [٨] إلى قوله : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعوا ما قتلوا ، قل فادرأوا [٩] عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾ [١٠] .

---

(١) انحسر : انكشف . (٢) زهوًا : كِبرًا وفخرًا . انظر النهاية . لابن الأثير ٣٢٣/٢ .

(٣) فَبُقِر : فُتح وشُقَّ شقًا واسعًا عظيمًا . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٤٤/١ ، ١٤٥ .

(٤) جُدع : قُطع . انظر : المرجع السابق ٢٤٦/١ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (من قتل من المسلمين يوم أحد ...) ٣٠٠/٧ ، ٣٠١ .

(٦) إرجاف : الأخبار التي يخوضون فيها . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٢٣٥ .

(٧) تبوِّء : "تتخذ" فتح القدير . للشوكاني ٣٧٧/١ . (٨) آل عمران / ١٢١ .

(٩) فادرأوا : فادفعوا . انظر : فتح القدير . للشوكاني ٣٩٧/١ .

(١٠) آل عمران / ١٦٨ .

● وانصرف رسول الله ﷺ من أحد مساء السبت ، فبات تلك الليلة في المدينة هو وأصحابه ، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم . فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح يوم الأحد ، أمر بلالاً أن ينادي أن رسول الله يأمركم بطلب العدو ، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس .. ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحل ، فدفعه إلى علي ﷺ ، وخرج القوم وهم ما بين مجروح وموهون ، ومشجوج حتى عسكروا بحمراء الأسد (مكان من المدينة على بعد عشرة أميال) فأوقد المسلمون هناك نيرانًا عظيمة ، حتى تُرى من المكان البعيد وتوهم كثرة أصحابها .

● ومر بهم معبد بن معبد الخزاعي (وكان يومئذ من مشركي خزاعة) ثم تجاوزهم فمرّ على المشركين وهم زجل [1] ومرح وزهو بالنصر الذي لاقوه في أحد ، وهم يأتمرون بالرجوع إلى المدينة للقضاء على المسلمين ، وصفوان بن أمية ينهاهم . فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال : ما وراءك يا معبد ؟ فقال : ويحكم ! إن محمدًا قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرُّقًا [2] ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط ؟ .. فأدخل الله بذلك رعبًا عظيمًا في قلوب المشركين ، وهبّوا مسرعين عائدين إلى مكة . وأقام النبي ﷺ في حمراء الأسد : الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة [3] .

٢- (١٣٨) اذكر قصة مشاورة النبي ﷺ لأصحابه بشأن قتال المشركين في غزوة أحد ؟ وعلى أي شيء تدل مشاورته لهم ؟

● **قصة المشاورة** : سبق ذكرها في النقطة الثانية من إجابة السؤال السابق .

● **دلالة المشاورة** : تدل مشاورته ﷺ لأصحابه ﷺ على مبدأ التشاور الذي كان يلتزمه ﷺ مع أصحابه طوال حياته في كل أمر يحتمل المشاورة والبحث .

---

(١) زجل : "أي صوت رفيع عال" . النهاية . لابن الأثير ٢/٢٩٧ .

(٢) يتحرقون عليكم تحرقًا : أي يحكون أنيابهم بعضها على بعض غَيْظًا وحَنَقًا . انظر : المرجع السابق ١/٣٧٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٨٨٠ وما بعدها . وطبقات ابن سعد . وتاريخ الطبري .

٣- (١٣٩) لمّا شاور النبي ﷺ أصحابه في غزوة أحد ألح أكثرهم أن يخرج بهم إلى عدوهم ، وكان يميل إلى قتالهم في المدينة ، فلما لبس سلاحه ندموا ورجوه البقاء إن شاء . فرفض . فما هي الحكمة من رفضه ؟

٤- (...) ما هو تفسيرك لرفض النبي ﷺ العدول عن الخروج إلى المشركين في أحد مع أنه كان يميل إلى قتالهم في المدينة ؟

إن البحث في الأمر بعد المشاورة واتخاذ القرار وأخذ العدة للقتال وظهور النبي ﷺ بدرعه وسلاحه أمر خارج عن حدود ما يقتضيه مبدأ التشاور ، لأن الحزم والعزم مطلوب في القضايا الحربية . ولئلا يتوهم من قعوده – بعد خروجه عليهم بسلاحه – الضعف والاضطراب والتردد ، وهي أمور نابعة من الخوف والحذر المفرط ، ولذلك أجابهم بعبارة فيها كل الحزم والعزم قائلاً : **(ما ينبغي لنبي لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)** .

٥- (١٤٠) بيِّن موقف المنافقين في غزوة أحد ؟ وما سببه فيما زعموا (أو ما تبريرهم له أو اعتذارهم عنه) ؟ وما هو السبب الحقيقي له ؟ وما الحكم والفوائد المستفادة منه ؟

- **الموقف :** هو انخزال رأس النفاق عبد الله بن سلول بثلاثمائة من أتباعه المنافقين عن رسول الله ﷺ وأصحابه بعد خروجه من المدينة .
- **السبب :** الذي زعموه أن النبي ﷺ إنما أخذ برأي الشبان الأغرار ، ولم يأخذ برأي عبد الله بن سلول وأمثاله من الشيوخ أصحاب الحكمة والعقول .
- **السبب الحقيقي :** أنهم لا يريدون قتالاً حتى لا يتعرضوا لعواقبه ونتائجه من الإصابات والقتل .
- **أهم الحكم والفوائد :**

١- إن الشدائد تمحص المؤمنين عن أخلاطهم من المنافقين .

٢- معرفة أبرز سمات المنافقين وهي أنهم يريدون أن يأخذوا من الإسلام ما فيه من مغانم ، ويبتعدوا عما فيه من مغارم وأتعاب

٦- (١٤١) بيِّن بالأدلة حكم الاستعانة بالكفار في الجهاد ؟

١- ذهب جمهور كبير من العلماء إلى أنه لا يجوز لما روى مسلم أن النبي ﷺ قال لرجل تبعه يوم بدر ليقاتل معه : (**تؤمن بالله ورسوله ؟**) قال : لا . قال : (**فارجع فلن أستعين بمشرك**) [١] ، ولأن النبي ﷺ رفض الاستعانة باليهود في غزوة أحد قائلاً : (**لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك**) .

٢- ذهب الشافعي إلى أنه إذى رأى الإمام أن الكافر حسن الرأي والأمانة في المسلمين وكانت الحاجة داعية إلى الاستعانة به جاز ، وإلا فلا .

والرأي الثاني هو المتفق مع القواعد ومجموع الأدلة ، إذ روى أنه ﷺ قبل معونة صفوان بن أمية يوم حنين وكان كافرًا [٢] .

٧- (١٤٢) اذكر قصة إلحاح الطفلين سمرة بن جندب ورافع بن خديج على المشاركة في غزوة أحد رغم أن جيش الكفار أكثر من أربعة أضعاف جيش المسلمين ؟ وما هوسر هذا الإقدام ؟ وما هو تحليل المستشرقين لهذه الظاهرة ؟ وما هو ردك عليه بالأدلة ؟

- **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الخامسة من إجابة السؤال الأول .
- **سر هذا الإقدام** : على الموت من مثل هؤلاء الأطفال إنما هو الإيمان العظيم الذي استحوذ على القلوب ، والذي ترتبت عليه محبة عارمة لله ولرسوله ﷺ ، فحيثما وجد الإيمان والمحبة ظهر الإقدام والاستبسال ، وحيثما ضعفا في القلب انقلب الإقدام إحجامًا والاستبسال كسلاً وتقاعسًا .
- **تحليل المستشرقين لهذه الظاهرة** : المستشرقون حللوا هذه الظاهرة بأن العرب كانوا يعيشون في ظل أجواء وظروف الحروب والغزوات الدائمة ، ولذلك كانوا ينظرون إليها (شيبًا وشبانًا وأطفالاً) نظرة طبيعية لا تخيفهم .
- **الرد** : تحليل المستشرقين باطل للأدلة الآتية :

---

(١) صحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٥١ (كراهة الاستعانة في الغزو بكافر) ١٤٤٩/٣ ، ١٤٥٠ (١٨١٧) .

(٢) انظر : السنن الكبرى . للبيهقي ٣٧/٩ ، ٥٣ .

١- انخزال عبد الله بن أبي سلول مع ثلاثمائة خشية عواقب القتال في أحد وهم من العرب .

٢ - انخزال آخرين في غزوة تبوك قائلين : ﴿ لا تنفروا في الحر ﴾ [1] . وهم من العرب .

٣- هزيمة المشركين وهروبهم في غزوة بدر رغم ضخامة عددهم وقلة عدد المسلمين ، وهم عرب من أهل الحرب .

٨- (١٤٣) اذكر قصة تعبئة وتنظيم النبي ﷺ لجيشه في أحد ووصيته للرماة ؟ وبيِّن الحقيقة البارزة ؟ والظاهرة المهمة المستفادة منها ؟

- **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الرابعة من إجابة السؤال الأول .
- **الحقيقة البارزة** : هي البراعة العسكرية التي كانت تتصف بها قيادته ﷺ في الحروب ، فقد كان في مقدمة المخططين لفنون القتال وطرائقه ، وقد جهزه الله بالعبقرية والبراعة العسكرية النادرة ، وكان ذلك من وراء نبوته ورسالته السماوية .
- **الظاهرة المهمة** : هي وصيته الدقيقة للرماة أن لا ينزلوا من أماكنهم سواء رأوا المسلمين منتصرين أو منهزمين ، فالنبي ﷺ أكد لهم هذه التوصيات والأوامر العسكرية ، وكأنه قد استشف بفراسة النبوة أو بالوحي ما سيحدث منهم فيما بعد . فكأنه كان يجري معهم مناورة حية مع عدو لهم هوالنفس وأهواؤها وما تنطوي عليه من طمع في المال والغنائم . والمناورة مهما كانت نتيجتها فهي مفيدة ، وربما كانت نتيجتها السلبية أكثر فائدة من النتيجة الإيجابية .

٩- (١٤٤) اذكر قصة أبي دجانة مع سيف النبي ﷺ - ؟ واذكر مظهرين من مظاهر الكبر المحرمة ، والحالة التي تزول فيها هذه الحرمة مع الدليل ؟

- **القصة** : سبق ذكرها في النقطة السادسة من إجابة السؤال الأول .
- **المظهر الأول** : من مظاهر الكبر المحرمة أن يسير المسلم في الأرض مرحًا

---

(١) التوبة . من الآية / ٨١ .

متبخترًا ، ولكن ذلك في ميدان الحرب أمر حسن وليس بمكروه ، بدليل أن أبا دجانة أخذ السيف من النبي ﷺ بحقه وراح يتبختر بين الصفوف ، فقال النبي ﷺ : **(إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن)** .

● **المظهر الثاني** : ومن مظاهر الكبر المحرمة تزيين البيوت أو الأواني والأقداح بالذهب والفضة ، غير أن تزيين آلات الحرب وأسلحتها بالفضة غير ممنوع ، لأن مظهر الكبر هنا هو في حقيقته افتخار بعزة الإسلام على أعدائه ، ثم هو من معاني الحرب النفسية المهمة .

١٠- (...) (إن كل مظاهر الكبر المحرمة في الأحوال العامة ، تزول حرمتها في حالات الحرب) . بيِّن المقصود من هذه العبارة بالأمثلة والأدلة من خلال دراستك لغزوة أحد ؟

الإجابة : متضمنة في إجابة السؤال السابق .

١١- (١٤٥) (إن مدة الحرب التي استمرت بين المسلمين وأعدائهم في غزوة أحد تنقسم إلى شطرين) بينهما ؟ واربط الشطر الثاني بواقع المسلمين اليوم ؟

● **الشطر الأول** : وفيه التزم المسلمون والرماة أوامر قائدهم ﷺ ، فكان ثمرة ذلك النصر المظفر للمسلمين ، والهزيمة المنكرة للمشركين الذين تركوا أماكنهم وولوا مدبرين ، وهذا الشطر علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ (١) .

● **الشطر الثاني** : وفيه انطلق المسلمون خلف المشركين يقتلونهم ويجمعون الغنائم والأسلاب ، وفيه نزل أغلب الرماة من فوق الجبل - الذي يحمي ظهور المسلمين - ليشاركوا إخوانهم في جمع الغنائم مخالفين أمر النبي ﷺ بالتزام أماكنهم ، وهنا انتهز خالد بن الوليد الفرصة ، والتف حول المسلمين ، ووقع المسلمون في

---

(١) آل عمران . من الآية / ١٥٢ .

الحصار ، فقتل الرماة الأقلة الذين ثبتوا ، وشاع القتل والجرح في الصحابة . وأصيب النبي ﷺ . وكل ذلك بسبب معصية الرماة التي عمت مصيبتها عموم الجيش حتى نبي الله ﷺ .

وهذا الشطر علقت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم** ﴾ (١) .

● **الربط** : المتأمل في نسبة خطأ أولئك الرماة إلى أخطاء المسلمين الكثيرة والمتنوعة اليوم ، والمتعلقة بكل شيء ، يتعرف على مدى لطف الله بالمسلمين إذ لم يهلكهم بذنوبهم ، وبتقاعسهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبتخاذلهم عن الاجتماع والاتحاد ... إلخ . ويتعرف على الحكمة من قهر الدول الباغية الكافرة للشعوب المسلمة ، واستمرار ذلك رغم أن هؤلاء مسلمون وأولئك كفرة .

١٢- (١٤٦) ما الحكمة في أن يشيع خبر مقتل النبي ﷺ في صفوف المسلمين ؟

الحكمة من ذلك هي تجربة ودرس من الدروس العسكرية ، كي يستفيق المسلمون من ورائها إلى الحقيقة التي ينبغي أن يوطنوا أنفسهم لها منذ الساعة ، وأن لا يرتدوا على أعقابهم إذا وجدوا أن رسول الله ﷺ قد اختفى مما بينهم ، ومن أجل بيان هذا الدرس وتأكيده أنزل الله قوله : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين** ﴾ (٢) .

وهذا الدرس ظهر أثره الإيجابي يوم وفاة النبي ﷺ ، فكانت شائعة أحد مع ما نزل بسببها من القرآن ما أيقظ المسلمين ونبههم لتلك الحقيقة فودعوا النبي ﷺ بقلوب حزينة ، واستمروا بعده على طريق الدعوة والجهاد والإسلام بكل قوة .

---

(١) آل عمران . من الآية / ١٥٢ . (٢) آل عمران . من الآية / ١٤٤ .

١٣- (١٤٧) ما هو مصدر تفاني الصحابة وتضحيتهم بأنفسهم الواحد تلو الآخر حفاظًا على النبي ﷺ ؟

مصدر ذلك : هو الإيمان بالله ورسوله أولاً ، ثم محبة رسوله ﷺ ثانيًا ، فهما معًا سبب هذه التضحية الرائعة العجيبة . فالإيمان نابع من العقل ، والمحبة نابعة من القلب . ولابد من الإثنين لكمال التضحية . ولذلك قال ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**) [١] .

١٤- (١٤٨) ما هو السبيل إلى محبة الله ورسوله ؟ وما هي نتيجة هذه المحبة ؟

● **السبيل :** هو في كثرة الذكر وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ ، وفي كثرة التأمل والتفكر في آلاء الله ونعمه على العبد . وفي سيرته ﷺ وأخلاقه وشمائله . وهذا كله بعد الاستقامة على العبادات في خشية وحضور . والتبتل إلى الله ﷻ بين الحين والآخر .

● **نتيجة المحبة :** يصبح المسلمون خلقًا آخر جديدًا ، ينتزعون فيه انتصارهم من بين شدقي الموت ، وسيتغلبون على أعدائهم مهما كانت العقبات والسدود .

١٥- (١٤٩) اذكر بالأدلة حكم تغسيل الشهداء وتكفينهم والصلاة عليهم ؟ وحكم الجمع بين الشهيدين في قبر واحد ؟

● الشهيد في معركة الجهاد لا يغسل ولا يكفن ولا يُصلى عليه .

● يجوز الجمع بين أكثر من شهيد في القبر الواحد للضرورة فقط .

● استدل العلماء على ذلك بأن النبي ﷺ أمر بدفن قتلى المسلمين في أحد بدمائهم ولم يصل عليهم ، وجمع بين الرجلين في قبر واحد . وأما ما روي أنه ﷺ صلى على شهداء أحد عشرة عشرة وفي كل عشرة حمزة حتى صلى عليه سبعين مرة فضعيف وخطأ .

---

(١) صحيح مسلم . ك ١ (الإيمان) ب ١٦ (وجوب محبة رسول الله ﷺ ...) ١/٦٧ (٤٤) .

١٦- (١٥٠) ما هي الدروس الإيجابية المستفادة من غزوة أحد بناء على ما أقدم عليه النبي ﷺ مع أصحابه فور عودتهم إلى المدينة من الخروج ثانية للحاق بالمشركين ؟ وما قصة ذلك ؟

● **يمكن تلخيص هذه الدروس فيما يلي :**

الدرس الأول : أن النصر إنما يكون مع الصبر ، وإطاعة أوامر القائد الصالح ، واستهداف القصد الديني المجرد . كما حدث في صدر المعركة .

الدرس الثاني : إن وقع الهزيمة وآلام الجروح الكثيفة في المسلمين لم تحل دون إقدامهم وتتبعهم للمشركين حتى بلغوا حمراء الأسد ، فتطلعهم للنصر والشهادة وإرضاء الله هون عليهم ذلك .

الدرس الثالث : إن انتصار المشركين وظفرهم في غزوة أحد لم يربط على قلوبهم ، ولم يدفعهم للعودة إلى غزو المدينة ليتمموا نصرهم بالتغلب والقضاء نهائيًا على المسلمين ، وذلك بسبب الآية الإلهية الخارقة المتمثلة في قذف الرعب في قلوبهم بعد سماعهم تحذير معبد الخزاعي ؛ حيث انطلقوا مسرعين إلى مكة .

● **القصة الدالة على ذلك :** سبق ذكرها في النقطتين الأخيرتين من إجابة السؤال الأول .

٣- غزوة الخندق (الأحزاب)

١- (١٥١) فصِّل الحديث بالأدلة عن أحداث غزوة الخندق (الأحزاب) ؟

• وتسمى بغزوة الأحزاب ، وقد كانت في شوال سنة خمس على ما جزم به ابن إسحاق وعروة بن الزبير وقتادة والبيهقي وجمهور علماء السيرة ، وقيل في سنة أربع من الهجرة . وقد تفرد به موسى بن عقبة ورواه عنه البخاري وتابعه في ذلك مالك [١] .

• سببها : أن نفرًا من زعماء اليهود من بني النضير خرجوا حتى قدموا مكة ، فدعوا قريشًا إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : سنكون معكم حتى نستأصله ، وقالوا لهم إنّ ما أنتم عليه خير من دين محمد ﷺ ففيهم نزل قول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون بالجبت [٢] والطاغوت [٣] ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً O أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرًا ﴾ [٤] . فاتفقوا مع قريش على حرب المسلمين وتواعدوا لذلك .

ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشًا إليه ، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك ثم التقوا ببني فزارة وبني مرة . وتم لهم مع هؤلاء جميعًا تواعد في الزمان والمكان لحرب رسول الله ﷺ [٥]

• تهيؤ المسلمين للحرب : فلما بلغ رسول الله ﷺ الخبر وسمع بخروجهم من مكة ، ندب [٦] الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في الأمر ، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق ، فأعجب ذلك المسلمين (والخندق مما لم يكن يعلمه العرب من وسائل الحرب) فخرجوا من المدينة وعسكر بهم رسول الله ﷺ في سفح جبل سلع [٧]

---

(١) انظر : فتح الباري . لابن حجر ٣١٤/٧ ، ٣١٥ . والفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد ٧٦/٢١ . (٢) الجبت : أقوال للمفسرين في معناه : الساحر ، السحر ، الشيطان ، إبليس ، ما عبد وأطيع من دون الله . انظر : فتح القدير . للشوكاني ٤٧٧/١ .

(٣) الطاغوت : أقوال للمفسرين في معناه : الكاهن ، الشيطان ، أولياء إبليس ، ما عُبد وأطيع من دون الله . انظر : المرجع السابق ٤٧٧/١ . (٤) النساء / ٥١ ، ٥٢ .

(٥) سيرة ابن هشام ١٠٢٤/٣ . وطبقات ابن سعد باختصار . (٦) ندب : دعى وحثّ وحضّ . (٧) سفح جبل سَلْع : أسفل جبل سَلْع في المدينة . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٣٠٠ . والقاموس المحيط . للفيروز أبادي ٣٩/٣ .

فجعلوه خلفهم ، ثم هبوا جميعًا يحفرون الخندق بينهم وبين العدو . كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف وعدد ما اجتمع من قريش والأحزاب والقبائل الأخرى عشرة آلاف [1] .

● مشاهد من عمل المسلمين في حفر الخندق : روى البخاري عن البراء ﷺ قال : لما كان يوم الأحزاب ، وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه وكان كثير الشعر ، وروي عن أنس ﷺ أن الأنصار والمهاجرين كانوا يرتجزون [2] وهم يحفرون الخندق وينقلون التراب على متونهم :

نحن الذين بايعوا محمدًا ‏ ‏ ‏ ‏ على الإسلام ما بقينا أبدًا

فيجيبهم النبي ﷺ : (اللهم إنه لا خير إلى خير الآخرة فبارك للأنصار والمهاجرة) [3] .

وروى البخاري أيضًا في صحيحه عن جابر ﷺ قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كُدْية [4] شديدة . فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق ، فقال : (أنا نازل) ، ثم قام وبطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا ، فأخذ النبي ﷺ المعول [5] فضرب ، فعاد كثيبًا أهيل [6] (أو أهيم) فقلت : يا رسول الله ائذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئًا ما كان لي في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ قالت : عندي شعير وعناق [7] . فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة [8] ، ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي [9] قد كادت أن تنضج ، فقلت طعيم لي ، فقم أنت يا رسول

---

(١) سيرة ابن هشام ١٠٢٥/٣ وما بعدها . وطبقات ابن سعد . (٢) يرتجزون : من الرَّجز : وهو ضرب من الشعر أو بحر من بحوره أو نوع من أنواعه ، تسمَّى قصائده أراجيز جمع : أرجوزة ، ويسمى قائله : راجزًا . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٩٩/٢ . (٣) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة الخندق ...) ٣١٦/٧ . وصحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٤٤ (غزوة الخندق) ١٤٣٢/٣ (١٨٠٥) .

(٤) كُديَّة : الكدية : القطعة الصلبة الصماء . (٥) المعول : "أي : المسحاة" .

(٦) كثيبًا أهيل : (كثيبًا) رملاً (أهيل) سائل . أي : رملاً يسيل ولا يتماسك .

(٧) عَناق : "الأنثى من المعز" . (٨) البُرمة : القِدر .

(٩) الأثافي : الحجارة الثلاثة التي توضع عليها القدر . انظر : معنى الكلمات الستة السابقة في فتح الباري . لابن حجر ٣١٧/٧ ، ٣١٨ .

الله ورجل أو رجلان . قال : (كم هو ؟) فذكرت له ، قال : (كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور [1] حتى آتي) . ثم نادى المهاجرين والأنصار فقال لهم : (قوموا) .. وفي طريق أخرى [2] : فصاح النبي ﷺ : (يا أهل الخندق ، إن جابرًا قد صنع سورًا [3] فحي هلا بكم . فلما دخل جابر على امرأته قال : ويحك جاء النبي بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ! . قالت : هل سألك كم طعامك ؟ قال : نعم ، قالت : الله ورسوله أعلم .

ثم جاء النبي فقال : ادخلوا ولا تضاغطوا . فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر [4] البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية ! قال : (كلي هذا واهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة) (وفي رواية أخرى) فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوا وانصرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو [5] .

● موقف المنافقين من العمل في الخندق : روى ابن هشام أنه أبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم في الخندق رجال من المنافقين ، وجعلوا يوَرون [6] بالضعيف من العمل ، ويتسللون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله ﷺ ، وكان الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة [7] من الحاجة التي لابد له منها يستأذن في اللحوق بحاجته فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله . وفي ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ [8] .

---

(١) التنور : "الذي يخبز فيه : يقال إنه في جميع اللغات كذلك" النهاية . لابن الأثير ١/١٩٩ .

(٢) وفي طريق أخرى : أي في سند آخر للرواية . (٣) سُوْرًا : "الصنيع بالحبشة" فتح الباري . لابن حجر ٣٢٠/٧ . (٤) يخمّر : يغطّي . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٣١٩/٧ . (٥) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة الخندق ..) ٣٢٠/٧ . (٦) يورون : يستترون . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٧٧/٥ .

(٧) نابته النائبة : أي نزلت به المهمة والحادثة ، وجمعها : نوائب . انظر : المرجع السابق ١٢٣/٥ . (٨) النور / ٦٢ .

● نقض بني قريظة العهد : وخرج حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي فأغراه [1] بنقض العهد مع رسول ا لله ﷺ ، وقال له : جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال [2] من رومة [3] ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدًا ومن معه . فقال له كعب : جئتني وا لله بذل الدهر .. ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء . ولم يزل حيي بكعب حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد . وانتهى الخبر إلى رسول ا لله ﷺ فأرسل سعد بن معاذ ليتحقق من الخبر وأوصاه أن يُلحن [4] له بإشارة يفهمها إذا كان الخبر حقًا ، وإن لا يفت في أعضاد الناس [5] وإن كان كذبًا فليجهر به في الناس . فلما استطلع سعد الخبر ورآه حقًا عاد إلى رسول ا لله ﷺ فقال له : عضل والقارة ، أي كغدر عضل والقارة . فقال رسول ا لله ﷺ : (ا لله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين) [6] .

● ما آل إليه حال المسلمين إذ ذاك : بلغ المسلمين خبر نقض بني قريظة للعهد ، وذر قرن المنافقين بينهم يفتّون في عضد المسلمين ، وجاءهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، وراح المنافقون يرجفون [7] في المدينة حتى إن أحدهم ليقول : "كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط" [8] . ولما وجد رسول ا لله ﷺ الأمر كذلك وأن البلاء قد اشتد بالمسلمين بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما في أن يصالح قبيلة غطفان على ثلث ثمار المدينة كي ينصرفوا عن قتال المسلمين : فقالا له : يا رسول ا لله ، أهو أمر

---

(١) فأغراه : خدعه وأطمعه . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ١٠١/٢ .

(٢) مجتمع الأسيال : أي الموضع الذي تجتمع فيه سيول الأمطار .

(٣) رومة : بئرٌ بالمدينة اشتراها عثمان ﷺ وجعلها في سبيل ا لله . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٧٩/٢ . (٤) يلحن : أي يقول قولاً يفهمه ويفطنه ﷺ ويخفى على غيره . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٤١/٣ .

(٥) لا يفت في أعضاد الناس : أي لا يضعفهم ويوهنهم .

(٦) سيرة ابن هشام ١٠٣٠/٣ - ١٠٣٢ . وطبقات ابن سعد .

(٧) يرجفون : يخوضون . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٢٣٥ .

(٨) الغائط : المكان المنخفض من الأرض والمقصد : قضاء الحاجة بالإخراج من السبيلين .

تحبه فنصنعه ، أم شيء أمرك به ا لله ، أم شيء تصنعه لنا ؟ قال : (بل شيء أصنعه لكم كي أكسر عنكم من شوكتهم)[1] . وحينئذ قال له سعد بن معاذ : وا لله ما لنا بهذا من حاجة ، وا لله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم ا لله بيننا وبينهم . فتهلل[2] وجه رسول ا لله ﷺ وقال له : (فأنت وذاك) .

قال ابن إسحاق يروي عن عاصم بن عمرو بن قتادة وعن محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري : ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح (أي بين المسلمين وغطفان) إلا المراوضة[3] في ذلك[4] .

أما المشركون فقد فوجئوا بالخندق حينما وصلوا إليه ، وقالوا : إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها . فعسكروا حول الخندق يحاصرون المسلمين ، ولم يحدث قتال غير أن بعض المشركين أخذوا يتيممون مكانًا ضيقًا من الخندق فاقتحموا منه ، فأخذ عليهم المسلمون الثغرة التي اقتحموا منها ، فارتد بعضهم وقُتل البعض . وكان ممن قتلوا إذ ذاك عمرو بن ودّ ، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

● هزيمة المشركين بدون قتال : وكفى ا لله المؤمنين القتال فهزم جموع المشركين بوسيلتين لا دخل للمسلمين فيهما . أما أولاهما فرجل من المشركين اسمه نعيم بن مسعود أتى رسول ا لله ﷺ مسلمًا وعرض عليه تنفيذ أي أمر يريده النبي ﷺ فقال له : إنما أنت رجل واحد فينا ، ولكن خذل[5] عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم بن مسعود ، فأتى بني قريظة فأقنعهم - وهم يحسبونه لا يزال مشركًا - أن لا يتورطوا مع قريش في قتال حتى يأخذوا منهم رهائن ، كي لا يولوا الأدبار ، فيبقون وحدهم في المدينة دون أي نصير لهم على محمد وأصحابه ، فقالوا له : إنه للراي !.. ثم خرج حتى أتى قريشًا فأنبأهم أن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا وأنهم قد اتفقوا خفية مع رسول ا لله ﷺ على أن يختطفوا عددًا من أشراف قريش وغطفان فيسلموهم له ليقتلهم ، فإن أرسلت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من

---

(١) شوكتهم : من "الشَّوكة : شدة البأس . والحَدُّ في السلاح" مختار الصحاح . للرازي / ٣٥١ . (٢) فتهلل وجه رسول ا لله : "أي استنار وظهرت عليه أَمَارات السرور" النهاية . لابن الأثير ٢٧٢/٤ . (٣) المراوضة : المجاذبة انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٧٦/٢ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ١٠٣١/٣ وما بعدها وتاريخ الطبري ٥٧٣/٢ .

(٥) خذِّل عنا : يريد : أدخل بين القوم حتى يتفرقوا ولا ينصر بعضهم بعضًا ، فلا يقومون لنا ولا يستمرون على حربنا .

رجالكم فإياكم أن تسلموهم رجلاً منكم . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم مثل الذي قال لقريش . وهكذا تألب [1] بعضهم على بعض ، واختفت الثقة مما بينهم ، وأصبح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالغدر والخيانة .

أما الوسيلة الثانية ، فهي ريح هوجاء [2] مخيفة في ليلة مظلمة باردة ، جاءت فقلبت قدورهم واقتلعت خيامهم ، وقطعت أوتادهم [3] ، وذلك بعد بضعة عشر يومًا من المحاصرة التي ضربها المشركون على المسلمين .

روى مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب ، وأخذتنا ريح شديدة وقرّ [4] ، فقال رسول الله ﷺ : (ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟) ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : (ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟) ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : (ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة ؟) ، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال : (قم يا حذيفة ! فأتنا بخبر القوم) . فلم أجد بدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم . قال : (اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم [5] علي) . فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمَّام [6] ، حتى أتيتهم ، فرأيت أبا سفيان يُصْلي [7] ظهره بالنار ، فوضعت سهمًا في كبد القوس [8] ، فأردت أن أرميه ، فذكرت قول رسول الله ﷺ : (ولا تذعرهم علي) . ولو رميته لأصبته ، فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام . فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت

---

(١) تألّب : تجمَّع . انظر : النهاية . لابن الأثير ١/٥٩ .

(٢) ريح هوجاء : أي التي تقلع البيوت . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ١/٢١٣ .

(٣) قطعت أوتادهم : جمع وَتَد ، وهو ما ضُرب في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه . انظر : المرجع السابق ١/٣٤٣ .

(٤) قُرّ : القُرّ هو البرد . انظر : النهاية . لابن الأثير ٤/٣٨ .

(٥) لا تذعرهم : لا تفزعهم ولا تحركهم ولا تنفرهم . انظر : المرجع السابق ٢/١٦١ . والفائق في غريب الحديث . للزمخري ٣/٣٢٣ .

(٦) أمشي في حمَّام : يعني أنه لم يجد البرد الذي يجده الناس ولا تلك الريح الشديدة ، بل عافاه الله ببركة إجابته للنبي ﷺ .

(٧) يُصلي : يدفئ . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣/٥١ .

(٨) كبد القوس : وسط القوس . انظر : المرجع السابق ٤/١٣٩ .

قُررت [1] ، فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة [2] كانت عليه يصلي فيها . فلم أزل نائمًا حتى أصبحت ، قال : (قم يا نومان [3]) [4] .

ورواه ابن إسحاق بزيادة : فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقرّ لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي فقلت له : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام . لقد هلك الكراع [5] والخف [6] ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون .. فارتحلوا فإني مرتحل [7] .

وفي صباح اليوم الثاني ، كان المشركون كلهم قد ولوا الأدبار ، وعاد رسول الله ﷺ وصحبه إلى المدينة .

وكان لا يفتر عليه الصلاة والسلام طيلة هذه الأيام والليالي عن الاستغاثة والتضرع [8] والدعاء لله تعالى أن يؤتي المسلمين النصر . وكان من جملة دعائه عليه الصلاة والسلام في ذلك : (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم) [9] .

● وفي هذه الغزوة فاتت النبي ﷺ الصلاة في وقتها فقضاها بعد خروج الوقت ، فقد ورد في الصحيحين أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي [العصر] حتى كادت الشمس أن تغرب !.. قال النبي ﷺ : (والله ما صليتها) ، فنزلنا مع النبي ﷺ إلى

---

(1) قُررت : بَردت . انظر النهاية . لابن الأثير ٣/٣٨ .

(2) عباءة : أو عَبَاية مفرد عَبَاء . وهو ضرب من الأكسية مشقوق من الأمام ويُلبس فوق الثياب . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣/١٧٥ .

(3) نومان : "هو الكثير النوم ، وأكثر ما يستعمل في النداء" المرجع السابق ٥/١٣٠ .

(4) صحيح مسلم ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٣٦ (غزوة الأحزاب) ٣/١٤١٤ ، ١٤١٥ (١٧٨٨)

(5) الكراع : الخيل . انظر : النهاية . لابن الأثير ٤/١٦٥ .

(6) الخف : الإبل . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢/٥٥ .

(7) سيرة ابن هشام ٣/١٠٤٣ ، ١٠٤٤ .

(8) التضرع : "التذلل والمبالغة في السؤال والرغبة" النهاية . لابن الأثير ٣/٨٥ .

(9) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة الخندق ...) ٧/٣٢٦ .

بطحان [1] فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها ، وصلى العصر بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب [2] ، وزاد مسلم على هذا حديثًا آخر أنه ﷺ قال يوم الأحزاب : (شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارًا) ، ثم صلاها بين العشاءين ، بين المغرب والعشاء [3] .

٢- (١٥٢) إن غزوة الخندق (الأحزاب) قامت على أساس من غدر اليهود وكيدهم . فصِّل الحديث عن ذلك بالأدلة ؟ واذكر تاريخ هذه الغزوة ؟

- **تاريخ هذه الغزوة :** هو ما ذكر في النقطة الأولى من إجابة السؤال السابق .
- **غدر اليهود وكيدهم :** قامت هذه الغزوة على أساس من غدر اليهود وكيدهم ، فهم الذين أثاروا وألَّبوا وجمعوا الجموع والأحزاب . ولم يتوقف ذلك على بني النضير المُخرجين من المدينة . بل شاركهم بنو قريظة المرتبطون بعهود ومواثيق مع المسلمين ، دون أن يجدوا منهم أي مكروه يدعوهم إلى نقض تلك العهود والمواثيق !
- **الأدلة :** ما سبق ذكرها في النقطتين الثانية السادسة من إجابة السؤال الأول .

٣- (١٥٣) اذكر تاريخ غزوة الخندق (الأحزاب) ؟ وبيِّن سببها ؟

- **تاريخها :** هو ما ذكر في النقطة الأولى من إجابة السؤال الأول .
- **سببها :** هو ما ذكر في النقطة الثانية من إجابة السؤال الأول .

٤- (١٥٤) استخدم المسلمون وسيلة حفر الخندق الحربية في غزوة الأحزاب . اذكر قصة ذلك ؟ وبيِّن على أي شيء يدل استخدام هذه الوسيلة الحربية ؟

---

(١) بُطحان : "اسم وادِي المدينة" النهاية . لابن الأثير ١/١٣٥ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة الخندق ...) ٧/٣٢٥ .

(٣) صحيح مسلم . ك ٥ (المساجد ومواضع الصلاة) ب ٣٦ (الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر) ١/٤٣٧ (٦٢٧) .

● **قصة ذلك** : هو ما ذكر في النقطة الثالثة من إجابة السؤال الأول .

● **الدلالة** : يدل استخدام هذه الوسيلة على أن الحكمة هي ضالة المؤمن فأينما وجدها أخذ بها ، فيجوز للمسلم أن يأخذ بأي فكرة أو مبدأ أو عمل أو نظام يقوم على العقل النيّر والفكر الحرّ والحكمة ، وينسجم مع مبادئ الإسلام ولا يتعارض مع أحكامه وتشريعاته .

٥- (١٥٥) اذكر ما تعرفه عن مشاركة النبي ﷺ أصحاب ﷺ في حفر الخندق ؟ وما هي العبرة المستفادة من ذلك ؟ وما الفرق بينها وبين الديمقراطيا ؟

● **مشاركته ﷺ** : هذه المشاركة سبق ذكرها في النقطة الرابعة من السؤال الأول .

● **العبرة** : هي حقيقة العدالة والمساواة التي يرسيها الإسلام بين جميع المسلمين كأساس واقعي ملموس ، وليس كشعار براق خادع كاذب . عدالة ومساواة بين الحاكم والمحكوم ، والغني والفقير ، والأمير والصعلوك . فالرسول ﷺ انخرط في حفر الخندق كأي واحد من الصحابة ، حتى لبس ثوبًا من التراب والغبار ، فإذا ارتجزوا ارتجز معهم ، وإذا تعبوا وجاعوا كان أولهم تعبًا وجوعًا . ولم يراقبهم من قصر منيف له مستريحًا هادئًا كما يفعل أصحاب شعارات العدل والمساواة . ولم يشاركهم مشاركة رمزية موهومة بضربة معول إيذانًا ببدء العمل ثم يدير لهم ظهره !!

● **الفرق** : بين العدالة والمساواة في الإسلام ، وبين الديمقراطية :

١- إن مصدر العدالة والمساواة في الإسلام هو العبودية لله تعالى ، وهي صفة عامة شاملة للناس كلهم ، تضعهم في صف واحد من المكانة والاعتبار .

وأما مصدر الديمقراطية فهو تحكيم رأي الأكثرية - أي تأليه رأي الأكثرية - على الآخرين ، مهما كانت طبيعة ذلك الرأي ومرماه .

٢- إن العدالة والمساواة في الإسلام للجميع دون تمييز ، فلا امتيازات ولا حصانات ولا خصوصيات لطبقة أو فئة أو فرد من الناس مهما كانت الدوافع والأسباب . وأما الديمقراطية ففيها الامتيازات والحصانات والخصوصيات .

٦- (١٥٦) على أي شيء يدل مكابدة النبي ﷺ للجوع الشديد أثناء عمله مع أصحابه في حفر الخندق ؟

يدل ذلك على شخصية رسول الله ﷺ النبوية ، وعلى مسؤولية الرسالة والأمانة التي كُلف بتبليغها والسير بها إلى الناس في طريق هذه طبيعتها ، حيث تجلت هنا في عمله مع أصحابه في حفر الخندق ، وفي مكابدة ما يكابدونه من التعب والجوع .

وهذا يؤكد أنه نبي ورسول وقدوة ﷺ ، ولم يكن متطلعًا إلى زعامة ، أو راغبًا في المال والملك ، أو طامحًا في أن يجد من حوله شيعًا وأتباعًا . فأصحاب هذه المطامع لا يصبرون على مثل ذلك ، ولا يمكن أن يكون هذا حالهم طول حياتهم .

٧- (١٥٧) اذكر قصة دعوة النبي ﷺ أصحابه لطعام جابر بن عبد الله ؟ وعلى ما تدل دعوته لهم لطعام لا يكفي بضعة رجال ؟ وما هي المعجزة التي تحققت في ذلك الطعام ؟ وعلى أي شيء تدل ؟

- **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الرابعة من السؤال الأول .
- **الدلالة** : يدل ذلك على محبة النبي ﷺ الشديدة لأصحابه وشفقته الكبيرة عليهم ، إذ أن نفسه الكريمة أبت عليه أن يتميز عن أصحابه بشيء من النعمة أو الراحة ، فيستأثر بالطعام والراحة ويتركهم خلفه يتضورون جوعًا ، بل هو أشفق عليهم من شفقة الأم على ولدها ، ولذلك دعاهم جميعًا للطعام متوكلاً على الله ، دون أن يأسر نفسه لسلطان الأسباب المادية التي تشير إلى أن الطعام لا يكفي إلا بضعة رجال .
- **المعجزة الخارقة في هذه القصة** : أن شاة جابر الصغيرة التي لا تكفي إلا بضعة رجال انقلبت إلى طعام وفير كثير شبع منه مئات الصحابة ، وبقيت منه بقية كثيرة ، اقترح النبي ﷺ على أهل البيت أن يأكلوا منها ويتصدقوا بالباقي .
- **دلالة المعجزة** : هذه المعجزة تدل على الآتي :

١- إنها كانت لرسول الله ﷺ تقديرًا إلهيًا لمدى محبته ﷺ لأصحابه وإعراضه عن الأسباب المادية وشأنها في جنب قدرة الله وسلطانه .
٢- إنها تبرز معالم شخصية محمد ﷺ النبوية المؤيدة بالمعجزات .
٣- إنها معجزة جديدة للنبي ﷺ تضاف إلى معجزاته الأخرى .

٨- (١٥٨) اذكر قصة استشارة النبي ﷺ بعض أصحابه في مصالحة غطفان ؟ وبين الحكمة في استشارته تلك ؟ وما هي الدلالة التشريعية التي تؤخذ من تفكيره هذا ؟

- **القصة** : سبق ذكرها في النقطة السابعة من السؤال الأول .
- **الحكمة** : هي أن النبي ﷺ كان يريد أن يطمئن إلى مدى قوة أصحابه المعنوية واعتمادهم على نصر الله وتوفيقه رغم جيوش المشركين التي تحاصر المدينة ، إضافة إلى نقض بني قريظة للعهود والمواثيق . فهو لا يريد أن يسوقهم إلى حرب لا يتشجعون لخوضها ، أو لا يؤمنون بجدواها . وهذا من أبرز أساليبه التربوية لأصحابه .
- **الدلالة التشريعية** : في هذه الاستشارة محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه .

٩- (١٥٩) هل استشارته ﷺ لبعض أصحابه في عرض صلح على غطفان بإعطائهم ثلث ثمار المدينة مقابل تخليهم عن قريش وعن حرب المسلمين تدل (أو تحمل دلالة شرعية) على جواز صرف المسلمين أعداءَهم عن ديارهم بنحو ذلك ؟

إن الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه . وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديراهم إذا ما اقتحموها . باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم . إذ مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله . وأفعاله التي قام بها . ثم لم يرد اعتراض

عليها من كتاب الله تعالى . فأما ما كان من ذلك في حدود الاستشارة والراي المجردين فلا يعتبر دليلاً بحال . إذ الاستشارة أولاً : يمكن أن يكون المقصود منها مجرد استطلاع لما في النفوس . أي فهي ممارسة لعمل تربوي بحت . وهي ثانيًا : حتى ولو انتهت بعمل تنفيذي . يمكن أن يرد عقبه اعتراض من كتاب الله تعالى . فلا تبقى فيه أي دلالة تشريعية .

على أن علماء السيرة نصّوا على أن النبي ﷺ لم يبرم صلحًا مع غطفان ولم تقع شهادة ولا عزيمة على الصلح وإنما كان الأمر مراوضة لم يتجاوزها .

١٠- (١٦٠) فئة مجهولة تقول : (يجب على المسلمين دفع الجزية لغيرهم للحاجة بدليل استشارته ﷺ أصحابه في غزوة الخندق - الأحزاب - في فعل ذلك) . بَيِّن رأيك في ذلك ؟

إن هذا القول باطل ، واستدلاله خطأ ، ودفع المسلم الجزية للكافر لم يقله أحد ، والتفصيل من خلال النقطتين الآتيتين :

- **الأولى** : إن استدلالهم خطأ : (والتفصيل ما ذكر في إجابة السؤال السابق) .
- **الثانية** : إنه لا توجد صلة بين (الجزية) وما يمكن أن يتصالح عليه فريقان متحاربان ؟!

وأما أموال المسلمين وممتلكاتهم وأراضيهم التي اضطروا لتركها لضعفهم حفظًا على حياتهم ، وحذرًا من أن تستأصل شأفة المسلمين ، وسَلَبها الكفار ؛ فلا تُعتبر جزية منهم للكفار ، لأنهم تركوها مكرهين مضطرين ملجئين ، وهم في ذات الوقت يتربصون بأعدائهم الفرصة السانحة . ومن المعلوم أن أحكام الشريعة الإسلامية إنما يخاطب بها من لم يكن مكرهًا ولا مضطرًا ولا مُلجأً ولا صبيًا ولا مجنونًا .

١١- (١٦١) كيف وبأي وسيلة انتصر المسلمون وانهزم المشركون في غزوة الخندق ؟

• **الوسيلة** : هي التضرع إلى الله ، والإكثار من الإقبال عليه بالدعاء والاستغاثة ، وهي الوسيلة التي كان يلجأ إليها ويفزع إليها ويكثر منها النبي ﷺ كلما لقي عدوًّا ؛ إذ أن تأثيرها يعلوا على كل الأسباب ، ولا يصلح حال المسلمين إلا على أساسها .

• **الكيفية** : أما كيف انتصر المسلمون على قلتهم وانهزم المشركون على كثرتهم ، فذلك تم بثلاثة أسباب :

١- ثبات المؤمنين ، وصبرهم ، وصدق التجائهم إلى الله تعالى .

٢- أن رجلاً من المشركين اسمه (نُعيم بن مسعود) أتى النبي ﷺ مسلمًا ، وعرض عليه تنفيذ أي أمر يريده النبي ﷺ ، فقال له : (**إنما أنت رجل واحد فينا ، ولكن خذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة**) . فخذل بين الأحزاب حتى اختفت الثقة من بينهم ، وأصبح كلّ فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالخيانة .

٣- أن الله تعالى أرسل على المشركين ريحًا هوجاء مخيفة في ليلة مظلمة بادرة ، قلبت قدورهم ، واقتلعت خيامهم ، وأطفأت نيرانهم ، واضطرتهم أن يولوا منهزمين ، بعد أن زلزلت قلوبهم بالرعب ، وقد ذكر الله ﷻ هذا المشهد في قوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا** ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ **ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزًا** ﴾ [2] .

وهذا السبب هو الذي حسم غزوة الخندق وأنهاها لصالح المسلمين ضد الكافرين .

١٢- (١٦٢) لشدة انشغال النبي ﷺ .. في غزوة الخندق صلى العصر في وقت المغرب . وضح على أي شيء يدل ذلك ؟ واذكر الأدلة الأخرى الدالة على ذلك ؟

---

(١) الأحزاب / ٩ . (٢) الأحزاب / ٢٥ .

● **الدلالـة :** يـدل ذلـك علـى مشـروعية قضـاء الفائتـة ، أي : يجـب قضـاء الصـلاة المكتوبة بعد فواتها ، سواء كـان سـبب الفـوات نومًـا ، أو نسـيانًا ، أو انشـغالاً ، أو إهمالاً ، أو تركًا متعمدًا أو نحو ذلك .

● **الأدلة الأخرى :** ويدل على ذلك أيضًا الأدلة الآتية :

١- مـا روى عـن عبـد اللـه قـال : نـادى فينـا رسـول اللـه ﷺ يـوم انصـرف عـن الأحزاب : (**أن لا يصلين أحد الظهر** [**رواية البخاري : العصر**] **إلا في بني قريظة**) فتخـوَّف نـاسٌ فَـوت الوقـت فصلـوا دون بنـي قريظـة . وقـال آخـرون : لا نصلـي إلا حيـث أمرنـا رسـول اللـه ﷺ ، وإن فاتنـا الوقـت . قـال : فمـا عنَّـف واحـدًا مـن الفريقين [١] .

٢- قـول النبـي ﷺ : (**مـن نسـي صـلاةً أو نـام عنهـا ، فكفارتهـا أن يصليهـا إذا ذكرها**) [٢] .

---

(١) صحيح مسلم . واللفظ له . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٢٣ (المبادرة بالغزو ...) ١٣٩١/٣ (١٧٧٠) . وصحيح البخاري مع الفتح . ك (الغزوات) ب (مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ...) ٣٢٧/٧ .

(٢) صحيح مسلم . واللفظ له . ك ٥ (المساجد ومواضع الصلاة) ب ٥٥ (قضاء الصلاة الفائتة ...) ٤٧٧/١ (٦٨٤) . وصحيح البخاري . ب (من نسي صلاة فليصل إذا ذكر ...) ٥٦/٢ .

٤- غزوة بني قريظة

١- (١٦٣) اذكر بالتفصيل أحداث غزوة بني قريظة ؟

● جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما رجع النبي ﷺ من الخندق . ووضع السلاح واغتسل ، أتاه جبريل عليه السلام ، فقال : قد وضعت السلاح ؟ والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم قال : (فإلي أين ؟) قال : ههنا ، وأشار إلى بني قريظة ، فخرج النبي ﷺ إليهم [١] .

ونادى ﷺ في المسلمين : (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) [فسار الناس] ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي لم يُرد منا ذلك ، فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ . فلم يعنف واحدًا منهم [٢] .

● وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة (وهم متحصنون في حصونهم) خمسًا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يومًا حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب .

● روى ابن هشام أن كعب بن أسد قال لليهود : لما رأى أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم ، يا معشر يهود : قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالاً [٣] ثلاثًا ، فخذوا أيها شئتم . قالوا : فما هي ؟ قال : (نتابع هذا الرجل ونصدقه ، ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ، قال : فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف [٤] ، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . واللفظ له . ك (المغازي) ب (مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ...) ٣٢٧/٧ وصحيح مسلم . (٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ...) ٣٢٧/٧ . ورواه مسلم في صحيحه بألفاظ مقاربة ولكن ذكر صلاة الظهر بدل العصر . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٢٣ (المبادرة بالغزو ...) ١٣٩١/٣ (١٧٧٠) . (٣) خلالاً : خِصالاً . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ١٨٧ .

(٤) مصلتين السيوف : أي مجردين السيوف من أغمادها . انظر النهاية لابن الأثير ٤٥/٣ .

ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، قالوا : فما ذنب المساكين ؟ قال : فإن أبيتم هذه أيضًا فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة [١] ، فأبوا ذلك أيضًا [٢] .

● ثم إنهم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ – وقد كانت بنو قريظة حلفاء الأوس – فأحب رسول الله ﷺ أن يكل الحكم عليهم إلى واحد من رؤساء الأوسيين ، فجعل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ ، وكان قد أصيب بسهم في الخندق فكان يداوى في خيمة هناك . فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة وأرسل إليه بذلك ، أتى على حمار . فلما دنا من المسجد [٣] . قال للأنصار : (قوموا إلى سيدكم أو خيركم) ثم قال : (إن هؤلاء نزلوا على حكمك) قال : تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم [٤] ، فقال له النبي ﷺ : (قضيت بحكم الله تعالى) ، وربما قال : (بحكم الملك) [٥] .

● ثم قال سعد ﷺ : اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ ، وأخرجوه . اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك ، وإن كنت وضعت الحرب فافجرها [٦] ، واجعل موتي فيها . فانفجرت من لبته [٧] ، فلم يَرُعْهُم [٨] وفي المسجد خيمة من بني غِفَار إلا الدمُ يسيل إليهم . فقالوا : يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يَغْذو [٩] جرحه دمًا ، فمات منها

---

(١) غرة : غفلة . انظر : النهاية. لابن الأثير ٣/٣٥٥ (٢) سيرة ابن هشام ٣/١٠٤٦ ، ١٠٤٧ . (٣) ليس المراد به مسجد النبي ﷺ بالمدينة ، بل مكان اختطه ﷺ في بني قريظة للصلاة فكان مسجدًا . كما قال شراح الحديث .

(٤) ذريتهم : "الذُّرِّية : اسم يجمع نسل الإنسان من ذكرٍ وأنثى ... وتجمع على ذرِّيَّات ، وذَرَارِي مشددًا" النهاية . لابن الأثير ٢/١٥٧ .

(٥) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ...) ٧/٣٣٠ ، ٣٣١ . وصحيح مسلم . واللفظ له . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٢٢ (جواز قتال من نقض العهد ...) ٣/١٣٨٨ (١٧٦٨) .

(٦) فافجرها : "أي : الجراحة" فتح الباري . لابن حجر ٧/٣٣٣ .

(٧) لَبَّته : "هي موضع القلادة من الصدر" المرجع السابق ٧/٣٣٣ .

(٨) لم يرعهم : "أي : لم يفزعهم" المرجع السابق ٧/٣٣٣ .

(٩) يغذوا : "أي : يسيل" المرجع السابق ٧/٣٣٣ .

ﷺ[1] ، وفي رواية أحمد أن جرحه حينما انفجر كان قد برئ إلا مثل الخرس (حلي يوضع في الأذن) أي إلا شيء يسير قد بقي منه .

● ثم استنزل اليهود من حصونهم فسيقوا إلى خنادق في المدينة ، فقتل مقاتلهم (أي رجالهم) وسبي ذراريهم . وكان في جملة من سيق إلى القتل فقُتل : حيي بن أخطب الذي كان قد سعى حتى أقنع بني قريظة بالغدر ونقض العهد . روى ابن إسحاق أنه جيء به إلى رسول الله ﷺ ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يُخذل[2] ، ثم جلس فضربت عنقه .

٢- (١٦٤) ما هو الحكم المستنبط من قتال النبي ﷺ ليهود بني قريظة الذين نقضوا عهدهم معه ؟

الحكم : هو (جواز قتال من نقض العهد) ، وقد جعل الإمام مسلم - رحمه الله - هذا الحكم عنوانًا لغزوة بني قريظة .

فالصلح والمعاهدة والاستئمان يجب على المسلمين احترامه مع الكفار المشاركين فيه ، فإن نقض الكفار ذلك جاز حينئذ للمسلمين قتالهم إن رأوا المصلحة في ذلك .

٣- (١٦٥) اذكر قصة تحكيم النبي ﷺ لسعد بن معاذ في يهود بني قريظة ؟ وبيِّن الحُكم المستنبط منها ؟

● **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الرابعة من السؤال الأول .

● **الحكم** : هو (جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهماتهم) ، والتفصيل كما قال النووي - رحمه الله - :

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . واللفظ له . ك (المغازي) ب (مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ...) ٣٣٢/٧ ، ٣٣٣ . وصحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٢٢ (جواز قتال من نقض العهد ...) ١٣٨٨/٣ (١٧٦٩) .

(٢) من يخذلِ الله يُخذل : أي : من لا ينصره الله ولا يُغيثه ، لا يُنصر ولا يُغاث . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ١٢٥/٢ .

"فيه جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهماتهم العظام [والرجوع في ذلك إلى حكم مسلم عادل صالح للحكم] وقد أجمع العلماء عليه ولم يخالف فيه إلا الخوارج . فإنهم أنكروا على عليٍّ التحكيم ، وأقام الحجة عليهم .

وفيه جواز مصالحة أهل قرية أو حصن على حكم حاكم مسلم عدل صالح للحكم أمين على هذا الأمر . وعليه الحكم بما فيه مصلحة للمسلمين . وإذا حكم بشيءٍ لزم حكمه . ولا يجوز للإمام ولا لهم الرجوع عنه . ولهم الرجوع قبل الحكم" (1) .

٤- (١٦٦) اذكر قصة أمر النبي ﷺ أصحابه بألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ؟ وبيِّن الحُكم المستنبط منها ؟ وما الحِكمَة الباهرة البارزة لمجيئ كثير من الأدلة والنصوص الشرعية ظنية الدلالة غير قطعية ؟ وما رأيك في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع ؟

- **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الأولى من السؤال الأول .
- **الحكم** : هو (مشروعية الاجتهاد في الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها) .

ففي اختلاف الصحابة في فهم كلام النبي ﷺ : **(ألا لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)** ، مع عدم تعنيفه ﷺ لأيٍ من الفريقين دلالة على الآتي :

١- تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع ، واعتبار كل من المتخالفين معذورًا ومثابً سواءً كان المصيب واحدًا أو متعددًا . وهذا أصل من الأصول الشرعية الكبرى .

٢- تقرير مبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية .

٣- إن استئصال الخلاف في مسائل الفروع النابعة من دلالات ظنية مستحيل ؛ لأن الله جل ثناؤه تعبدنا بنوعين من التكاليف : (أحدهما) تطبيق أوامر معينة تتعلق بالعقيدة أو السلوك واضحة بالدلالات اليقينية . (ثانيهما) البحث وبذل الجهد ابتغاء فهم المبادئ والأحكام الفرعية من أدلتها العامة المختلفة ذات الدلالات الظنية .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٢/١٢ .

● **الحكمة** : هي أن تكون الاجتهادات المختلفة في مسألة ما ، كلها وثيقة الصـ ـة بالأدلة المعتبرة شرعًا ؛ حتى يكون للمسلمين متسع في الأخذ بأيِّها شاءوا حسـ ـما تقتضيه ظروفهم ومصالحهم المعتبرة . وتلك من أجلى مظاهر رحمة الله بعباده ـ ي كل عصر وزمن .

● **رأيي** : إن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع معا ـدة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه ، عدا أنه ضرب من العبث الباطل ، إذ كيف يُضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما دام دليلها ظنيًا محتملاً ؟ .. لو أمكن ـ ن يتم ذلك في عصرنا ، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ ، ولكان أو ـ ى الناس بأن لا يختلفوا هم أصحابه ، وقد وقع منهم الاختلاف كما سبق ذكره ! .

٥- (١٦٧) اذكر قصة كعب بن أسد وما عرضه على إخوانه اليهود ؟ وبيِّن ما تدل عليه ؟

● **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الثالثة من السؤال الأول .

● **الدلالة** : تدل هذه القصة على : (تأكد اليهود من نبوة محمد ﷺ) .

فهذه القصة تدل على أن اليهود كانوا على يقين من نبوة محمد ﷺ ، و ـ لى اطلاع تام على ما أثبتته التوراة من الحديث عنه ﷺ وعن علاماته وبعثته . ولكنـ ـهم كانوا عبيدًا لعصبيتهم وتكبرهم . وذلك هو سبب الكفر عند كثير ممن يتظاهر ـ بـ ـدم الإيمان والفهم ، لأن الإسلام لا يرفضه العقل ، ولا تأباه الفطرة السليمة ، ـ لا تُعارضه حاجات الإنسان ومصالحه .

٦- (١٦٨) اذكر المشهد الذي قال فيه النبي ﷺ للأنصار : (قوموا لسيدكم) ؟ وفصِّل الحديث عن الحُكم المستنبط منه بالأدلة ؟ وهل يتنافى هذا الحكم ـع قوله ﷺ : (من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار) ؟ ـ ما رأيك في تجاوز حدود هذا الحكم (أو الغلوّ فيه) عند تطبيقه ؟

● **المشهد** : سبق ذكره في النقطة الرابعة من السؤال الأول .

• **الحكم** : هو (جواز القيام إكرامًا للقادم من الصالحين والعلماء وأهل الفضل) .

استنبط عامة العلماء من حديث النبي ﷺ هذا وغيره حكم مشروعية واستحباب إكرام الصالحين والعلماء وأهل الفضل بالقيام إليهم إن أقبلوا في المناسبات الداعية إلى ذلك عرفًا ، واستدلوا على ذلك بالأدلة الآتية :

١- ما رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال للأنصار في غزوة بني قريظة : (**قوموا إلى سيدكم**) [١] .

٢- ما رواه البخاري ومسلم عن كعب بن مالك -- وهو يقص خبر تخلفه عن غزوة تبوك - قال : "وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا . يهنئوني بالتوبة يقولون : لِتَهْنِكَ توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ حوله الناس ، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يُهرول حتى صافحني وهنَّأني ، والله ما قام إليَّ رجلٌ من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة ..." [٢] .

٣- ما رواه الترمذي وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت أحدًا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلامًا ولا حديثًا ولا جلسة من فاطمة . قالت : وكان النبي ﷺ إذا رآها أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها . ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه . وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته [٣] .

• **هذا الحكم لا يتنافى مع حديث النبي ﷺ** : المذكور في السؤال ؛ لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك ، أو تعلق قلوبهم بمحبته . بل إن من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهَّادًا

---

(١) سبق تخريجه . ص / ١٦٤ . وأخرجه - أيضًا - أبو داود في سننه . ك (الأدب) ب (ما جاء في القيام) ٤/٣٣٥ (٥٢١٥) .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة تبوك ...) ٨/٩٩ . وصحيح مسلم . ك ٤٩ (التوبة) ب ٩ (حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه) ٤/٢١٢٦ (٢٧٦٩) .

(٣) البخاري في الأدب المفرد . واللفظ له . وسنن أبي داود . ك (الأدب) ب (ما جاء في القيام) ٤/٣٥٥ (٥٢١٧) . وسنن الترمذي . ك ٥٠ (المناقب) ب ٦١ (فضل فاطمة بنت محمد ﷺ) ٥/٦٥٧ (٣٨٧٢) .

في طلب هذا الشيء . وأما الحديث فهو وارد فيمن يقومون عليه وهو جالس ، ويمثلون قيامًا طول جلوسه وهو محبٌ لذلك .

● **رأيي :** إن لهذا الإكرام المشروع - الوارد في ذلك الحكم - حدودًا إذا تجاوز ها انقلب الأمر محرفًا ، واشترك في الإثم المُقْتَرِف له والساكت عليه .

ومن ذلك وقوف المريدين على مشايخهم المتصوفة ، في انكسار و ذل وخشوع جوارح ، لا يجلسون حتى يأذن لهم بالجلوس .

٧- (١٦٩) اذكر بالأدلة المزايا الخاصة لسعد بن معاذ من خلال دراستك لغزوة بني قريظة ؟

يمكن تلخيص هذه المزايا فيما يلي :

١- إعطاء النبي ﷺ لسعد صلاحية الحكم بما يشاء على بني قريظة ، وموافقته ﷺ لكل ما سيحكم به . والدليل : أن النبي ﷺ هو الذي اختاره وحكّمه في بني قريظة .

٢- أَمْرُ النبي ﷺ للأنصار بالقيام له حينما أقبل عليهم ، وتلك مزية كبرى لسعد حينما يكون هذا الأمر صادرًا من رسول الله ﷺ . والدليل : قول النبي ﷺ للأنصار : (**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**) .

٣- أن سعد بن معاذ حكم فيهم بحكم الله . والدليل قول النبي ﷺ : (**قضيت بحكم الله تعالى**) .

٤- إن سعدًا بن معاذ كان مصيبًا في فراسته حين ظن أن الله قد وضع الحرب مع قريش ، وكان مستجاب الدعوة عندما دعا الله بأن يفجر جرحه إذا تحقق ظنه ، حيث انفجر جرحه ومات من ليلته ، ولم يقع بين المسلمين وبين قريش بعد غزوة الخندق حرب ابتدأتها قريش . وهذا مصدق لقوله ﷺ في منصرفه عن غزوة الأحزاب : (**الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم**) [1] .

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة الخندق ...) ٣٢٥/٧ .

٨- (١٧٠) اذكر الأحكام الهامة التي استنبطها علماء الحديث والسيرة من قصة غزوة بني قريظة ؟

١- جواز قتال المسلمين للكفار الذين نقضوا العهد معهم .

٢- جواز تحكيم المسلم العادل الصالح في أمور المسلمين ومهماتهم ، كمصالحة أهل قرية أو حصن على حكمه .

٣- مشروعية الاجتهاد في الفروع ، وضرورة وقوع الخلاف فيها .

٤- مشروعية واستحباب القيام إكرامًا للقادم من الصالحين والعلماء وأهل الفضل .

القسم السادس

(الفتح : مقدماته ونتائجه)

مرحلة جديدة من الدعوة

١- صلح الحديبية .

٢- غزوة مؤتة .

٣- غزوة تبوك .

٤- شكوى الرسول ﷺ ولحاقه بالرفيق الأعلى .

١- صلح الحديبية وبيعة الرضوان

١- (١٧١) بين بالتفصيل أحداث صلح الحديبية ؟

• وسببها أن النبي ﷺ أعلن في المسلمين أنه متوجه إلى مكة معتمرًا ، فتبعه جمع كثير من المهاجرين والأنصار بلغ عددهم ألفًا وأربعمائة تقريبًا . وأحرم ﷺ بالعمرة في الطريق ، وساق معه الهدي [١] ليأمن الناس من حربه وليعلموا أنه إنما خرج زائرًا البيت ومعظمًا له .

وأرسل ﷺ وهو عند ذي الحليفة عينًا [٢] له من قبيلة خزاعة اسمه بشر بن سفيان ليأتيه بخبر أهل مكة ، وسار النبي ﷺ حتى وصل إلى غدير الأشطاط ، فأتاه العين الذين كان قد أرسله ، فقال له : إن قريشًا جمعت لك جموعًا ، وقد جمعوا لك الأحابيش [٣] ، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك ، فقال : (أشيروا أيها الناس) .. فقال له أبو بكر : يا رسول الله ، خرجت عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : (امضوا على اسم الله) .

ثم قال : (من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟) فقال له رجل من بني أسلم : أنا يا رسول الله . فسلك بهم طريقًا وعرًا [٤] بين الشعاب [٥] ، وسار النبي ﷺ وأصحابه حتى إذا كانوا في ثنية المرار [٦] بركت به راحلته ، فقال الناس :

---

(١) الهدي : "ما يُهدى إلى البيت الحرام من النَّعَم لِتُنْحَرَ" النهاية . لابن الأثير ٥/٢٥٤ .

(٢) عينًا : جاسوسًا يتجسس ويترصد ويأتي بأخبار الآخرين . انظر : المرجع السابق ٣/١[illegible]٣ .

(٣) الأحابيش : هم أحياء من القارة سموا بذلك من التحبش : التجمع . وقيل : لأنهم حالفوا قريشًا تحت جبل يُسمى حبيشًا فسموا بذلك . انظر : النهاية . لابن الأثير ١/٣٣٠ .

(٤) طريقًا وعرًا : أي : طريقًا صعبًا غير سهل . والوعر : ضد السهل . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢/١٥٤ .

(٥) الشّعاب : جمع : شِعب ، وهو : الطريق في الجبل ، أو ما انفرج بين الجبلين . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ١/٨٨ .

(٦) ثنية المِرار : اسم طريق في الجبل تشرف على الحديبية .

حل ، حل [1] ، فلم تتحرك ، فقالوا : خلأت القصواء [2] ، فقال ﷺ : (ما خلأت ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل) ، ثم قال : (والذي نفسي بيده ، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) ، ثم زجرها فوثبت [3] فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على حُفيرة قليلة الماء ، فلم يلبث الناس حتى نزحوه [4] ، وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهمًا من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالري [5] حتى صدروا [6] عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر معه ، فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا مياه الحديبية ، ومعهم العوذ المطافيل [7] وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ : (إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكن جئنا معتمرين ، وإن قريشًا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا [8] وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي [9] ، ولينفذن الله أمره) . فقال بديل : سأبلغهم ما تقول . فانطلق بديل فحدث قريشًا بما سمعه من رسول الله ﷺ . فقال عروة بن مسعود يعرض على المشركين أن يأتي النبي ﷺ فيكلمه في تفصيل ما جاءهم به بديل بن ورقاء . فقالوا له : دونك فاذهب .

---

(١) حَلْ ، حَلْ : اسم صوت يزجر به الجمل إذا ترك السير ، يقال : حلحلت فلانًا إذا أزعجته عن موضعه . انظر : فتح الباري . لابن حجر / ٢٥٣ .
(٢) خلأت القصواء : "الخلاء للنوق كالإلحاح للجمال ، والحِران للدوابّ ، يُقال : خلأت الناقة ، وألحّ الجمل ، وحَرَن الفرس" النهاية . لابن الأثير ٥٨/٢ . (٣) زَجَرها : أي حثّه وحملها على القيام والسير . انظر : المرجع السابق ٢٩٦/٢ . (٤) نزحوه : أي أخذوا كل ماءها . انظر : المرجع السابق ٤٠/٥ . (٥) يجيش لهم بالريّ : "أي يفور ماؤه ويرتفع" المرجع السابق ٣٢٤/١ . (٦) صدروا عنه : "أي رجعوا رواءً بعد وردهم" فتح الباري لابن حجر ٢٥٥/٥ . (٧) العوذ المطافيل : "العوذ : ... جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل : الأمهات ، أي : اللاتي معها أطفال" المرجع السابق ٢٥٦/٥ .
(٨) جمّوا : "اي استراحوا" المرجع السابق ٢٥٦/٥ . (٩) تنفرد سالفتي : "السالفة : ... صفحة العنق ، وكنى بذلك عن القتل ؛ لأن القتيل تنفرد مقدمة عنقه" ، وقال الداودي [كما نقل عنه ابن حجر] : المراد الموت أي حتى أموت وأبقى منفردًا في قبري" المرجع السابق ٢٥٦/٥ .

• فذهب ، فكلمه النبي ﷺ بمثل ما كلم به بديلاً ، فقال له عروة : أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله [1] قبلك ، وإن تكن الأخرى ، فإني وا لله لا أرى وجوهًا ، وإني لأرى أشوابًا [2] من الناس خليقًا [3] أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر ﷺ : امصص بظر اللات [4] أنحن نفر عنه وندع .

فالتفت قائلاً : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . فقال : أما إنه لولا يد [5] كانت لك عندي لم أجزك بها ، لأجبتك . ثم جعل يكلم النبي ﷺ فكلما تكلم أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر [6] ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ، ضرب يده بنعل السيف [7] ، وقال له : أخر يدك عن لحية رسول ا لله ﷺ . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قال : المغيرة ابن شعبة ، فقال : أي غُدَرْ وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس ؟ [8] .

ثم إن عروة جعل يرمق [9] أصحاب النبي ﷺ بعينيه ، قال : فوا لله ما تنخم رسول ا لله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره [10] ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدُّون إليه النظر [11] تعظيمًا له .

---

(١) اجتاح أهله : "أي أهلك أصله بالكلية" فتح الباري . لابن حجر ٢٥٧/٥ .

(٢) أشوابًا : أي أخلاطًا من أنواع شتى ؛ (والأوباش) أخص منها ، وهم : الأخلاط السفلة . انظر : المرجع السابق ٢٥٨/٥ . (٣) خليقًا : "اي حقيقًا" المرجع السابق ٢٥٨/٥

(٤) بظر اللات : "البظر : ... قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة ، واللات اسم أحد الأصنام التي كانت قريش وثقيف يعبدونها ، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم ، فأراد أبو بكر المبالغة في سب عروة بإقامة من كان يعبد مقام أمه" المرجع السابق ٢٥٨/٥

(٥) اليد : النعمة . واليد التي قصدها عروة أنه كان تحمل دية ؛ فأعانه أبو بكر فيها بعون حسن . (٦) المغفر : "هو ما يلبسه الدّارع على رأسه من الزّرد ونحوه" النهاية . لابن الأثير ٣٧٤/٣ . (٧) بنعل السيف : "نَعْل السيف : الحديدة التي في أسفل القِراب" المرجع السابق ٨٢/٥ . (٨) أراد عروة بذلك أن المغيرة بن شعبة قتل قبل إسلامه ثلاثة عشرة رجلاً فودى له عروة المقتولين . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٢٥٩/٥ .

(٩) يرمق : "أي : يلحظ" المرجع السابق ٢٥٩/٥ . (١٠) ابتدروا أَمْرَه : أي أسرعوا إلى تنفيذه . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٤٣ . (١١) ما يحدّون إليه النظر ما يديمون إليه النظر . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٥٢٩/٥ .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم وا لله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر [1] وكسرى [2] والنجاشي [3] ، وا لله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا !.. وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

• ثم إنهم أرسلوا إليه سهيل بن عمر ممثلاً عنهم ليكتب بينهم وبين المسلمين كتابَ الصلح ، فلما جلس إلى رسول ا لله ﷺ قال : هات أكتب بيننا وبينكم كتابًا . فدعا النبي ﷺ الكاتب (وكان الكاتب عليًا ﷺ فيما رواه مسلم) فقال النبي ﷺ : (أكتب "بسم ا لله الرحمن الرحيم") فقال سهيل أما "الرحمن" فوا لله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال المسلمون : وا لله لا نكتب إلا بسم ا لله الرحمن الرحيم ، فقال النبي ﷺ : (اكتب باسمك اللهم) . ثم قال : (هذا ما قاضى عليه محمد رسول ا لله) . فقال سهيل : وا لله لو كنا نعلم أنك رسول ا لله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب "محمد بن عبد ا لله" ، فقال رسول ا لله : (وا لله إني لرسول ا لله وإن كذبتموني ؟ .. اكتب محمد بن عبد ا لله) . (وفي رواية مسلم : فأمر عليًا أن يمحوها ، فقال علي : لا وا لله ما أمحوها ، فقال رسول ا لله ﷺ : (أرني مكانها) ، فأراه مكانها فمحاها ، فقال له النبي ﷺ : (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به) . فقال سهيل : وا لله ، لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة [4] ، ولكن ذلك من العام القادم وليس مع المسلمين إلا السيوف في قرابها . فكتب . فقال سهيل : وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، ومن جاء منكم لم نرده عليكم ، فقال المسلمون : سبحان ا لله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا ؟! (والتفتوا إلى رسول ا لله ﷺ يسألونه : أنكتب هذا يا رسول ا لله ؟! قال : نعم ، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده ا لله ، ومن جاءنا منهم فسيجعل ا لله له فرجًا ومخرجًا) [5] .

---

(١) قيصر : "لَقب ملك الروم" القاموس المحيط . للفيروزأبادي ٢/١١٨ .

(٢) كسرى : "ملك الفرس معرَّب" المرجع السابق ٢/١٢٧ . (٣) النجاشي : "ملك الحبشة" مختار الصحاح . للرازي / ٦٤٧ . (٤) أخذنا ضُغْطَةً : "أي قهرًا" فتح الباري . لابن حجر ٥/٢٦٢ . (٥) ما بين القوسين تفصيل لرواية مسلم . والحديث بطوله من لفظ البخاري مع زيادات لمسلم . صحيح البخاري مع الفتح . ك (الشروط) ب (الشروط في الجهاد والمصالحة ...) ٥/٢٥١ وما بعدها . وصحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٣٤ (صلح الحديبية ...) ٣/١٤٠٩ (١٧٨٣) و(١٧٨٤) .

• وكانت مدة الصلح بناء على هذه الشروط - على ما رواه ابن إسحاق وابن سعد والحاكم - عشر سنين لا إسلال فيها ولا إغلال [1] ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم .

ولما فرغ من الصلح والكتابة ، أشهد على الكتاب رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين .

• وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب قال : فأتيت نبي الله ﷺ ، فقلت ألست نبي الله حقًا ؟ قال : (بلى) ، قلت : ألست على حق وعدونا على باطل ؟ قال : (بلى) ، قالت : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : (بلى) ، قلت : ففيم نعطي الدنية [2] في ديننا إذن ؟ قال : (إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري) . قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : (بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟) قلت : لا ، قال : (فإنك آتيه ومطوف به) . فلم يصبر عمر حتى أتى أبا بكر ﷺ فسأله مثل ما سأل النبي ﷺ . فقال له : يا ابن الخطاب ، إنه رسول الله ولن يعصي ربه ولن يضيعه ربه أبدًا . فما هو إلا أن نزلت سورة الفتح على رسول الله ﷺ ، فأرسل عمر فأقرأه إياها . فقال : يا رسول الله ، أو فتح هو ؟! .. قال : (نعم) ، فطابت نفسه [3] .

• ثم إن النبي ﷺ أقبل على أصحابه فقال لهم : (قوموا فانحروا ثم احلقوا) - وكرر ذلك ثلاثًا - فوجم [4] جميعهم وما قام منهم أحد ، فدخل على زوجته أم سلمة ، وذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت له : يا رسول الله أتحب ذلك ؟ أخرج لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك [5] وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم

---

(1) لا إسلال فيها ولا إغلال : أي لا سرقة ولا خيانة .

(2) نعطي الدنيَّة : "أي النقيصة والحالة الناقصة" شرح النووي على صحيح مسلم ١٢/١ : ١ .

(3) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الشروط) ب (الشروط في الجهاد والمصالحة ..) ٢٦٤/٥ ، ٢٦٥ . وصحيح مسلم . ك ٣٢ (الجهاد والسير) ب ٣٤ (صلح الحديبية ..) ١٤١٢/٣ (١٧٨٥) .

(4) فوجم جميعهم : أي أسكتهم الهمّ وعلتهم الكآبة . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٥٧/٥ .

(5) تنحر بدنك : البدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم ، تهدى إلى مكة وتنحر فيها ، سُمِّيت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٤٤ . والقاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢٠٠/٤ .

أحدًا منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضًا لفرط الغم [1] .

● ثم جاء نسوة مؤمنات (بعد انصرافه إلى المدينة) مهاجرات بدينهن ، بينهن أم كلثوم بنت عقبة ، فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن [2] الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ﴾ [3] فأبى رسول الله ﷺ أن يردهن بدينهن إلى الكفار [4] .

● وكان قد أرسل النبي ﷺ عثمان بن عفان ﷺ إلى قريش قبل كتابة الصلح ليكلمهم في الأمر ، فاحتبسته قريش عندها مدة ، وبلغ رسول الله ﷺ إذا ذاك أن عثمان بن عفان قد قتل ، فقال : (لا نبرح [5] حتى نناجز [6] القوم) ، فدعا رسول الله ﷺ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت شجرة هنالك .

فكان ﷺ يأخذ بيد أصحابه الواحد منهم تلو الآخر يبايعونه على أن لا يفروا . وأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه ، وقال : (هذه عن عثمان) .

ولما تمت البيعة ، انتهى إلى رسول الله ﷺ أن الذي بلغه من مقتل عثمان باطل .

٢- (...) اذكر ما تعرفه عن بيعة الرضوان ؟

الإجابة : هي ما ذكر في النقطة الخيرة من إجابة السؤال السابق .

٣- (١٧٢) بيِّن أهم الحِكَم الإلهية العظيمة الباهرة التي تضمنها (أو انطوى عليها) صلح الحديبية ؟

---

(١) لفرط الغمّ : لشدة الكرب ، والغمة : الكربة . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٤٨٢ .

(٢) فامتحنوهنّ : فاختبروهن "بالحلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام ، لا بغضًا لأزواجهن الكفار ، ولا عشقًا لرجال من المسلمين ، كذا كان ﷺ يحلفهن" تفسير الجلالين . للمحلى والسيوطي / ٧٣١ . (٣) الممتحنة : من الآية / ١٠ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الشروط) ب (الشروط في الجهاد والمصالحة ...) ٥/٢٦٥ وما بعدها . (٥) لا نبرح : لا نزول . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٤٦ . والقاموس المحيط . للفيروز أبادي ١/٢١٥ . (٦) نناجز : نقاتل ، والمناجزة : المقاتلة ، وأنجز على القتيل : أجهز . انظر : المرجع السابق ٢/١٩٣ .

● **الحكمة الأولى : (إن صلح الحديبية كان المقدمة لفتح مكة) :**

فالله جل ثناؤه وطَّأ لفتح مكة بهذا الصلح ، حيث جرت سنته بأن يوطئ بين الأمور التي يريد إنجازها بمقدمات تؤذن بها وتدل عليها .

وبسبب هذا الصلح وضعت الحربُ أوزارها ، وأمن الناس بعضهم بعضًا ، واختلط المسلمون بالكفار ونادوهم بالدعوة ، وأسمعوهم القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وظهر من كان متخفيًا بالإسلام ، وأسلم كل عاقل يحترم عقله بعد تعرفه على الإسلام ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

ولذلك أطلق القرآن اسم الفتح على هذا الصلح ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين مُحلقين رؤوسكم ومقصِّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا** ﴾ [١] .

● **الحكمة الثانية : (إن صلح الحديبية دليل عقائدي قويّ على نبوة محمد ﷺ)**

إن الله – تبارك وتعالى – أراد بصلح الحديبية أن يبرز الفرق بين وحي النبوة والإلهام الإلهي والتوفيق الرباني ، وبين تدبير الفكر البشري والتصرف العبقري بمقتضى الأسباب ومظاهرها . أراد سبحانه أن ينصر نبوة نبيه ﷺ أمام بصيرة كل متأمل عاقل . ولعل هذا من بعض تفسير قوله : ﴿ **وينصرك الله نصرًا عزيزًا** ﴾ [٢] أي : نصرًا فريدًا في بابه ، من شأنه أن ينبه الأفكار السادرة [٣] والعقول الغافلة .

ومن هنا تساهل مع المشركين وأعطاهم كل ما سألوه ، لدرجة أن الصحابة استبد بهم الضيق والقلق والهم لأنهم لم يجدوا ما يسوّغ [٤] ذلك التساهل ، وقد تجلى ذلك في موقف عمر بن الخطاب ﷺ وما كان منه ، وكذا في موقف عموم الصحابة ﷺ حيث سادهم الوجوم عندما أمرهم النبي ﷺ بالحلق والنحر .

---

(١) الفتح / ٢٧ . (٢) الفتح / ٣ .

(٣) السادرة : المتحيرة . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٢٩٢ .

(٤) يسوّغ : يُجوِّز . انظر : المرجع السابق / ٣٢١ .

والسر في موقف الصحابة ذاك أنهم تأملوا تصرفات النبي ﷺ بالعقول البشرية المحدودة ، التي تفهم وتستوعب وتحكم حسب القدرات البشرية والخبرات المحسوسة ، والأسباب الظاهرة .

وأما النبي ﷺ فقد كان واقفًا من تصرفاته هذه فوق تلك المستويات ، لأن النبوة المطلقة هي التي توجهه وتلهمه وتوحي إليه . وكان تنفيذ الأمر الإلهي هو وحده الماثل أمام عينيه .

يتضح هذا من قوله لعمر حينما أقبل إليه سائلاً ومتعجبًا وربما مستنكرًا : (**إني رسول ا لله ولست أعصيه وهو ناصري**) ، ومن أمره لعثمان بأن يأتي رجالاً ونساءً مسلمين بمكة ويبشرهم بالفتح وبأن الله مظهر الإسلام فيها .

ولكن سرعان ما انتهت الدهشة وزال الهم واتضح المبهم حينما تلى رسول الله ﷺ عليهم سورة الفتح التي تنزلت عليه عقب الفراغ من أمر الصلح . وتجلى للصحابة ﷺ أن احتمالهم لتلك الشروط كان عين النصر لهم ، وكان الذل والقهر من نصيب الكافرين . وظهر من وراء ذلك كله النصر العظيم لرسوله والمؤمنين دون أن يكون في ذلك اقتراح للعقول والأفكار .

ويؤكد هذه الحكمة ما روى البخاري أنه جاء إلى النبي ﷺ بعد ذهابه إلى المدينة رجل آخر قد أسلم من قريش اسمه : أبو بصير ، فأرسلوا في طلبه رجلين من المشركين ليستردوه . فسلمه الرسول ﷺ إليهما ، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فغافل أبو بصير أحد حارسيه وأخذ منه سيفه فقتله . ففر الآخر . ثم عاد أبو بصير إلى رسول ا لله ﷺ فقال له : يا نبي ا لله . قد وا لله أوفى ا لله ذمتك ، قد رددتني إليهم فأنجاني ا لله منهم ، ثم إنه خرج حتى أتى سيف البحر ، وتفلت أبو جندل ، فلحق به هناك . وأصبح ذلك المكان مثابة للمسلمين من أهل مكة ، فلا يخرج من قريش رجل قد اسلم إل لحق بأبي بصير وإخوانه ، فما كانوا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوا المشركين وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلى رسول ا لله ﷺ تناشده ا لله والرحم أن يقبلهم عنده ويضمهم إليه ، فجاءوا إلى المدينة [١] .

وهكذا رأى الصحابة ﷺ في الواقع العملي الملموس أن صلح الحديبية كان فتحًا من الله ونصرًا لنبيه ﷺ والمؤمنين ، حيث دخل الإسلام مثل ما كان الإسلام

---

(١) من تتمة حديث البخاري السابق ذكره .

من قبل أو أكثر ، واعتمر النبي ﷺ والمسلمون من العام القابل ، ووهن أمر قريش ن الشرك ، وفتحت خيبر ثم مكة . ولذلك حق أن نقول : إن صلح الحديبية دليل عقائدي قوي على نبوة محمد ﷺ .

٣- الحكمة الثالثة : (إن صلح الحديبية مهَّد لفتح مكة فتحًا سلميًا يتسارع فيه الناس إلى دين الله) :

إن الله جل ثناؤه إنما أراد أن يجعل فتح مكة لنبيه ﷺ فتح مرحمة وسلام ، لا فتح ملحمة وقتال . فتحًا يتسارع الناس فيه إلى دين الله أفواجًا . ويقبل فيه أولئك الذين آذوه وأخرجوه . يلقون إليه السلم ويخضعون له الجانب مؤمنين آيبين موحدين . فجعل من دون ذلك صلح الحديبية تمهيدًا تؤوب فيه قريش إلى صحوها وتحاسب فيه نفسها وضميرها . وتشترك هي الأخرى مع أصحاب رسول الله ﷺ في أخذ العبرة من أمر هذا الصلح ومقدماته ونتائجه . فتتضج الآراء في الرؤوس وتتهيأ لقبول الحق الذي لا ثاني له .

٤- (...) إن صلح الحديبية كان المقدمة لفتح مكة . بيِّن بالأدلة كيف كان ذلك ؟

الإجابة : ما سبق ذكره في النقطة الأولى من السؤال السابق .

٥- (...) إن صلح الحديبية دليل عقائدي (أو عقدي) قويّ وبالغ على نبوة محمد ﷺ . فصل الحديث عن ذلك بالأدلة ؟

الإجابة : ما سبق ذكره في النقطة الثانية من السؤال الثالث .

٦- (...) إن صلح الحديبية مهد لفتح مكة سلميًا ولدخول أهلها في الإسلام . وضِّح المقصود بذلك ؟

الإجابة : ما سبق ذكره في النقطة الثالثة من السؤال الثالث .

٧- (١٧٣) بيِّن حُكم الاستعانة بغير المسلمين فيما دون القتال ؟ وما الأدلة من صلح الحديبية وغيرها ؟

● **الحكم** : يجوز الاستعانة بغير المسلم في القضايا السلمية (أي دون القتال) ، بشرط الاطمئنان إليه ، وعدم الخشية من احتمال غدره وخديعته .

● **الأدلة** : نلخصها في الآتي :

١- إن النبي ﷺ أرسل بشر بن سفيان عينًا إلى قريش ليأتيه بأخبارهم . وبشر بن سفيان كان مشركًا من قبيلة خزاعة . وكان ذلك في صلح الحديبية .

٢- أن النبي ﷺ استعان بأسلحة من صفوان بن أمية المشرك في غزوة حنين .

٣- أن النبي ﷺ استأجر المشرك عبد الله بن أرقط ليدله ﷺ وأبا بكر على الطرق الخفية إلى المدينة عند هجرته إليها .

٨- (١٧٤) من خلال دراستك لصلح الحديبية . بيِّن بالأدلة طبيعة الشورى في الإسلام ؟

يمكن أن نلخص الإجابة على هذا السؤال من خلال النقاط الآتية :

١- إن الشورى مشروعة في الإسلام لقوله تعالى : ﴿ **وشاروهم في الأمر** ﴾ [(١)] ، ولالتزامه ﷺ للشورى طوال حياته امتثالاً لأمر الله تعالى .

٢- إن الشورى مُعْلِمَةٌ ومُبْصِرةٌ للإمام وليست مُلزمة له ؛ وإنما الحكمة منها : استخراج آراء المسلمين المختلفة ، والبحث عن مصلحة قد يختص بعلمها بعضهم دون بعض ، واستطابة أنفسهم وتعويدهم على التفكير والابتكار ، وتحميلهم المسؤولية بالمشاركة في اتخاذ القرار ... إلخ .

٣- الشورى إنما تكون فيما لا يخالف نصًا في القرآن ولا في السنة ولا إجماعَ للمسلمين .

٤- على الإمام أن يأخذ من الآراء أصوبها ، وأتقاها لله ، وأقربها للقرآن والسنة . وله أن يتركها كلها ويأخذ بما انقدح في ذهنه إذارأى صوابه ورجحانه على غيره كما فعل أبو بكر الصديق عندما اتخذ قرار (قتال المرتدين) مخالفًا بذلك بقية الصحابة ﷺ .

ويدل على ذلك : أن النبي ﷺ استشار أصحابه في الحديبية . وأشار عليه

---

(١) آل عمران / ١٥٩ .

أبو بكر فقال له : إنك يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت ، فتوجه لـه ، فمن صدنا عنه قاتلناه .

ولقد وافقه النبي ﷺ في بادئ الأمر ، ومضى مع أصحابه متجهًا إلـى مكة حتى إذا بركت الناقة . وعلم أنها ممنوعة .. ترك الرأي الذي كان قد أشير به عليه ، وأعلن قائلاً : (**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمـون فيهـا حرمـات الله إلا أعطيتهم إياها**) . وحينئذ تحول العمل عن ذلك الرأي الذي أبداه أبو بكر ، إلى أمر الصلح والموافقة على شروط المشركين ، دون أن يستشير في ذلك أحدًا . بل ودون أن يصيخ إلى استعظام واستنكار المستنكرين .

٩- (١٧٥) ما المقصود مـن الـترك والتوسـل بـالنبي أو بآثـاره ﷺ ؟ ومـا مناط ذلك ؟ وما حكمه بالأدلة ؟

● **المقصود بذلك** : طلب الخير من الله جل ثناؤه بالتوسل إليه بنبيه ﷺ وبآثاره ﷺ .

● **مناط ذلك** : التبرك والتوسل به أو بآثاره ﷺ ليس هو إسناد أي تأثير إليه ، وإنما المناط : أن نتوسل إلى الله جل ثناؤه بأفضل الخلائق وأحبها إليه ، وأكرمها عليه ، وأقربها منه ، وهو رسوله ﷺ المبعوث رحمة منه للعباد .

● **حكمه** : مشروع ومندوب إليه للأدلة التالية :

١- إن عروة بن مسعود جعل يرمق أصحـاب النبـي ﷺ بعينيـه . قـال : فواللـه مـا تنخم رسول الله ﷺ نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم فدلـك بهـا وجهـه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمـره . وإذا توضـأ كـادوا يقتتلـون علـى وضوئـه . وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده . ما يحدون النظر إليه تعظيمًا له [١] . **(وهذه الصـورة تدل على محبتهم الشديدة له ﷺ)** .

٢- أن أبا أيوب قال : "يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، رددت عشـاءك ولـم أر فيـه موضع يدك ، وكنت حينما ترد علينا فضل طعامك أتيمم أنا وأم أيوب موضع يدك نبتغي بذلك البركة" [٢] .

---

(١) متفق عليه . سبق تخريجه / ١٧٦ .

(٢) رواه ابن إسحق وأحمد بن حنبل وغيرهما . سبق تخريجه / ٩٩ .

٣- ما رواه البخاري في كتاب اللباس ، في باب (ما يذكر في الشيب) ، من أن أم سلمة زوج النبي ﷺ كانت تحتفظ بشعرات من شعر النبي ﷺ في جلجل [١] لها ، فكان إذا أصاب أحدًا من الصحابة عين أو أذى أرسل إليها إناء فيه ماء ، فجعلت الشعرات في الماء . ثم أخذوا الماء يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك به [٢] .

٤- ما رواه مسلم في كتاب الفضائل في باب طيب عرقه ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام كان يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست هي في البيت . فجاء ذات يوم فنام على فراشها . فجاءت أم سليم وقد عرق رسول الله ﷺ واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها [٣] فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها . فأفاق النبي ﷺ فقال : (**ما تصنعين يا أم سليم ؟**) فقالت : يا رسول الله : نرجو بركته لصبياننا . قال : (**أصبت**) [٤] .

٥- قول النبي ﷺ للأعمى الذي شكا إليه ذهاب بصره : (**أئت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتُقضى لي ، اللهم شفعه فيَّ**) [٥] .

٦- أجمع جمهور الأئمة والفقهاء على استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والتقوى وأهل بيت النبوة في الاستسقاء وغيره . وهو في حق النبي ﷺ آكد وأولى .

● لا فرق في التوسل والتبرك بآثار النبي ﷺ في حياته أو بعد موته ، فآثاره ﷺ وفضلاته لا تتصف بالحياة مطلقًا ، وقد وقع التوسل والتبرك بها من الصحابة ﷺ في حياته ﷺ وبعد موته .

١٠- (١٧٦) اذكر قصة وقوف المغيرة بن شعبة على رأس النبي ﷺ يذب عنه ؟ وهل يناقض وقوفه حكم عدم شرعية القيام على رأس أحد وهو قاعد ؟

● **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الثالثة من إجابة السؤال الأول .

---

(١) جلجل : ما يشبه القارورة يحفظ فيها ما يراد صيانته .

(٢) انظر : صحيح البخاري مع الفتح . ك (اللباس) ب (ما يذكر في الشيب) ٢٩٠/١٠ .

(٣) عتيدها : العتيدة كالصندوق الصغير تجعل فيه المرأة ما يعز من متاعها .

(٤) صحيح مسلم . ك ٤٣ (الفضائل) ب ٢٢ (طيب عرق النبي ﷺ ...) ١٨١٦/٤ (٢٣٣١) .

(٥) الحديث صحيح رواه الترمذي ، والنسائي ، والبيهقي وغيرهم .

• **وقوفه** : لا يناقض الحكم الشرعي الذي نصَّ عليه النبي ﷺ في قوله (**من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**) . لأنه يستثنى من عموم المنع مثل هذه الحالة بخصوصها . أي في حال قدوم رسل العدو إلى الإمام أو الخليفة ، فلا بأس حينئذ من قيام حرس أو جند على رأسه ، إظهارًا للعزة الإسلامية ، وتعظيمًا للإمام ، ووقاية له مما قد يفاجأ به من سوء .

١١- (١٧٧) اذكر قصة الكتاب الذي كتب بين المسلمين والمشركين في صلح الحديبية ؟ وبيِّن بالأدلة حكم الهدنة بين المسلمين وأعدائهم ؟ وما مدتها ؟ واذكر ما تعرفه عن شروطها ؟

• **القصة** : سبق ذكرها في النقطة الرابعة من السؤال الأول .

• **حكم الهدنة** : استدل العلماء والأئمة بصلح الحديبية على جواز عقد هدنة بين المسلمين وأهل الحرب من أعدائهم إلى مدة معلومة ، سواء أكان ذلك بعوض يأخذونه منهم أم بغير عوض ، أما بدون عوض فلأن هدنة الحديبية كانت كذلك ، وأما بعوض فبقياس الأولى لأنها إذا جازت بدون عوض . فلأن تجوز بعوض أقرب وأوجه .

وأما إذا كانت المصالحة على مال يبذله المسلمون ، فهو غير جائز عند جمهور المسلمين ، لما فيه من الصغار لهم ، ولأنه لم يثبت دليل من الكتاب أو السنة على جواز ذلك . قالوا : إلا إن دعت إليه ضرورة لا محيص عنها وهو أن يخاف المسلمون الهلاك أو الأسر فيجوز ، كما يجوز للأسير فداء نفسه بالمال .

• **مدة الهدنة** : ذهب الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وكثير من الأئمة إلى أن الصلح لا ينبغي أن يكون إلا إلى مدة معلومة ، وإنه لا يجوز أن تزيد المدة عن عشر سنوات مهما طالت ، لأنها هي المدة التي صالح النبي ﷺ قريشًا عليها عام الحديبية .

• **شروط الهدنة** : الشروط في عقد الهدنة تنقسم إلى صحيحة وباطلة ، فالصحيح كل شرط لا يخالف نصًا في كتاب الله أو سنة نبيه ، مثل أن يشترط عليهم مالًا أو

معونة للمسلمين عند الحاجة ، أو أن يشترط لهم أن يُرد من جاءه من الرجال مسلمًا أو بأمان ، ولقد أطلق الأئمة صحة هذا الشرط الأخير ، ما عدا الشافعي ﷺ فقد شرط لذلك أن تكون له عشيرة تحميه بين الكافرين ، وحمل على ذلك موافقة النبي ﷺ على هذا الشرط لقريش .

والباطل ، كل شرط فيه معارضة لحكم شرعي ثابت ، ومنه أن يُشترط ردّ النساء المسلمات أو مهورهن إليهم ، أو إعطائهم شيئًا من سلاح المسلمين أو أموالهم ، وأساس الاستدلال على هذا عدم رد النبي ﷺ النساء اللاتي جئن هاربات بدينهن ، ونهي القرآن صراحة عن ذلك .

١٢- (١٧٨) إن النبي ﷺ أخذ على نفسه عهدًا في صلح الحديبية بأن يعيد من جاءه مسلمًا من أهل مكة إلى المشركين ، ثم بعد ذلك لم يُعد من جاءته مسلمة من أهل مكة . فكيف توفق بين عهده ، وبين فعله وتصرفه ؟

الجواب من وجهين :

(أولهما) أن ذلك ليس نصًا في خصوص النساء . بل يحتمل أنه لا ينحط إلا على الرجال وحدهم ، ومما يدل على ذلك قول سهيل ممثل المشركين مشترطًا : وعلى ألا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا .

(ثانيهما) إن تصرفات النبي ﷺ لا تكتسب قوة الحكم الشرعي إلا إذا أقرها الكتاب بالسكوت عليها أو التأكيد لها . ولقد أقر الكتاب كل بنود المصالحة إلا ما يتعلق بردّ النساء إلى بلد الكفر فلم يقره – وذلك على فرض دخوله في بنود الاتفاقية وشروطها – .

١٣- (١٧٩) بيِّن حكم الإحصار في العمرة والحج ؟

دل عمل الرسول ﷺ بعد الفراغ من أمر الصلح ، من التحلل والنحر والحلق ، على أن المحصر يجوز له أن يتحلل ، وذلك بأن يذبح شاة حيث أحصر أو ما يقوم مقامها ويحلق ثم ينوي التحلل مما كان قد أهل به ، سواء كان حجًا أو عمرة .

كما دل ذلك على أن المتحلل لا يلزم بقضاء الحج أو العمرة إذا كان متطوعًا ، وخالف الحنفية فرأوا أن القضاء بعد المباشرة واجب ، بدليل أن جميع الذين خرجوا معه ﷺ في صلح الحديبية خرجوا معه في عمرة القضاء ، إلا من توفي أو استشهد منهم في غزوة خيبر .

١٤- (١٨٠) اذكر أهم الحِكم التي انطوى عليها صلح الحديبية ؟ واذكر أهم الأحكام المستنبطة منها ؟

- **أهم الحِكم ما يلي :**

١- إن صُلح الحديبية كان المقدمة لفتح مكة .

٢- إن صُلح الحديبية دليلٌ عقائدي قويّ وبالغ على نبوة محمد ﷺ .

٣- إن صُلح الحديبية مهَّد لفتح مكة فتحًا سلميًا يتسارع فيه الناس إلى دين الله تعالى .

- **أهم الأحكام ما يلي :**

١- يجوز الاستعانة بغير المسلم في القضايا السلمية بشرط الاطمئنان والأمان .

٢- مشروعية الشورى في الإسلام ، وأنها مُعلِمَة ومُبَصِرة للإمام وليست ملزمة له .

٣- مشروعية واستحباب التبرك والتوسل بالنبي ﷺ أو بآثاره ﷺ .

٤- جواز وقوف الحرس أو الجند على رأس الإمام للحاجة ، كحمايته من سوء قد يفاجأ به .

٥- جواز عقد هدنة بين المسلمين وأهل الحرب إلى مدة معلومة ، وبشروط صحيحة .

٦- إن المحصر في العمرة أو الحج يجوز له أن يتحلل بالذبح والحلق مكان إحصاره ، ولا يلزمه القضاء إذا كان متطوعًا .

٢- غزوة مؤتة

١- (١٨١) بيِّن بالتفصيل أحداث غزوة مؤتة ؟

• وقد كانت في شهر جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة . ومؤتة قرية على مشارف الشام ، وهي التي تسمى اليوم : الكرك .

• وسببها مقتل الحارث بن عمير الأزدي ، رسول رسول الله ﷺ إلى ملك بصرى ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره .

• فندب [١] الناس للخروج إلى الشام ، وسرعان ما اجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل قد تهيأوا للخروج إلى مؤتة .

ولم يخرج النبي ﷺ معهم ، وبذلك تعلم أنها في الحقيقة ليست بغزوة وإنما هي سرية ، ولكنّ عامة علماء السيرة أطلقوا عليها اسم الغزوة لكثرة عدد المسلمين فيها ، ولما كان لها من أهمية بالغة ، وقال لهم رسول الله ﷺ : (أمير الناس زيد بن حارثة ، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم) [٢] ، وأوصاهم ﷺ أن يدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإن أجابوا ، وإلا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم .

قال ابن إسحاق : ودع رسول الله ﷺ وأصحابه المسلمين وأمراءهم عند خروجهم من المدينة ، وفي تلك الأثناء بكى عبد الله بن رواحة ، فقالوا له : ما يبكيك ؟ قال : أما والله ما بي حب الدينا ولا صبابة [٣] بكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله تعالى يذكر فيها النار : ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ﴾ [٤] فلست أدري كيف لي بالصدر [٥] بعد الورود .

---

(١) فندب : فدعى وحثّ وحضّ . (٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة مؤتة من أرض الشام) ٤١٢/٧ وما بعدها . وسيرة ابن هشام ١٢٠٠/٣ . ورواه أيضًا أحمد وابن سعد في طبقاته . ولكن ليس في البخاري : (فإن قُتل فليرتض المسلمون منهم رجلاً) .

(٣) صبابة : شوق . والصبابة : الشوق أو رقته وحرارته ، أو رقة الهوى . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٩١/١ . ومختار الصحاح . للراري / ٣٥٤ . (٤) مريم / ٧١ .

(٥) بالصدر : بالرجوع . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٦٨/٢ .

وناداهم المسلمون وهم يسيرون : صحبكم الله ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين . فقال عبد الله بن رواحة :

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات قرع[1] تقذف الزبدا[2]

أو طعنة بيدي حرّان[3] مجهزة[4] ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[5]

حتى يقال إذا مرّوا على جدثي[6] ... أرشده الله من غاز ، وقد رشدا

● ولما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم ، فجمعوا لهم : جمع هرقل لهم أكثر من مائة ألف مقاتل من الروم ، وجمع شرحبيل بن عمرو مائة ألف مقاتل آخر من قبائل لخم وجُذام والقين وبهراء .

● وسمع المسلمون بذلك فأقاموا في معان [7] ليلتين يفكرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا . فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال لهم : يا قوم ، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ، ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور أو شهادة .

● والتقى المسلمون بأعدائهم قبيل الكرك ، وقد اجتمع منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والسلاح والعتاد ، فأخذ اللواء [8] زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه حتى قتل ﷺ طعنًا بالرماح ، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب

---

(١) ضربة ذات قرع : أي ضربة ذات نفاذ . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٣/٦٠ .

(٢) تقذف الزبدا : الزبد : اصله ما يعلو الماء إذا غلا ، وأراد ههنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة .

(٣) بيدي حرّان : أي بيدي رجل من حرّان ، وحران : اسم بلد بالشام . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢١٣/٤ .

(٤) مجهزة : سريعة القتل . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣٢٢/١ .

(٥) تنفذ الأحشاء والكبدا : أي تخترقهما .

(٦) جدثي : قبري . وجدث : قبر ، يجمع على أجداث . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٤٣/١ .

(٧) معان : اسم موضع على مشارف الشام وهي الآن مدينة في الأردن .

(٨) اللواء : "الراية ويُسمى العلم" فتح الباري . لابن حجر ٩٥/٦ .

فأبلى بلاء عظيمًا ، حتى إذا ألحمه القتال [1] نزل عن فرسه فعقرها [2] ثم انطلق يشتد في قتال القوم وهو يرتجز [3] :

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وباردًا شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

عليّ إذ لاقيتها ضرابها

وظل يقاتل حتى قتل ﷺ ، ضربه رجل من الروم فقده نصفين ، فوجد في جسمه خمسون طعنة ، ليس منها شيء في ظهره [4] !..

ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة وانطلق يرتجز قائلاً :

أقسمت يا نفس لتنزلنّه ... لتنزلنّ أو لتكرهنّه

إن أجلب[5] الناس وشدوا الرنّة[6] ... مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنّة[7]

ولم يزل يقاتل حتى قُتل ﷺ . ثم اتفق الناس على إمرة خالد بن الوليد فأخذ اللواء ، وقاتل المشركين حتى انهزموا ، فانحاز [8] بجيشه حينئذ عائدًا إلى المدينة .

● روى البخاري عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ نعى [9] زيدًا وجعفر بن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : (أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب ،

---

(١) ألحمه القتال : أي لَزِمَه القتال ولَزِق به ولا مَخْلص منه . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٣٩/٤ . (٢) فعقرها : أي ضرب قوائم فرسه بالسيف وهي قائم . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٧١/٣ . ومختارالصحاح . للرازي / ٤٤٥ .

(٣) يرتجز : من الرجز ،وهو ضرب من الشعر وبحر من بحوره ونوع من أنواعه .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة مؤتة من أرض الشام) ٤١٢/٧ ، ٤١٣ . وسيرة ابن هشام ١٢٠٠/٣ وما بعدها .

(٥) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٨١/١ ، ٢٨٢ .

(٦) وشدوا الرنة : الرنـة : الصوت . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢٢٩/٤ . ومختار الصحاح . للرازي / ٢٥٩ .

(٧) نطفة في شَنّة : النطفة : الماء القليل ، والشنة : القربة القديمة . انظر : النهاية . لابن الأثير ٥٠٦/٢ و ٧٤/٥ .

(٨) فانحاز : فتنحى وانضم . انظر النهاية . لابن الأثير ٤٥٩/١ .

(٩) نعى : أخبر وأعلم بقتل . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٤١٣/٧ .

ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب ، - وعيناه تذرفان [1] - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله [2] ، حتى فتح الله عليهم .

وهذا الحديث يدل كما ترى ، على أن الله أيد المسلمين بالنصر أخيراً ، وليس كما قال بعض رواة السيرة أن المسلمين انهزموا وتفرقوا ، وعادوا بعد ذلك إلى المدينة ، ولعل مقصود الذين قالوا هذا ، أن المسلمين لم يتبعوا الروم ومن معهم في هزيمتهم ، واكتفوا بانكشافهم عن مواقعهم ، خوفًا على المسلمين ، وانقلبوا عائدين إلى المدينة ، ولا شك أنه تدبير حكيم من خالد بن الوليد ﷺ .

قال ابن حجر : وقع في المغازي لموسى بن عقبة - وهي أصح المغازي - قوله : ثم أخذه (يعني اللواء) عبد الله بن رواحة فقُتل ، ثم اصطلح [3] المسلمون على خالد ابن الوليد ، فهزم الله العدو وأظهر المسلمين ، قال العماد بن كثير : ويمكن الجمع بأن خالدًا حاز المسلمين وبات ، ثم أصبح وقد غير هيأة العسكر فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة ، لتيوهم العدو أن مددًا قد جاء المسلمين ، فحمل عليهم خالد فولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى [4] .

● ولما دنوا [5] من المدينة ، تلقاهم رسول الله ﷺ ، ولقيهم الصبيان يسرعون ، فقال : خذو الصبيان فاحملوهم ، وأعطوني ابن جعفر !. فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه .. وجعل الناس يصيحون بالجيش : يا فرار ، فررتم في سبيل الله .. فيقول رسول الله ﷺ : (ليسو بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله) .

٢- (١٨٢) اذكر عدد المسلمين ، وعدد الروم وحلفائهم في غزوة مؤتة ؟ وكيف واجه المسلمون الأقلة الكفرة بأعدادهم الهائلة ؟ وما هو سبب صمودهم ؟

● **العدد** : إن عدد المسلمين في غزوة مؤتة لم يتجاوز ثلاثة آلاف مجاهد ، و ...

---

(١) عيناه تذرفان : "أي تدفعان الدموع" فتح الباري . لابن حجر ٧/٤١٣ .

(٢) سيف من سيوف الله : قصد خالد بن الوليد ، ومن يومئذ سمي سيف الله . انظر : المرجع السابق ٧/٤١٣ .

(٣) اصطلح : من الصلاح : وهو ضد الفساد . انظر القاموس المحيط . للفيروز أبادي ١/٢٣٥ .

(٤) انظر : فتح الباري . لابن حجر ٧/٤١٤ . (٥) دنوا : اقتربوا .

عدد الروم وحلفائهم من المشركين العرب فقد بلغ ما يقرب مائتي ألف مقاتل .
ومعنى ذلك أن عدد المشركين والروم بلغوا نحو خمسين ضعفًا من عدد المسلمين .

● **الكيفية** : واجه المجاهدون المسلمون هذه الحشود الهائلة بإقدام منقطع النظير ، فصمدوا لهم ، وأقبلوا عليهم ولم يدبروا عنهم ، حتى قُتل أميرهم الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، وهم يقتحمون أبواب الشهادة في نشوة بالغةٍ وإقبال عجيب ، حتى دخل الرعب الإلهي في أفئدة كثير من المشركين ، دون أن يكون له سبب ظاهر ، فانكشفوا عن مواقعهم ، وأدبر كثير منهم ، وقتل منهم خلائق لا تكاد تُحصى ! .

● **سبب صمودهم** : الإيمان القوي الراسخ بالله ، والاعتماد والتوكل عليه ، واليقين بوعده ، والاعتقاد الجازم بأن الله جل ثناؤه ينصُر من نَصره رغم فارق العَدد والعُدد ، ورغم كل الأسباب ، وأن المسلمين لا يقاتلون بَعدد ولا قوة ولا كثرة ، وإنما يقاتلون بهذا الدين الذي أكرمهم الله به ، وإن الله وعدهم إما النصر وإما الشهادة وكلاهما خير ، بل وأيُّ شيء أحسن من ذلك !؟

٣- (١٨٣) اذكر توصية النبي ﷺ بشأن تعيين الأمراء في غزوة مؤتة ؟ وبيِّن ما تدل عليه ؟

● **التوصية هي** : قوله ﷺ للمسلمين في جيش مؤتة : (**أمير الناس زيد بن حارثة ، فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل فليرتض المسلمون منهم رجلاً فليجعلوه عليهم**) .

● **الدلالة** : تدل التوصية على الآتي :

١- إنه يجوز للخليفة أو رئيس المسلمين أن يعلق إمارة أحد الناس بشرط أن يولي المسلمين عدة أمراء بالترتيب ، كما فعل النبي ﷺ في تولية زيد ثم جعفر ثم عبد الله ابن رواحة ، قال العلماء : والصحيح أنه إذا أمر الخليفة بذلك فإن ولاية الكل تنعقد ، بوقت واحد ، في الحال ، ولكنها لا تنفذ إلا مرتبة [1] .

٢- مشروعية اجتهاد المسلمين في اختيار أميرهم ، إذا غاب أميرهم ، أو وكل إليهم الخليفة اختيار من يرون ، وقال الطحاوي : هذا أصل يؤخذ منه أن على

---

(١) انظر : فتح الباري ٤١٤/٧ .

المسلمين أن يقدموا رجلاً إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر ، كما دلت هذه التوصية على مشروعية اجتهاد المسلمين في حياة النبي ﷺ .

٤- (١٨٤) اذكر نعيَ النبي ﷺ قادة جيش مؤتة الثلاثة ؟ وبيِّن ما يدل عليه ؟

● **النعي** : روى البخاري عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة قبل أن يأتيهم خبرُهم فقال : (**أخذ الراية زيدٌ فأصيب . ثم أخذ جعفرٌ فأصيب . ثم أخذ ابن رواحة فأصيب – وعيناه تذرفان – ، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**) [١] .

● **الدلالة** : يدل هذا النعي على الآتي :

١- أنه من جملة الخوارق الكثيرة التي أكرم الله بها نبيه ﷺ ، وفي هذه الخارقة زوى لرسوله ﷺ الأرض ، فأصبح يرى من شأن المسلمين الذين يقاتلون على مشارف الشام ما حدَّث به أصحابه .

٢- مدى حبه لأصحابه وشفقته عليهم ، ولذلك بكى وذرفت عيناه ﷺ بالدموع وهو ينعي الشهداء الثلاثة للمسلمين . وهذا لا يتنافى مع الرضى بقضاء الله تعالى وقدره . فتلك رقة طبيعية ورحمة فطر الله الإنسان عليها . روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ لما عاد سعد بعد عباد بكى ، فبكى الناس لبكائه ، فقال : (**ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه – أو يرحم**) [٢] .

٥- (١٨٥) ما هي الفضائل التي سُجِّلت لخالد بن الوليد في غزوة مؤتة ؟

١- إن غزوة مؤتة أول وقعة يشارك فيها خالد بن الوليد ويتشرف بالجهاد فيها . إذ لم يمض على إسلامه إلا مدة يسيرة .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة مؤتة) ٤١٣/٧ .

(٢) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الجنائز) ب (البكاء عند المريض) ١٣٧/٣ . وصحيح مسلم . ك ١١ (الجنائز) ب ٦ (البكاء على الميت) ٦٣٦/٢ (٩٢٤) .

٢- إن النبي ﷺ سجّل لخالد فضلاً خاصًا عندما قال : (**أخذ الراية سيفٌ من سيوف ا لله حتى فتح ا لله عليهم**) .

٣- إن خالدبن الوليد ﷺ أبلى في هذه الغزوة بلاءً رائعًا ، حيث انقطعت في يده يوم مؤتة تسعة أسياف ، ولم تبق في يده إلا صفيحة يمانية .

٤- إن الفتح من الله على المسلمين كان على يد خالد ﷺ حيث ألهمه الله التصرف الحكيم ، ولذلك سماه الرسول ﷺ فتحًا ، في حين كان يراه الناس فرارًا .

٥- إن خالد بن الوليد سجّل قيادة عسكرية عبقرية فذّة منقطعة النظير تجلّت في تدبيره الحكيم ، ولذلك كان جديرًا بأن يكون سيفًا من سيوف الله كما لقبه ﷺ .

٦- (١٨٦) ما سبب قول الناس للعائدين من مؤتة يا فرار ؟ وهل كانوا محقين ؟ وما الدليل ؟

● **السبب** : أن جيش مؤتة لم يتبع الروم ومن معهم في هزيمتهم ، وتركوا الأرض التي قاتلوا فيها كما هي ، ولم يكن ذلك شأنهم في الغزوات الأخرى .

● **لم يكونوا محقين للأدلة الآتية :**

١- أن خالد بن الوليد ﷺ اكتفى بهزيمة الروم ، وكرَّ عائدًا إلى المدينة حفظًا للمسلمين وهيبتهم التي انطبعت في أفئدة الروم .

٢- قول النبي ﷺ : (**حتى أخذ الراية سيف من سيوف ا لله حتى فتح ا لله عليهم**) . فلو كان انحياز خالد بالجيش إلى المدينة فرارًا لما سماه النبي ﷺ فتحًا ، ولما سمى صاحب الانحياز سيف الله .

٣- رد النبي ﷺ على أولئك بقوله : (**ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء ا لله**) .

٣- غزوة تبوك

١- (١٨٧) فصِّل الحديث عن أحداث غزوة تبوك ؟

● وسبب غزوة تبوك [١] على ما رواه ابن سعد وغيره ، أنه بلغ المسلمين من الأنباط [٢] الذين كانوا يتنقلون بين الشام والمدينة للتجارة ، أن الروم قد جمعت جموعًا وأجلبت إلى جانبها لخم وجذام وغيرهم من نصارى العرب الذين كانوا تحت إمرة الروم ، ووصلت طلائعهم إلى أرض البلقاء [٣] ، وروى الطبراني من حديث ... حصين أن جيش الروم كان قوامه أربعين ألف مقاتل [٤] .

● ندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج ، وكان ذلك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة ، وكان الفصل صيفًا ، وقد بلغ الحر أقصاه ، والناس في عسرة من العيش ، وكانت ثمار المدينة – في الوقت نفسه – قد أينعت [٥] وطابت ، فمن أجل ذلك أعلن رسول الله ﷺ عن الجهة التي سيتجهون إليها – وذلك على خلاف عادته في الغزوات الأخرى .

قال كعب بن مالك : لم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلى ورّى بغيرها [٦] حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد واستقبل سفرًا ومفازًا [٧] وعدوًا كثيرًا ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم [٨] .

---

(١) تبوك : "مكان معروف هو نصف طريق المدينة إلى دمشق ، ويُقال : بين المدينة وبينها أربع عشرة مرحلة ... جاءها النبي ﷺ وهم يبوكون [يحفرون] مكان مائها بقدح فقال : (ما زلتم تبوكونها) فسميت حينئذ تبوك" فتح الباري . لابن حجر ٩٠/٨ .

(٢) الأنباط : "نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه ، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة" المرجع السابق ٩٧/٨ . (٣) البلقاء : "مدينة بالشام" مختار الصحاح . للرازي / ٦٤ . (٤) انظر : طبقات ابن سعد ٢١٨/٣ . وفتح الباري . لابن حجر ٨/...

(٥) أينعت : أي : نضجت ثمارها . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٧٤٥ .

(٦) ورّى بغيرها : "أي أوهم غيرها ، والتورية أن يذكر لفظًا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد" فتح الباري . لابن حجر ٩٣/٨ .

(٧) سفرًا بعيدًا أو مفازًا : "أي برية طويلة قليلة الماء يخاف فيها الهلاك" شرح النووي على صحيح مسلم ٨٨/١٧ . (٨) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة تبوك) ٩٣/٨ . وصحيح مسلم . ك ٤٩ (التوبة) ب ٩ (حديث توبة كعب بن مالك) ٢١٢٠/٤ وما بعدها (٢٧٦٩) .

● وهكذا ، فقد كانت الرحلة في هذه الغزوة ثقيلة على النفس ، فيها أقسى مظاهر الابتلاء والامتحان ، فأخذنفاق المنافقين يعلن عن نفسه هنا وهناك ، على حين أخذ الإيمان الصادق يعلن عن نفسه في صدور أصحابه

أخذ أقوام من المنافقين يقولون لبعضهم ، لا تنفروا [1] في الحر .. وجاء آخر [2] يقول لرسول ا لله ﷺ : ائذن لي ولا تفتني [3] ، فوا لله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبًا بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول ا لله ﷺ وأذن له فيما أراد [4] وعسكر عبد ا لله بن أبي سلول في ضاحية بالمدينة مع فئات من أصحابه وحلفائه ، فلما سار النبي ﷺ ، تخلف بكل من معه ! .

ومما نزل في ذلك قوله تعالى : ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول ا لله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا لله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرًا لو كان يفقهون ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ [6] .

● أما المؤمنون فأقبلوا إلى رسول ا لله ﷺ من كل صوب ، وكان قد حض [7] أهل الغنى على النفقة وتقديم ما يتوفر لديهم من الدواب للركوب فجاء الكثيرون منهم بكل ما أمكنهم من المال والعدة ، وجاء عثمان ﷺ بثلاثمائة بعير بأحلاسها [8] وأقتابها [9] [10] وبألف دينار نثرها في حجره ، فقال رسول ا لله ﷺ ،

---

(١) لا تنفروا : "لا تخرجوا إلى الجهاد" تفسير الجلالين . للمحلى والسيوطي / ٢٦٢ .

(٢) وجاء آخر : هو الجد بن قيس . (٣) لا تفتني : "أي لا توقعني في الفتنة أي الإثم إذا لم تأذن لي فتخلفت بغير إذنك ، وقيل معناه : لا توقعني في الهلكة بالخروج" فتح القدير . للشوكاني ٣٦٧/٢ . (٤) رواه ابن إسحق . انظر : سيرة ابن هشام ١٣٦٨/٤ . ورواه ابن مردويه ، ورواه عبد الرازق . وانظر : الإصابة ٢٣٠/١ .

(٥) التوبة / ٨١ . (٦) التوبة / ٤٩ . (٧) حضَّ : حثَّ .

(٨) أحلاسها : مفردها : "الحلس [وهو] كساء يكون على ظهر البعير تحت البردعة" الفائق في غريب الحديث . للزمخشري ٣٠٤/١ .

(٩) أقتابها : الأقتاب هي ما يوضع على ظهور الإبل ويجلس عليها الراكب . انظر : النهاية . لابن الأثير ١١/٤ .

(١٠) سنن الترمذي . ك ٥٠ (المناقب) ب ١٩ (من مناقب عثمان ...) ٥٨٤/٥ ، ٥٨٥ (٣٧٠٠) . ورواه الطبراني والإمام أحمد .

لا يضر عثمان ما فعل بعدها [1] .

وجاء أبو بكر ﷺ بكل ماله ، وجاء عمر بنصف ماله ، روى الترمذي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً ، فقلت اليوم أسبق أبا بكر ، إن سبقته يومًا . قال : فجئت بنصف مالي فقال رسول الله ﷺ : (ما أبقيت لأهلك ؟) قال : مثله . وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : (يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟) فقال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : (لا أسبقه إلى شيء أبدًا) [2] .

وإذا صح هذا الحديث فلابد أن يكون هذا الندب [3] بمناسبة غزوة تبوك كما قال ذلك فريق من العلماء .

• وأقبل رجال من المسلمين أطلق عليهم (البكاءون) يطلبون من رسول الله ﷺ ظهورًا يركبونها للخروج إلى الجهاد معه ، فقال لهم : (لا أجد ما أحملكم عليه) ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع [4] حزنًا أن لا يجدوا لديهم ما ينفقونه في أسباب خروجهم للغزو .

• وخرج رسول الله ﷺ فيما يقارب ثلاثين ألفًا من المسلمين [5] ، وتخلف عنه نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وأبو خيثمة . وكانوا – كما قال ابن إسحاق – نفر صدق لا يتهم في إسلامهم ، غير أن أب خيثمة لحق برسول الله ﷺ في تبوك .

روى الطبراني وابن إسحاق والواقدي أن أبا خيثمة رجع ، بعد أن سار رسول الله ﷺ بعدة أيام ، إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتين في عريشين

---

(1) سنن الترمذي . ك ٥٠ (المناقب) ب ١٩ (في مناقب عثمان ...) ٥/٥٨٥ (٣٧٠١) . وقال الترمذي : "هذا حديث حسن" . ومسند أحمد . والمستدرك . للحاكم . ك (معرفة الصحابة) ٣/١٠٢ . صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(2) سنن الترمذي . ك ٥٠ (المناقب) ب ١٦ (في مناقب أبي بكر وعمر ...) ٥/٦١٤ (٣٦٧٥) . وقال الترمذي : "هذا حديث حسن صحيح" .

(3) الندب : الحثّ والحضّ والدعوة .

(4) تفيض من الدمع : تكثر من الدمع . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣/٤٨٤ .

(5) روى ذلك ابن سعد وابن إسحق وغيرهما .

(أي خيمتين) لهما في بستان له ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له ماءً فيه وهيأت له فيه طعامًا ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول ا لله ﷺ في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟! ما هذا وا لله بالنصف . ثم قال : وا لله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول ا لله ﷺ ، فهيأتا له زادًا ، ثم قدم ناضحة [1] فارتحله وخرج في طلب رسول ا لله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ، ولما دنا أبو خيثمة من المسلمين قالوا : هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول ا لله ﷺ: (كن أبا خيثمة !) ، فلما أناخ [2] أقبل إلى رسول ا لله ﷺ ، فقال له عليه الصلاة والسلام : (أولى لك يا أبا خيثمة !.. ثم أخبر رسول ا لله ﷺ الخبر فدعا له ﷺ بخير .

● وعانى المسلمون في هذه الرحلة جهودًا شاقة وأتعابًا جسيمة .

روى الإمام أحمد وغيره أن الرجلين والثلاثة كانوا يتعاقبون [3] على بعير واحد ، وأصابهم عطش شديد حتى جعلوا ينحرون إبلهم [4] لينفضوا أكراشها ويشربوا ماءها [5] .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة قال : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول ا لله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا [6] فأكلنا وادّهنا [7] ، فقال لهم رسول ا لله ﷺ : (افعلوا) ، فجاء عمر فقال : يا رسول ا لله إنهم إن فعلوا قلَّ الظهر [8] ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم بالبركة لعل ا لله أن يجعل فيه ذلك ، فدعا عليه الصلاة والسلام بنطع [9] فبسطه ، ثم

---

(١) ناضحة : هي الناقة التي يُستقر عليها . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٦٦٤ .

(٢) أناخ : أي : ابرك الناقة . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٦٨٤ .

(٣) يتعاقبون على بعير واحد : أي يركب كل واحد مرة وهكذا . انظر : المرجع السابق / ٤٤٣ . (٤) ينحرون إبلهم : يذبحونها . (٥) رواه ابن سعد في طبقاته ٣/٢٢٠ .

(٦) نواضحنا : هي الإبل التي يُستقى عليها . يُقال للجمل : ناضح ، وللناقة : ناضحة . انظر : مختار الصحاح . للرازي / ٦٦٤ . (٧) وادّهنا : أي طلينا أنفسنا بالدُّهن . انظر : المرجع السابق / ٢١٤ . (٨) قلَّ الظهر : قلّت الإبل و"الظهر : الإبل التي يُحمل عليها وتركب . يقال : عند فلان ظهر : أي إبل" . النهاية . لابن الأثير ٣/١٦٦ .

(٩) بنطع : النطع : بساط من الأديم ، يُجمع على : أنطاع ونطوع . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٣/٨٩ .

دعاهم بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكف الذرة والآخر بكف التمر والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، ثم دعا عليه بالبركة ، ثم قال لهم : (خذوا في أوعيتكم) قال : فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا من المعسكر وعاءً إلى ملؤوه وأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت منه فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة) [1] .

● ولما انتهوا إلى تبوك ، لم يجدوا هناك كيدًا ولا قتالاً ، فقد اختفى وتفرق أولئك الذين كانوا قد تجمعوا للقتال ، ثم أتاه يوحنه حاكم "أيلة" [2] فصالح رسول الله ﷺ على الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه أيضًا الجزية ، وكتب رسول الله ﷺ بذلك لهم كتابًا .

● ومر الجيش مع رسول الله ﷺ بالحِجْر (وهي منازل ثمود) فقال لأصحابه : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم [3] ، أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين) ، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي [4] .

● ثم إن النبي ﷺ قفل راجعًا إلى المدينة ، فلما أشرفوا على المدينة قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه : (هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه) [5] وقال لأصحابه (إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم) . قالوا : يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : (وهم بالمدينة ، حبسهم العذر) [6] .

وقدم المدينة عليه الصلاة والسلام في رمضان من السنة نفسها ، فيكون قد غاب قرابة شهرين .

---

(١) صحيح مسلم . ك (الإيمان) ب (الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا) ١/٥٦ ، ٥٧ (٢٧) . ومسند أحمد . (٢) أيلة : "البلد المعروف فيما بين مصر والشام" النهاية . لابن الأثير ١/٨٥ . (٣) يقصد بذلك ﷺ منازل ثمود الذين حل بهم العذاب . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٨/١٠٢ . (٤) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة تبوك) ٨/١٠٢ . وصحيح مسلم . ك ٥٣ (الزهد والرقائق) ب (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ...) ٤/٢٢٨٦ (٢٩٨٠) . (٥) صحيح البخاري مع الفتح ك (المغازي) ب (غزوة تبوك) ٨/١٠٣ . وصحيح مسلم . ك ١٥ (الحج) ب ٩٣ (أحد جبل يحبنا ونحبه) ٢/١٠١١ (١٣٩٢) . (٦) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي ب (غزوة تبوك) ٨/١٠٣ . وصحيح مسلم . ك ٣٣ (الإمارة) ب ٤٨ (ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر) ٣/١٥١٨ (١٩١١) .

٢- (١٨٨) اذكر أمر المخلفين عن غزوة تبوك ؟ وبيِّن بالتفصيل قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه ؟

● لما دخل رسول ا لله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس للناس فجاءه المخلفون وطفقوا [١] يعتذرون ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً . فقبل منهم علانيتهم واستغفر لهم ، وأرجأ [٢] أمر كعب بن مالك وصاحبيه إلى أن نزلت آيات بقبول توبتهم .

● وقد روى كعب ﷺ خبره في ذلك - في حديث طويل رواه البخاري ومسلم - وجاء فيه قوله : كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة .. وطفقت أغدو [٣] لكي أتجهز مع المسلمين، فأرجع ولم أقض شيئًا ، فأقول في نفسي : أنا قادر عليه (أي لن يعيقني شيء عن سرعة التجهز) فلم يزل يتمادى [٤] بي حتى اشتد بالناس الجد [٥] ولم أقض من جهازي [٦] شيئًا . ولم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو [٧] وهممت أن أرتحل فأدركهم - وليتني فعلت - فلم يقدّر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول ا لله ﷺ فطفت فيهم ، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصًا بنفاق [٨] أو رجلاً ممن عذر ا لله من الضعفاء .. ولما بلغني أنه توجه قافلاً [٩] حضرني همّي ، فطفقت أتذكر الكذب ، وأقول بماذا سأخرج من سخطه غدًا ؟!.. واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، ولما قيل إن رسول ا لله ﷺ قد أقبل ، زاح [١٠] عني الباطل وأجمعت أن أصدقه ، فجئته ، فلما سلمت عليه تبسم المغضب [١١] ، ثم قال : (تعال) ، أمشي حتى جلست

---

(١) طفقوا : أخذوا . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٢٩/٣ . (٢) أرجأ : أخّر .
(٣) طفقت أغدو : أخذت أسير وأنطلق أول النهار . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣٤٦/٣ .
(٤) يتمادى : عن الأمر : الغاية والمنتهى . انظر : القاموس المحيط . للفيروز أبادي ٢٧٥/١ .
(٥) اشتد بالناس الجد : "هو الجدّ في الشي والمبالغة فيه" فتح الباري . لابن حجر ٩٤/٨ .
(٦) جهازي : "أي أهبة سفري" شرح النووي على صحيح مسلم ٨٩/١٧ .
(٧) تفارط الغزو : "اي فات وسبق" فتح الباري . لابن حجر ٩٤/٨ .
(٨) مغموصًا بنفاق : "أي مطعونًا عليه في دينه متهمًا بالنفاق" المرجع السابق ٩٤/٨ .
(٩) توجه قافلاً : "أي راجعًا" شرح النووي على صيحح مسلم ٩٠/١٧ .
(١٠) زاح عني الباطل : أي زال عني الباطل . انظر المرجع السابق ٩٠/١٧ .
(١١) تبسم المغضب : تبسم الغضبان . انظر : المرجع السابق ٩٠/١٧ .

بين يديه ، فقال لي : (ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهـرك [١] ؟) فقلت : بلى ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدثتك اليوم حدثتك كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجدُ عليّ فيه ، إني لأرجو فيه عفو الله . والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت عنك !. فقال رسول الله ﷺ : (أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك) . فقمت ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني [٢] ، فقلت لهم : هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت : من هما ؟ فقالوا : مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية . فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدرًا لي فيهما أسوة .. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أي الثلاثة من بين من تخلّف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي الأرض [٣] فما هي بالتي أعرفها ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا [٤] وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم [٥] ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريبًا منه أسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني . وبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي [٦] من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ،

---

(١) ظهرك : أي : اشتريت راحلتك ، و"الظهر : الإبل التي يُحمل عليها وتُركب" النهاية لابن الأثير ٣/١٦٦ . (٢) يؤنبونني : أي يلومونني أشد اللوم وأعنفه . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٨/٩٦ . وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧/٩٢ .

(٣) تنكّرت لي الأرض : "معناه تغير كل شيء حتى الأرض فإنها توحشت عليَّ وصارت كأنها أرض لم أعرفها لتوحشها علي" شرح النووي على صحيح مسلم ١٧/٩٢ .

(٤) فاستكانا : "أي خضعا" المرجع السابق ١٧/٩٢ . (٥) أشب القوم وأجلدهم : أي أصغرهم سنًا وأقواهم" المرجع السابق ١٧/٩٣ . (٦) نبطيّ : من أنباط أهل الشام : أي فلاح من فلاحي أهل الشام ، سُمي بذلك لأنه يستنبط الماء أي : يستخرجه . الجمع : النبط ، والنبيط . وجمع الجمع : الأنباط . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٨/٩٧ . وشرح النووي على صحيح مسلم ١٧/٩٣ . ومختار الصحاح . للرازي / ٦٤٣ .

على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون لـه حتـى إذا جاءني دفـع إلي كتابًا مـن ملك غسان [1] ، فإذا فيه : "أما بعد فإنه قـد بلغـني أن صـاحبك قـد جفـاك [2] ، ولم يجعلك ا لله في دار هوان ولا مضيعة [3] ، فالحق بنـا نواسـك" [4] ، فقلـت لما قرأتهـا وهذا أيضًا من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته [5] بها ، حتى إذا مضت أربعـون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول ا لله ﷺ يأتيني فقال : إن رسول ا لله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتـك ، فقلـت أطلقهـا أم مـاذا أفعـل ؟ قـال : لا بـل اعتزلهـا ولا تقربهـا ، وأرسل إلي صاحبيّ بمثل ذلك . فقلت لامرأتـي الحقي بـأهلك فكوني عندهـم حتـى يقضي ا لله في هذا الأمر .. فلبثت بعد ذلك عشر ليالي حتى كملت لنا خمسـون ليلـة من حين نهى رسول ا لله ﷺ عن كلامنا . فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا . فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر ا لله "قـد ضـاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت" [6] سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع [7] بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجدًا [8] ، وعرفـت أنـه قد جاء فرج ، وأذن رسول ا لله ﷺ بتوبة ا لله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب قِبَل صـاحبي مبشـرون .. ولمـا جاءني الـذي سمعت صوتـه يبشـرني ، نزعـت ثوبـيّ فكسـوته إياهمـا ببشـراه ، وا لله مـا أملـك غيرهمـا يومئـذ واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول ا لله ﷺ ، فتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة . ودخلت المسـجد ، فإذا رسول ا لله ﷺ جـالس حولـه النـاس فقـام إليّ طـلحـة بـن عبيـد ا لله يهرول [9] حتى صافحني وهنأني وا لله ما قام إليّ رجل مـن

---

(١) ملك غسان : "هو جبلة بن الأبهم" فتح الباري . لابن حجر ٩٧/٨ .

(٢) جفاك : أبعدك . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٨٠/١ . (٣) دار هوان ولا مضيعة : (دار هوان) أي دار إهانة واستحقار لك واستخفاف بـك (ولا مضيعـة) يضيـع فيهـا حقـك . انظر : المرجـع السـابق ٢٩٠/٥ . وفتـح البـاري . لابـن حجـر ٢٩٠/٥ . (٤) نواسِـك : "نشاركك فيما عندنا" . شرح النووي على صحيح مسلم ٩٤/١٧ . (٥) فتيممـت بهـا التنور فسجرته : أي قصدت (التنور) وهو ما يخبز فيه (فسجرته) فأوقدته . انظر : فتح الباري . لابن حجـر ٩٧/٨ . (٦) رحبـت : "أي بمـا اتسـعت" شـرح النـووي علـى صحيـح مسـلم ٩٥/١٧ . (٧) أوفى على جبل سلع : صعد وارتفـع علـى جبـل سـلع بالمدينـة .انظـر : المرجع السابق ٩٥/١٧ . (٨) فخررت : سـقطت . انظـر : مختـار الصحـاح . لـلرازي / ١٧٢ . (٩) يهرول : من "الهَرْوَلَة :ضرب من العَدْو وهو ما بـين المشـي والعَدْو" مختار الصحاح . للرازي / ٦٩٥ .

المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ
قال وهو يبرق وجهه من السرور : (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك .
قال : قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : (لا بل من عند الله .
فقلت : يا رسول الله ! إنَّ من توبتي أن انخلع من مالي [1] صدقة إلى الله ورسول .
قال رسول الله ﷺ : (أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك) . فقلت يا رسول
الله إنما نجاني الصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت . وأنزل الله
تعالى على رسوله : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ﴾ [2] لى
قوله : ﴿ وكونوا مع الصادقين ﴾ [3] [4] .

٣- (١٨٩) اذكر ما يدل على أن الصحابة ﷺ جاهدوا بأموالهم في غزوة تبوك ؟ واذكر أهمية الجهاد بالمال ؟ وما الحكم إذا اضطرت الدولة إلى النفقات للجهاد ؟

● **الدليل** : سبق ذكر جهاد الصحابة بأموالهم في النقطة الرابعة من السؤال الأول .

● **أهمية الجهاد بالمال** : إن الجهاد ضد الكفار ليس محصورًا بالخروج للغزو ، ل ولا يكفي منه ذلك وحده . فحيثما توقف أمر الجهاد بالقتال والسلاح على نفقة ومال ، وجب على المسلمين كلهم أن يقدموا من ذلك ما يقع موقعًا من الكفاية ، بشرط أن يكون ذلك بنسبة ما يتفاوتون به من كفاية وغنى .

● **حكم اضطرار الدولة لنفقات الجهاد** : قرر الفقهاء أنه إذا اضطرت الدولة لذلك كان لها أن تفرض على الناس حاجتها من النفقات حسب ما يتفاوتون به من كفاية وغنى ، بشرط أن لا يكون في أموال الدولة ما يوضع في نفقاتٍ كَمَالِيَّةٍ أو غير مشروعة . إذ أن أموال الناس ليست أولى من أموال الدولة بأن تصرف إلى حاجات الجند والقتال .

---

(١) انخلع من مالي : "اي أخرج من جميع مالي" فتح الباري . لابن حجر ٨/١٠٠ .

(٢) التوبة . من الآية / ١١٧ . (٣) التوبة . من الآية / ١١٩ .

(٤) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المغازي) ب (غزوة تبوك) ٨/٩٢ وما بعدها . وصحيح مسلم . ك ٤٩ (التوبة) ب ٩ (حديث توبة كعب بن مالك) ٤/٢١٢٠ وما بعدها (٧٦٩) .

٤- (١٩٠) اذكر ما بذله عثمان في غزوة تبوك وما قاله النبي ﷺ في حقه ؟ وما دلالة ذلك ؟

• **ما بذله عثمان :** جاء عثمان ؓ بثلاثمائة بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها ، وبألف دينار ، نثرها في حجر النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (**لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم**) .

• **الدلالة :** يدل ذلك على الآتي :

١- أن عثمان ؓ كان من السبَّاقين إلى الإنفاق على الجهاد في سبيل الله ، وبسخاءٍ منقطع النظير ، ولم يكن هذا في غزوة تبوك فقط ، وإنما كان هذا ديدنه ، ومن ذلك أوقف بئرًا في سبيل الله ، وأنفق كل إبله التجارية عام الرمادة في سبيل الله .

٢- قوله الرسول ﷺ : (**لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم**) ، فيه بيان لفضل عثمان ، ولمكانته وكرامته عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ .

٣- في قول النبي ﷺ : (**لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم**) ، زجرٌ وتأديب للمتطاولين بألسنتهم ، المتشدقين بالنقد على سياسة عثمان ؓ أيام خلافته ، المتهمين له بالضعف والتحيز . وهم بذلك يقتفون المستشرقين الذين لا هم لهم إلا تشويه التاريخ التاريخ الإسلامي بالكذب والتضليل .

ثم إن هؤلاء النقاد كان الأجدر بهم أن ينقدوا أنفسهم ، وأن يعالجوا أمراضهم بدراسة شيء من مناقب هذا الخليفة العظيم والاهتداء بسيرته وسلوكه .

ونقول لهم ناصحين : مهما يكن من شأن عثمان في خلافته ، فأي بقية من الأدب توجد عند من يسمع كلام رسول الله ﷺ : (**لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم**) ، ثم يمضي بعد ذلك في غيِّه منتشيًا بنقده وتسفيه سياسته ؟! .

٥- (١٩١) اذكر ما بذله أبو بكر الصديق في غزوة تبوك وما قاله النبي ﷺ له ؟ واذكر ما اختلقه البعض من زيادة فيه ؟ وما الحُكم الذي استنبطوه من زيادتهم ؟ وما رأيك في حكمهم بالأدلة ؟

● **ما بذله أبو بكر** : أتى أبو بكر ﷺ بكل مـا عنده ، فقال ﷺ : (**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك ؟**) فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

● **الزيادة المختلقة** : أن البعض زاد على الحديث السابق : أن النبي ﷺ قال له : (يا أبا بكر إن الله راضٍ عنك فهل أنت راضٍ عنـه ؟) فاستفزه السرور والوجد ، وقام يرقص أمام رسول الله ﷺ قائلاً : كيف لا أرضى عن الله ؟! .

● **الحكم المستنبط** : استدلوا بهذه الزيادة المختلقة على مشروعية الرقص والدوران في حِلَق الذكر ، على نحو ما يفعل (المولوية) وطوائف أخرى من المتصوفة .

● **رأيي** : هذا الحكم بدعة وباطل للأدلة التالية :

١- إن هذه الزيادة التي استدلوا بها لم تثبت في حديث صحيح ولا في حديث ضعيف ، ومن المعلوم أنه لا يجوز الاستدلال بدليل غير ثابت .

٢- إن هذا الحكم لم يرد في آية قرآنية واحدة ، ولا في حديث نبوي واحد ، ومن المعلوم أن الذكر ومظاهره عبادة ؛ والعبادة هي ما شرعه الله تعالى في كتابه ، أو سنة رسوله ، لا يُزاد عليها ولا يُنقص منها ؟! .

٣- قال رسول الله ﷺ : (**خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**) [1] ، ولم يكن واحد من هؤلاء الذين يقتدى بهم يفعل شيئًا من ذلك .

٤- قال رسول الله ﷺ : (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) [2] قال النووي - رحمه الله تعالى - : "قال أهل العربية : الرد هنا بمعنى المردود ، ومعناه : فهو باطل غير معتد به ، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام ، وهومن جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات" [3] .

وقد ذهب الجمهور إلى أن الرقص مع التثني محرم ، وبدون تثني مكروه ، وإدخال الرقص في ذكر الله تعالى إقحام للمحرم أو المكروه في عبادة مشروعة .

---

(١) صحيح مسلم . ك ٤٤ (فضائل الصحابة ...) ب ٥٢ (فضل الصحابة ...) ١٩٦٣/٤ (٢٥٣٣) .
(٢) صحيح مسلم . ك ٣٠ (الأقضية) ب ٨ (نقض الأحكام الباطلة ..) ١٣٤٣/٣ (١٧١٨) .
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١٢ .

وأما التفوه بأصوات غير مفهومة كحمحمات وهمهمات وكلمات منقوصة غير كاملة ، فهو ليس من الذكر في شيء .

ولا يُستثنى من إثم هذه البدعة إلا ذاكرٌ أصابته حالةٌ أخرجته عن طوره وشعوره ، فهذا معذور لأن الحكم التكليفي لا يتعلق به أثناء حالته تلك . وهذا أمر نادر الوقوع .

٦- (١٩٢) من خلال دراستك لغزوة تبوك . اذكر بالأدلة صفات المنافقين وجرائمهم ؟ وبيِّن مدى خطورتهم على الإسلام ؟ وما العظة المستفادة من ذلك ؟

● **صفاتهم وجرائمهم بالأدلة :**

١- المنافقون يكرهون الجهاد بالنفس والمال ويفرحون بالتخلف عن ذلك ، لقوله تعالى : ﴿ **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** ﴾ [١] . ويدل على ذلك أيضًا أن عبد الله بن أبي سلول عسكر في ضاحية بالمدينة مع فئات من أصحابه وحلفائه ، فلما سار النبي ﷺ ، تخلف بكل من معه ! .

٢- المنافقون يثبطون عن الجهاد في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ **وقالوا لا تنفروا في الحر** ﴾ [٢] .

٣- إذا خرجوا مع المجاهدين عملوا على تخذيلهم وإلقاء العداوة بينهم . قال تعالى : ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً** [٣] **ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة** [٤] ﴾ [٥] .

٤- المنافقون يعتذرون عن الجهاد بالكذب والباطل . قال تعالى : ﴿ **ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ [٦] .

---

(١) التوبة . من الآية / ٨١ . (٢) التوبة . من الآية / ٨١ .

(٣) خبالاً : "فسادًا بتخذيل المؤمنين" تفسير الجلالين . للمحلي والسيوطي / ٢٥٦ .

(٤) "أي أسرعوا بالمشي بينكم بالنميمة ... يطلبون لكم (الفتنة) بإلقاء العداوة . المرجع السابق / ٢٥٦ . (٥) التوبة / ٤٧ . (٦) التوبة / ٤٩ .

نزلت هذه الآية في الجد بن قيس ، حيث قال للنبي ﷺ : ائذن لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشد عجبًا بالنساء مني ، وإني خشيت إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر فأعرض عنه رسول الله ﷺ وأذن له فيما أراد . ويدل على ذلك أيضًا اعتذار المخلفين بالكذب للنبي ﷺ بعد رجوعه من الغزوة .

● **مدى خطورتهم على الإسلام :**

إن المنافقين يشكلون خطرًا داهمًا على الإسلام وعلى المسلمين ، لأنهم لا يُؤتون في معظم نكباتهم إلا من قبلهم ، فلا يتسنى لعدوهم أن يتسلل إليهم إلا من خلال ثغرات النفاق والمنافقين ، ولا ينخدع المسلمون بعدوّ لهم كما ينخدعون بالمنافقين منهم ، ولا يصابون بعدوى الضعف والخبال والتفرق كما يصابون به من قبل المنافقين .

ومكمن الخطورة فيهم ، أنهم إنما يحاربون الإسلام باسمه ، ويكيدون له بسلاحه ، ويتلاعبون بما فيه من أحكام باسم الإصلاح والمرونة والتمسك بروح التشريع ويستخرجون منه الفتاوى الملفقة المصطنعة تحقيقًا لأمانيهم أو تقربًا إلى أسيادهم وأولياء نعمتهم .

● **العظة المستفادة :** والعظة التي ينبغي أن يأخذها المسلمون من هذا الدرس ، هو أن يحذروا عدوهم الخارجي مرة على أن يحذروا المنافقين فيهم ألف مرة ، وأن يحاربوا أول ما يحاربون ماقد يشيع بينهم من النفاق .

٧- (١٩٣) اذكر ما يدل على أن أهل الكتاب دفعوا الجزية للنبي ﷺ في غزوة تبوك ؟ وما دلالة ذلك ؟ وما مقصد الجزية وما الفرق بينها وبين الزكاة ؟ وماذا يترتب على الخاضعين للجزية ؟ وما الفرق بين الكتابيين وغيرهم في الجزية ؟

● **الدليل :** أن المسلمين لما انتهوا إلى تبوك ، لم يجدوا هناك كيدًا ولا قتالاً ، قد اختفى وتفرق أولئك الذين كانوا قد تجمعوا للقتال . ثم أتاه يوحنه حاكم (أيلة) فصالح رسول الله ﷺ على الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوه أيضًا الجزية ، وكتب رسول الله ﷺ بذلك لهم كتابًا .

● **الدلالة :** يدل ذلك على مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب .

• **والجزية** : ضريبة مالية تقوم بالنسبة لأهل الكتاب مقام الزكاة بالنسبة للمسلمين ، **والفرق** : الذي بينها وبين الزكاة أن الجزية تقوم على أساس قضائي مجرد على حين تقوم مشروعية الزكاة على أساس من الديانة والقضاء معًا .

• **مترتبات الجزية** : ويعتبر الخاضعون لحكم الجزية داخلين في حكم الإسلام القضائي في المجتمع الإسلامي وإن لم يدينوا به عقيدة في نفوسهم . ولذلك فإن عليهم أن لا يجاهروا في مخالفة شيء من قوانينه وأحكامه العامة إلا ما يتدينون من ذلك بخلافه في زعمهم كشرب الخمر ونحوه .

• **والفرق** : بين الكتابيين وغيرهم من الملاحدة والوثنيين ، في أمر الجزية ، هو أن الكتابيين يمكنهم أن ينسجموا مع المجتمع الإسلامي ونظامه العام مع احتفاظهم بما يدينون . أما الملاحدة والوثنيون وأشباههم فلن تجد بينهم وبين المجتمع الإسلامي قدرًا مشتركًا يضمن الانسجام ، إذ لا يمكن لفكرة الإلحاد والوثنية أن تلتقي مع الحكم والنظام الإسلامي في أي فرع من الفروع لقيام التناكر والتخالف بينهم في أعمق الأسس والجذور .

٨- (١٩٤) اذكر ما قاله النبي ﷺ لأصحابه عندما مرَّ الجيش بالحِجر (ديار ثمود) في غزوة تبوك ؟ وما هي الدلالة المستفادة من قوله ﷺ ؟

• لما مرَّ الجيش مع النبي ﷺ بالحِجر قال لأصحابه : (**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي**) .

• يدلنا ما ذكره رسول الله ﷺ عندما مرّ بمنازل ثمود أنه يكره للمسلم أن يدخل ديار الأمم الخالية ممن أهلكهم الله بكفرهم أو أن يمر على شيء من آثارهم . إلا وهو معتبر بحالهم يتأمل في مآلهم يسأل الله تعالى العافية والرحمة له وللمسلمين ، إذ هي منازل شهدت مظهرًا من غضب الله تعالى . وسجلت على أطلالها آثار من ذلك الغضب ، فهي باقية عليها مع الدهر ، ولا ريب أن الله عز وجل إنما ترك هذه الآثار في الأرض لتكون عبرة لأولي البصيرة والألباب . كما أوضح ذلك في

كثير من آياته ، فمن الخطأ الكبير أن يمر الإنسان عليها ساهيًا لاهيًا ، لا يعبأ منها بغير مظهر الشكل أو البناء النقوش .

٩- (١٩٥) لماذا اختار النبي ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك مع المنافقين المتخلفين سياسة اللين والصفح ، واختار للمسلمين الصادقين المتخلفين سياسة الشدة والعقوبة ؟

الجواب : أن الشدة والقسوة في هذا المقام مظهر للإكرام والتشريف ، وهو ما لا يستأهله المنافقون أن تنزل آيات في توبتهم وعفو الله عنهم ؟! .

ثم إن المنافقين محكموم عليهم - على أي حال - أنهم كفرة ، ولن ينشلهم شيء مما يتظاهرون به في الدنيا ، من الدرك الأسفل في النار يوم القيامة ، وقد أمر الشارع جل جلاله أن ندعهم لما تظاهروا به ونجري الحكام الدنيوية حسب ظواهرهم ، ففيم التحقيق عن بواطن أعذارهم وحقيقة أقوالهم ، وفيم معاقبتهم في الدينا على ما قد يصدر عنهم من كذب ونحن إنما نعطيهم الظاهر فقط من المعاملة والأحكام ، كما يُبدون لنا هم أيضًا . الظاهر فقط من أحوالهم ، وعقائدهم .

قال ابن القيم : وهكذا يفعل الرب سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم ، فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده ، بأدنى زلة وهفوة ، فلا يزال مستيقظًا حذرًا ، وأما من سقط من عين الله وهان عليه فإنه يخلي بينه وبين معاصيه ، وكلما أحدث ذنبًا أحدث له نعمة [١] .

١٠- (١٩٦) اذكر الأدلة العبر والدلالات الهامة المستنبطة من حديث كعب الطويل ؟

١- مشروعية الهجر لسبب ديني ، بدليل نهي النبي ﷺ المسلمين عن مكالمة كعب وصاحبيه تلك المدة .

---

(١) انظر : زاد المعاد . لابن القيم ٣/٢٠ .

٢- إن رد السلام على المهجور ليس بواجب ، بدليل أن كعب كان يرد السلام على النبي ﷺ فلا يراه حرك شفتيه برد السلام ، فلو كان رد السلام واجبًا لكان لابد من إسماعه [1] .

٣- إن على المسلم المُطبَق عليه الحكم الشرعي لمخالفة ارتكبها ، أن لا يستجيب لعروض الكفار الذين ينتهزون مثل هذه الفرص لإغرائه وإغوائه ، بدليل أن كعب ابتُلي في ذلك بلاءً شديدًا ، حيث أرسل إليه ملك غسان معظمًا ومبجلاً يدعوه إلى ترك هؤلاء الذين آذوه وأعرضوا عنه ، واللحاق ببلاده ليجد عنده الإكرام والسعادة ، إلا أنه رفض وأبى وآثر الله ورسوله ﷺ على ذلك .

٤- مشروعية سجود الشكر ، بدليل سجود كعب حينما سمع صوت المبشر بتوبة الله عليه ، وقد سجد ﷺ حينما بشره جبريل أن من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرة . وسجد أبو بكر لما بلغه مقتل مسليمة ، وسجد عليّ بن أبي طالب لما وجد ذا الثدية مقتولاً في الخوارج [2] .

٥- ذهب الحنفية ، ما عدا زفر ، إلى أن الرجل إذا نذر ماله كله صدقة على المساكين ، لم يلزمه التصدق إلا بالأموال الزكوية فقط ، ولهم أدلة على ذلك ، لعل من جملتها ما أجاب به الرسول ﷺ كعبًا حينما قال له : إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة لله ورسوله ، فقد قال له : (**أمسك عليك بعض مالك**) .

والذين ذهبوا إلى أن كلّ ماله يصبح صدقة إذا نذره كله ، قالوا : إن قول كعب لرسول الله ﷺ ليس في حقيته إنشاء لصيغة نذر ، ولكنه استشارة له عليه الصلاة والسلام ، فأخبره ﷺ أن بعض ذلك يجزيه [3] ، ولعل هذا هو الأقرب في فهم سياق كلام كعب ﷺ وجواب النبي ﷺ له .

---

(١) انظر : زاد المعاد . لابن القيم ٣/٢٠ . (٢) انظر : زاد المعاد . لابن القيم ٣/٢٢ .

(٣) راجع المبسوط . للسرخسي ١/٩٣ . وزاد المعاد . لابن القيم ٣/٢٣ . وضوابط المصلحة . للبوطي / ٢٤٤ .

١١- (١٩٧) اذكر بإيجاز أهم العبر والدروس والأحكام المستفادة من غزوة تبوك ؟

١- يجب على المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم إذا توقف أمر الجهاد بالقتال والسلاح على نفقات المال .

٢- إذا اضطرت الدولة لنفقات الجهاد جاز لها أن تفرض على الناس حاجتها حسب قدراتهم .

٣- قول النبي ﷺ : (**لا يضر عثمان ما فعل بعد اليوم**) يدل على فضله ﷺ .

٤- إن المنافقين من أخطر الفرق على الإسلام والمسلمين ، فهم العدو الشرس في ثوب الصديق المخلص .

٥- من صفات المنافقين : الكذب ، والجبن ، وكره الجهاد ، وتخذيل المؤمنين وتثبيطهم والإيقاع بينهم ... إلخ .

٦- الجزية مشروعة ، وتؤخذ من أهل الكتاب فقط مقابل حمايتهم وأمنهم .

٧- على المسلم أن لا يمر في ديار الظالمين الهالكين الغابرين ، وإن اضطر فمسرع وباكي .

[ويُضاف إلى ذلك ما ذكر في إجابة السؤال السابق ولكن بدون أدلة]

٤- شكوى الرسول ﷺ ولحاقُه بالرفيق الأعلى

١- (١٩٨) بيِّن بالأدلة ما تعرفه عن شكوى رسول ا لله ﷺ ؟

٢- (...) وضِّح بالأدلة ابتداء شكواه ﷺ واستغفاره لأهل البقيع ؟ وابتداء وجعه ونفث عائشة عليه ؟ وتمريضه في بيتها ؟ وإشادته بأبي بكر وهمه بالكتابة له ؟ وأمره بأن يصلي بالناس ؟ووعكه الشديد ؟

● ابتداء شكواه ﷺ واستغفاره لأهل البقيع :

كان ابتداء شكواه ما رواه ابن إسحاق وابن سعد عن أبي مويهبة مولى رسول ا لله ﷺ ، قال : بعثني رسول ا لله ﷺ من جوف الليل ، فقال : يأ أبا مويهبة ، قد أمرت أن أستغفر ا لله لأهل هذا البقيع [١] ، فانطلق معي . فانطلقت معه ، فلما وقفنا عليهم قال : (السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليَهْنَ [٢] لكم ما أصبحتم فيما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن مثل قطع الليل المظلم يتبع آخرها أولاها ، الآخرة شرّ من الأولى) . ثم أقبل عليَّ فقال : (إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، فخُيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة) . فقلت : بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا وتخلَّد فيها ، ثم الجنة . قال : (لا وا لله أبا مويهبة ، قد اخترت لقاء ربي والجنة) . ثم استغفر لأهل البقيع ثم انصرف فابتدأ رسول ا لله ﷺ وجعه الذي قبض فيه [٣] .

● أول وجع النبي ﷺ :

وكان أول وجعه ﷺ صداعًا شديدًا يجده في رأسه ، فقد روي عن عائشة رضي ا لله عنها أنه ﷺ لما رجع من البقيع استقبلته وهي تقول : وارأساه ، فقال لها ﷺ : (بل أنا وا لله يا عائشة وارأساه) [٤] ، ثم ثقل عليه الوجع فكان حمى شديدة

---

(١) أهل البقيع : أموات مقبرة البقيع بالمدينة . انظر : النهاية . لابن الأثير ١٤٦/١ .

(٢) ليَهْن : "التهنئة : خلاف التعزية" المرجع السابق ٢٧٧/٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ١٥٠٠/٤ . وطبقات ابن سعد ، وروى نحوه أبو داود والنسائي وابن ماجة .

(٤) سيرة ابن هشام ١٥٠٠/٤ . وصحيح البخاري . ك (المرض) ب (ما رخص للمريض أن يقول إني وجع ...) ١٠١/١٠ ، ١٠٢ . وطبقات ابن سعد ومسند أحمد بنحوه .

تنتابه . وكان بدء ذلك في أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة وكان
عائشة ترقيه ﷺ خلال ذلك بمعوذات [1] من القرآن .

روى البخاري ومسلم عن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث [2] على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده ، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه ، طفقت أنفث [3] على نفسه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ عنه [4] .

● النبي ﷺ يمرض في بيت عائشة :

وشعرت نساؤه ﷺ برغبته في أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها ، لما يعلمن من محبته لها وارتياحه إليها ، فأذِنَّ له في ذلك ، فخرج إلى بيتها من عند ميمونة يتوكأ على الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

وفي بيت عائشة رضي الله عنها اشتد به وجعه ، وكان قد شعر بقلق أصحابه وحزنهم عليه ، فقال : (اهريقوا [5] عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن [6]) لعلِّي أعهد إلى الناس [7] . قالت عائشة رضي الله عنها ، فأجلسناه في مخضب [8] ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتُنّ .

● النبي ﷺ يشيد بأبي بكر ويهم بكتابة كتابًا له :

ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم ، خرج ﷺ عاصبًا رأسه [9]

---

(1) ترقيه بمعوذات : تعيذه بمعوذات وهن : سورة الفلق والناس والإخلاص . انظر : فتح الباري . لابن حجر ١٥٩/١٠ . (2) نفث : "من النفث بالفم ، وهو شبيه بالنَّفخ ، وهو أقل من التَّفْل ، لأن التَّفل لا يكون إلا ومعه شيء من الريق" النهاية . لابن الأثير ٨٨/٥ .
(3) طفقت أنفث : أخذت وجعلت أنفث . (4) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الطب) ب (الرقي بالقرآن والمعوذات) ١٦١/١٠ ، ١٦٢ . وصحيح مسلم . ك (٣٩) . ك (السلام) ب ٢٠ (رقية المريض بالمعوذات والنفث) ١٧٢٣/٤ (٢١٩٢) . (5) أهريقوا : أريقوا . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٦٠/٥ . (6) لم تحلل أوكيتهن : أي لم تفكك خيوطهن ، والمفرد الوكاء : الخيط الذي يُشدّ به . انظر : المرجع السابق ٢٢٢/٥ . (7) أعهد إلى الناس : أي أخرج إليهم أكلمهم . (8) مَخْضَب : "هي إجانةٌ تغسل فيها الثياب" النهاية . لابن الأثير ٣٩/٢ . (9) عاصبًا رأسه : من العَصْبٌ : الطيُّ والليُّ والشد ، ويكون بعمامة أو منديل أو خرقة . انظر : المرجع السابق ٢٤٤/٤ . والقاموس المحيط . للفيروز أبادي ١٠٥/١ .

فجلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم ثم قال :

(عبدٌ خيره ا لله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عنده) ، فبكى أبو بكر ﷺ وناداه قائلاً : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فقال ﷺ : (على رسلك [1] يا أبا بكر ، أيها الناس إن آمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام . لا تبقين في المسجد خوخة [2] إلا خوخة أبي بكر [3] ، وإني فرط لكم [4] ، وأنا شهيد عليكم وإني وا لله ما أخاف أن تشركوا من بعدي ، ولكني أخشى عليكم الدينا أن تنافسوا فيها) [5] .

وعاد رسول ا لله ﷺ إلى بيته ، وما هو إلا أن اشتد به وجعه ، وثقل عليه مرضه .

روت عائشة رضي ا لله عنها قالت : قال لي رسول ا لله ﷺ في مرضه : (ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك ، حتى أكتب كتابًا ، فإني أخاف أن يتمنّى متمن ويقول قائل : أنا أولى ويأبى ا لله والمؤمنون إلا أبا بكر) [6] ، وروى ابن عباس ﷺ قال : لما اشتد برسول ا لله ﷺ المرض ، قال لرجال كانوا في البيت : (هلموا [7] أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده) ، فقال بعضهم : إن رسول ا لله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب ا لله . فاختلف أهل البيت واختصموا . فمنهم من يقول قرّبوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده ، ومنهم من

---

(١) على رسلك : أي اثبت ولا تعجل . النهاية . لابن الأثير ٢/٢٢٣ .

(٢) خوخة : "الخوخة : باب صغير كالنافذة الكبيرة ، وتكون بين بيتين ينصب عليهما باب" النهاية . لابن الأثير ٢/٨٦ .

(٣) صحيح مسلم . ك ٤٤ (فضائل الصحابة) ب (من فضائل أبي بكر ...) ٤/١٨٥٤ (٢٣٨٢) . وصحيح البخاري مع الفتح . ب (قول النبي ﷺ سدو الأبواب إلا باب أبي بكر ...) ٩/١٠ - ١١ .

(٤) إني فرط لكم : أي إني متقدّم وسابق لكم سواء على الحوض أو الشفاعة . انظر : النهاية . لابن الأثير ٣/٢٣٤ . (٥) متفق عليه

(٦) صحيح مسلم . ك ٤٤ (فضائل الصحابة) ب (من فضائل أبي بكر ...) ٤/١٨٥٧ (٢٣٨٧) . وروى البخاري نحوه .

(٧) هلمُّوا : تعالوا . انظر : النهاية . لابن الأثير ٥/٢٧٢ .

يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول ا لله ﷺ : (قوموا)[1]

● النبي ﷺ يأمر بتقديم أبا بكر للصلاة في الناس :

ولم يعد رسول ا لله ﷺ يطيق الخروج إلى الصلاة مع الناس ، فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) ، فقالت عائشة رضي ا لله عنها : يا رسول ا لله ، إن أبا بكر رجل أسيف[2] وإنه إذا قام مقامك لم يكد يُسمع الناس ، فقال : (إنكن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس)[3] .

فكان أبو بكر هو الذي يصلي بالناس بعد ذلك ، وخرج النبي ﷺ خلال ذلك مرة - وقد شعر بخفة - فأتى فوجد أبا بكر وهو قائم يصلي بالناس ، فاستأخر أبو بكر ، فأشار إليه رسول ا لله ﷺ أن كما أنت ، فجلس رسول ا لله ﷺ إلى جنب أبي بكر ، فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول ا لله ﷺ وهو جالس ، وكان الناس يصلون بصلاة أبي بكر[4] .

واستبشر الناس خيرًا بخروجه ﷺ إذ ذاك ، ولكن البرحاء[5] اشتدت عليه ، وكان ذاك آخر مرة خرج يصلي فيها مع الناس .

● النبي ﷺ يوعك وعكًا شديدًا :

روى ابن مسعود ﷺ قال : دخلت على رسول ا لله ﷺ وهو يوعك[6] ، فمسسته بيدي ، فقلت : يا رسول ا لله ، إنك لتوعك وعكًا شديدًا ، فقال ﷺ : (أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم) قال فقلت : ذلك أن لك أجرين .. فقال رسول ا لله ﷺ : (أجل ، ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط ا لله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)[7] .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المرض) ب (قول المريض قوموا عنّي) ١٠٣/١٠ .

(٢) أسيف : "أي سريع البكاء والحزن . وقيل : هو الرقيق" النهاية . لابن الأثير ٤٨/١ .

(٣) صحيح مسلم . ك ٤ (الصلاة) ب ٢١ (استخلاف الإمام إذا عرض له عذر . .) ٣١٣/١ (٤١٨) . وصحيح البخاري . (٤) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الصلاة) ب (من أقام إلى جنب الإمام لعلة) ١٣٢/٢ . وصحيح مسلم . ك ٤ (الصلاة) ب ٢ (استخلاف الإمام إذا عُرض له عذر ...) ٣١٢/١ (٤١٨) . (٥) البرحاء : شدة الكرب . انظر : النهاية . لابن الأثير ١١٣/١ . (٦) يوعك : من الوعك وهو : الحمى . انظر : فتح الباري . لابن حجر ٩١/١٠ . (٧) صحيح البخاري مع الفتح . ك (المرض) ب (وضع اليد على المريض) ٩٨/١٠ ، ٩٩ . وصحيح مسلم (واللفظ له) . ك ٤٥ (البر والصلة والاداب) ب ١٤ (ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ...) ١٩٩١/٤ (٢٥٧١) .

كان ﷺ أثناء ذلك يطرح خميصة [1] له على وجهه ، فإذا اغتم [2] وضايقه الألم كشفها عن وجهه فقال : (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [3] . كأنه ﷺ يحذر المسلمين من أن يصنعوا صنيعهم به .

٣- (١٩٩) بيِّن بالأدلة ما تعرفه عن نظرة وداع النبي ﷺ لأصحابه ؟ وسكرات موته ﷺ ووفاته ؟ وموقف الصحابة من موته ﷺ ؟ وتاريخه وعمره ﷺ وما تركه ؟

● نظرة وداع النبي ﷺ لأصحابه :

دخل فجر يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة ، وبينما الناس في المسجد يصلون خلف أبي بكر ﷺ ، إذا بالستر المضروب على حجرة عائشة قد كشف ، وبرز رسول الله ﷺ من ورائه ، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم يضحك ، فنكص أبو بكر على عقبه [4] ليصل الصف ، فقد ظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده ﷺ أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر [5] .

وانصرف الناس من صلاتهم ، وهم يحسبون أن النبي ﷺ قد نشط من مرضه . ولكن تبين أنها كانت نظرة وداع منه ﷺ إلى أصحابه .

● سكرة الموت ووفاة النبي ﷺ :

فقد عاد عليه الصلاة والسلام فاضطجع [6] إلى حجر عائشة رضي الله عنها ، وأسندت رضي الله عنها رأسه إلى صدرها ، وجعلت تتغشاه سكرة

---

(١) خميصة : هي ثوب خز أو صوف مُعلم ، كانت من لباس الناس قديمًا ، جمعها: خمائص . انظر : النهاية . لابن الأثير ٨١/٢ . (٢) فإذا اغتم كشفها : "أي إذا احتبس نفسَه عن الخروج ، [كشفها] وهو من الغَمّ : التغطية والسَّتْر" المرجع السابق ٣٨٨/٣ .

(٣) صحيح مسلم . ك ٥ (المساجد ومواضع الصلاة) ب ٣ (النهي عن بناء المساجد على القبور ...) ٣٧٧/١ (٥٣١) . وصحيح البخاري . (٤) فنكص أبو بكر على عقبه : أي رجع إلى الوراء ، والعَقِب : مُؤَخَّر القدم وجمعه أعقاب . النهاية . لابن الأثير ١١٦/٥ . ومختار الصحاح . للرازي / ٤٤٣ . (٥) رواه البخاري ومسلم .

(٦) فاضطجع : فنام . انظر : النهاية . لابن الأثير ٧٤/٣ .

الموت [1] ، قالت : وكان بين يديه ركوة [2] فيها ماء فجعل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) [3] ، وكانت فاطمة رضي الله عنها إذا رأت منه ذلك قالت : واكرب أباه [4] . فيقول لها عليه الصلاة والسلام : (ليس على أبيك كرب بعد هذا اليوم) [5] .

قالت عائشة رضي الله عنها : إن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، فقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمره ، وبين يديه ركوة فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح وجهه ويقول : (لا إله إلا الله إن للموت سكرات) . ثم نصب يده فجعل يقول : (في الرفيق الأعلى) ، حتى قبض ، ومالت يده [6] .

● موقف الصحابة من موت النبي ﷺ :

وانتشر خبر وفاته ﷺ في الناس ، وأقبل أبو بكر ﷺ على فرس من مسكنه في السُنح [7] ، حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة [8] ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله . وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها [9] ، ثم خرج ﷺ ،

---

(١) سكرة الموت : "شدّته" مختار الصحاح . للرازي / ٣٠٦ .

(٢) ركوة : "الركوة : إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء ، والجمع : رِكاء" النهاية . لابن الأثير ٢٦١/٢ . (٣) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الرقاق ...) ب (سكرات الموت) ٣٠٤/١١ . (٤) واكرب أباه : من الكَرْب : الغمّ ، تقول كربه الغمُّ أي اشتد عليه . مختار الصحاح . للرازي / ٥٦٦ . (٥) رواه البخاري . (٦) صحيح البخاري مع الفتح . ك (الرقاق ...) ب (سكرات الموت) ٣٠٤/١١ . وصحيح مسلم .

(٧) السُّنح : "منازل بني الحرث من الخزرج بالعوالي وبينه وبين المسجد النبوي ميل" فتح الباري . لابن حجر ٢١/٧ .

(٨) مغشى بثوب حبره : مغطى ببردة موشية مخططة . انظر : النهاية . لابن الأثير ٢٨/١ .

(٩) صحيح البخاري مع الفتح . ك (قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ...) ب (حدثنا الحميدي ...) ٢١/٧ .

وعمر يكلم الناس أن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران وأنه ﷺ لا يموت حتى يفني الله المنافقين ! فأقبل أبو بكر يقول له : على رسلك يا عمر ، أنصت ، ولكنه استمر في كلامه مهتاجًا ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس فأقبلوا إليه وتركوا عمر ، فقال أبو بكر : أما بعد أيها الناس ، من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل [1] أفإن مات أو قُتل انقلبتم [2] على أعقابكم ﴾ [3] . فكأن الناس لم يعلموا أن الله نزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما سمعها بشر من الناس إلا وأخذ يتلوها . قال عمر ﷺ : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فَعُقِرْت ما تُقِلُّني رجلاي [4] وحتى أهويت [5] إلى الأرض حين سمعته تلاها وعلمت أن النبي ﷺ قد مات [6] .

● وقد أجمع الرواة وأهل العلم أنه ﷺ توفي عن ثلاثة وستين عامًا من العمر ، قضى أربعين منها قبل البعثة ، وثلاثة عشر عامًا يدعو إلى الله في مكة وعشر سنين قضاها في المدينة بعد الهجرة . وكانت وفاته في أول العام الحادي عشر .

وروى البخاري عن عمرو بن الحرث ، قال : ما ترك رسول الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمة [7] ، إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه ، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقة .

٤- (٢٠٠) ما معنى الرقية ؟ وما حكمها بالأدلة ؟ وما الفرق بينها وبين الدعاء ؟ وما شروطها ؟ وهل يجوز أخذ الأجر عليها ؟

● **الرقية :** هي التعويذ ، أي إعاذة المريض بالله بواسطة آيات قرآنية أو أدعية وأذكار معينة مما وقع به من سوء .

---

(١) خلت من قبله الرسل : أي سيخلوا ﷺ كما خلوا . انظر : فتح القدير . للشوكاني ٣٨٥/١ . (٢) انقلبتم : "رجعتم" تفسير الجلالين . للمحلى والسيوطي / ٩١ .
(٣) آل عمران . من الآية / ١٤٤ . (٤) ما تُقلني رجلاي : ما تحملني رجلاي .
(٥) أهويت : سقطت . (٦) سيرة ابن هشام ١٥١٣/٤ ، ١٥١٤ . وصحيح البخاري مع الفتح . ب (قول النبي ﷺ لو كنت متخذًا خليلاً ..) ب (حدثنا الحميدي ...) ٢١/٧ .
(٧) أمة : الأمة : المرأة المملوكة .

- **الرقية جائزة ومشروعة بالإجماع للأدلة الآتية :**

١- روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال : (**أذهب البأس ربَّ الناس . واشف أنت الشافي . لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاءً لا يغادر سَقَمًا**) [١] .

٢- روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفُث . فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء بركتها [٢] .

٣- **قوله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ﴾** [٣] .

- **الفرق بين الرقية والدعاء :** أن الرقية تزيد على الدعاء المسح باليد والنفث بالفم .

- **شروط الرقية المشروعة :**

نقل النووي والحافظ ابن حجر وغيرهما الإجماع على مشروعية الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وأن يكون باللسان العربي أو بما يُعرف معناه من غيره . وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها . بل بذات الله تعالى [٤] .

وقد دلت على هذه الشروط أحاديث صحيحة مثل ما رواه مسلم عن عوف ابن مالك الأشجعي قال : كنا نرقي في الجاهلية . فقلنا : يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال : (**اعرضوا علي رقاكم ، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**) [٥] .

- **حكم أخذ الأجرة على الرقية :**

ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور إلى جواز أخذ

---

(١) صحيح مسلم . ك ٣٩ (السلام) ب ١٩ (استحباب رقية المريض) ٤/١٧٢٢ (١٩١) .

(٢) سبق تخريجه ص / . (٣) الإسراء / ٨٢ .

(٤) راجع النووي على مسلم ١٤/١٦٩ . وفتح الباري . لابن حجر ١٠/١٦٠ .

(٥) صحيح مسلم . ك ٣٩ (السلام) ب ١٩ (استحباب رقية المريض) ٤/١٧٢٢ (١٩١) .

الأجرة على الرقية [1] بدليل ما رواه البخاري ومسلم : أن ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر ، فمروا بحي من أحياء العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم . فقالوا لهم : هل فيكم راقٍ ، فإن سيد الحي لديغ أو مصاب . فقال رجل منهم : نعم . فأتاه فرقاه بفاتحة الكتاب . فشُفي الرجل فأعطي قطيعًا من غنم فأبى أن يقبلها ، وقال : حتى أذكر ذلك للنبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال : يا رسول الله ، والله ما رقيت إلا بفاتحة الكتاب . فتبسم وقال : **(وما أدراك أنها رقية ؟)** ثم قال : **(خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم)** [2] .

٥- (٢٠١) هل السحر له حقيقة وما الأدلة ؟

ذكر العلماء أن جمهور المسلمين على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة ، للأدلة الآتية :

١- قوله تعالى : **﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾** [3] . فكونه يُتعلم يدل أن له حقيقة ما ، وكونه يُفرق به بين المرء وزوجه يدل أنه حقيقة وإلا لما كان له هذا التأثير .

٢- روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله . حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي . لكنه دعا ودعا . ثم قال : **(يا عائشة أشعرت أن ا لله أفتاني فيما استفتيته فيه . أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب (أي مسحور) قال : من طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم . قال : في أي شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة [4] وجف طلع نخل ذكر [5]**

---

(١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ١١٨/١٤ . (٢) صحيح مسلم . ك ٣٩ (السلام) ب ٢٣ (جواز أخذ الأجرة على الرقية ..) ١٧٢٧/٤ (٢٢٠١) . وصحيح البخاري مع الفتح . ك (الطب) ب (الشروط في الرقية بفاتحة الكتاب) ١٦٢/١٠ ، ١٦٣ .

(٣) البقرة . من الآية / ١٠٢ . (٤) (مشط) : الذي يمشط به الشعر (ومشاطة) : الشعر الساقط من الرأس أو اللحية . (٥) وجف طلع نخل ذكر : وعاء أو غشاء طلع نخل ذكر لا يثمر .

قال : واين هو ؟ قال : في بئر ذروان) [١] . فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه .. فجاء فقال : (يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء [٢] . وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين !) . قلت : يا رسول الله ، أفلا استخرجته . قال : (لقد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شرًا) ، فأمر بها (أي البئر) فدفنت [٣] .

٦- (٢٠٢) هل حقيقة السحر تنافي قضية التوحيد وانحصار التأثير لله وحده ؟

إن اعتبار السحر حقيقة ثابتة لا يعني كونه مؤثرًا بذاته بل هو كقولنا السم له مفعول حقيقي ثابت ، والدواء له مفعول حقيقي ثابت ، فهذا كلام صحيح لا ينكر ، غير أن التأثير في هذه الأمور الثابتة إنما هو لله تعالى . وقد قال تعالى عن السحر : ﴿ **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** ﴾ [٤] فقد نفى الله ﷻ عن السحر التأثير الذاتي . ولكنه أثبت له في نفس الوقت مفعولاً ونتيجة منوطة بإذن الله تعالى .

٧- (٢٠٣) اذكر الحديث الدال على أن النبي ﷺ سُحِرَ ؟ وبيِّن هل هذا يحط من نبوته ﷺ ويشكك فيها ؟ وبيِّن أنه خارقة وكرامة له ؟

● **الحديث** : سبق ذكره في إجابة السؤال الخامس .

● إن هذا السحر الذي أصيب به ﷺ لا يحط من نبوته لأنه إنما كان متسلطًا على جسده وظواهر جوارحه كما هو معروف ، لا على عقله وقلبه واعتقاده . فمعاناته من آثاره معاناته من آثار أي مرض من الأمراض التي يتعرض لها الجسم البشري لأيٍ كان ، ومعلوم أن عصمة الرسول ﷺ لا تستلزم سلامته من الأمراض والأعراض البشرية المختلفة .

قال القاضي عياض : وأما ما جاء في الحديث من أنه ﷺ كان يخيل إليه أنه يفعل الشي وهو لا يفعله ، فليس في هذا ما يدخل عليه ﷺ داخلة نقص أو عيب

---

(١) بئر ذروان : بئر بالمدينة في بستان بني زريق . (٢) نقاعة الحناء : أي الماء الذي نقع فيه الحناء . (٣) صحيح مسلم . ك ٣٩ (السلام) ب ١٧ (السحر) ٥/٧١٩ ، ١٧٢٠ (٢١٨٩) . (٤) البقرة . من الآية / ١٠٢ .

في شيء من تبليغه وشريعته ، لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا (أي مما يدخل أي داخلة نقص في تبليغ الشريعة) وإنما هذا فيما يجوز طروه في أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا فُضل من أجلها ، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر . فغير بعيد أن يُخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما حصل [1] .

● وحديث سحر النبي ﷺ إنما يدخل في جملة الخوارق التي أكرمه الله بها ، وهو دليل إكرام وعصمة له أكثر من كونه دليل أذى قد أصابه في جسمه أو أي جانب من بشريته ، ذلك أن الله أظهر السحرَ وكشف له ، ومكّنه منه ، وأعانه على إبطاله .

٨- (٢٠٤) كيف تتميز المعجزة الإلهية عن السحر ومظاهره (أو ما الفرق بين المعجزة الإلهية والسحر) ؟

تتلخص الإجابة في النقاط الآتية :

١- إن معجزة النبي ﷺ تقترن بدعوى النبوة والتحدي كدليل على صدق دعواه . وسحر الساحر ليس كذلك .

٢- إن سلطان المعجزة لا يتأثر بالزمان والمكان والأشخاص ، والتحدي بها للإنس والجن وإلى يوم القيامة (كمعجزة القرآن) ، وأما سلطان السحر وتأثيره فمحدود بحدود لا يتجاوزها ، فهو يؤثر في أشخاص دون آخرين ، أو في مكان دون غيره ، بحيث من كان خارجه لا يقع تحت تأثيره .

٣- إن المعجزة تقلب الحقائق وتبدل جواهر الأشياء ، كإحياء عيسى للموتى بإذن الله ، وكالطين التي يصنع منها طيرًا وينفخ فيها فتصير طيرًا بإذن الله ، وكعصا موسى التي تنقلب حية حقيقية بإذن الله . أما السحر فليس كذلك ، وإنما تخييل وسحر لأعين الناس ليس إلا ، كما قال تعالى : ﴿ **فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحرٍ عظيم** ﴾ [2] وقال : ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يُخيل إليه**

---

(١) شرح الشفاء . للقاضي عياض ٤/٢٧٨ ، ٢٧٩ . وانظر ايضًا : شرح النووي على مسلم ١٤/١٧٤ .

(٢) الأعراف . من الآية ١١٦ .

من سحرهم أنها تسعى ﴾ [1] . فالآيات تدل أن انقلاب الحبال والعصيّ ثعابين خيال . أما تأثر العين بهذا الخيال وضعفها عن رؤية الحقيقة فذلك هو مفعول السحر وحقيقته لما أصاب العين هذا الذي أصابها . وهذا يؤكد أن تأثير السحر إنما يكون على جسم الإنسان أو حواسه أو جوارحه ، تظهر بسببه بعض المرئيات و المحسوسات على غير حقيقتها ، أو تصيب الجسد أو جوارحه عوارض نفسية أو مرضية .

٩- (٢٠٥) اذكر بالأدلة مزايا وفضل أبي بكر الصديق عند رسول الله ﷺ .

١- إن أبا بكر كان أعلم الصحابة برسول الله ﷺ ، يدل على ذلك أنه ﷺ ، عندما خطب قائلاً : (**عبدٌ خيَّره الله بين أن يؤتيه الله زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده**) [2] فقد أدرك أبو بكر دون غيره أنه نعي النبي ﷺ ولذلك أخذه البكاء وصرخ قائلاً : فديناك بآبائنا وأمهاتنا .

٢- قوله ﷺ : (**إن آمن الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر ...**) [3] الحديث . وإنها لكلمات خوالد ما سُجل مثلها لغير أبي بكر .

٣- قوله ﷺ لعائشة : (**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل : أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**) [4] . فهذا الحديث يعد بمثابة النص على استخلاف النبي ﷺ له من بعده .

٤- استخلاف النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه للصلاة بالناس ، وإلحاحه في ذلك ، ورده الشديد على عائشة عندما أشارت عليه بعمر رضي الله عنه .

١٠- (٢٠٦) ما حكم اتخاذ القبور مساجد ؟ وما الدليل ؟ وما سببه ؟ وكيف تتحقق صورة النهي ؟ وما حكم الصلاة عند القبور؟ وما شأن قبر النبي ﷺ بالمدينة ؟

---

(١) طه . من الآية / ٦٦ .　　(٢) سبق تخريجه ص / .
(٣) سبق تخريجه ص / .　　(٤) سبق تخريجه ص / .

• **الحكم** : يحرم اتخاذ القبور مساجد ، وهو من أكبر الكبائر .

• **الدليل** : قال ﷺ : (**لعنة ا لله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**) [١] .

• **السبب** : قال العلماء : وإنما نهى ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به . فربما أدى ذلك إلى الكفر كما حدث لكثير من الأمم الخالية .

• **الكيفية** : تتحقق بأن يشاد فوق القبر مسجد فيصبح ما حول القبر مصلى بذلك للناس . أو بأن يُصلى عند القبر وأن يتخذ مسجدًا

• **حكم الصلاة عند القبور** : والعلماء في حكمهم على الصلاة عند القبور بين محرّم ومكرّه والذين قالوا بالكراهة شددوا بها عندما تكون الصلاة إلى القبر ، أي بأن يكون القبر بين المصلي والقبلة ، ولكنها صحيحة على كل ، لأن الحرمة لا تستلزم البطلان ، فيكون حكمها كحكم الصلاة في الأرض المغصوبة .

• **شأن قبر النبي** : قال الإمام النووي : ولما احتاج الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون ، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيها ، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها مدفن رسول الله ﷺ وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، بنوا على القبر حيطانًا مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد فيُصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور . ثم بنوا جدارين على ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا ، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر [٢] .

١١- (٢٠٧) تحدث بالأدلة عن شعوره ﷺ وهو يعاني سكرة الموت ؟

نستطيع أن ندرك شعوره وما كان قد انصرف إليه تفكيره وهمه في تلك الساعة من خلال ما روي أنه بينما كان الناس مصطفين لصلاة فجر يوم الإثنين إذا بالستر المضروب على حجرة عائشة رضي الله عنها قد كشف ، وبرز رسول الله

---

(١) سبق تخريجه ص / . (٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/٥ ، ١٤ .

ﷺ من ورائه ، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ، ثم تبسم ، حتى نكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وكاد الناس أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا به ﷺ ولكنه أشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم . ثم دخل الحجرة وأرخى الستر [1] .

لقد كان تفكيره إذا منصرفًا تلك الساعة إلى أمته ، وإلى ما سيكون عليه حالهم من بعده ، ونظرته الباسمة إلى أصحابه وهم يقفون خاشعين بين يدي الله تعالى ، تشعر بمعنى الحب العظيم الذي يفيض به فؤاد رسول الله ﷺ لهم .

لقد أراد رسول الله ﷺ وهو يمر بآخر دقائق عمره أن يتزود من أصحابه - رضوان الله عليهم - بآخر نظرة ، وأن يطمئن إلى الحق الذي تركهم عليه والهداية التي أرشدهم إليها ، فأراه الله منهم ما طابت به نفسه وقرت له عينه ، حتى غلب ذلك المشهد آلام الموت السارية في جسده فغلبها ، وإذا بالبشر والسرور والرضا يطفح كل ذلك على وجهه ، حتى خُيِّل للصاحبة أنه ﷺ قد نشط من أوجاعه ، وعوفي من آلامه .

ولكنهم ما عرفوا إلا أخيرًا أنه إنما وقف ينظر إليهم تلك النظرة لينقلب بها إلى سكرة الموت ، وهي آخر لوحة تسجل في ذهنه لمشهد أصحابه ، بل وأمته كلها ، كي تكون هي العهد الباقي بينهم وبين الله عز وجل ، ولتكون هي الهمزة الواصلة بين لحظة الوداع لأمته في الدنيا ولحظة الاستقبال لها في الآخرة على حوضه الموعود .

ولقد شاءت حكمة الله أن يكون هذا المشهد هو الصلاة !..

وشاءت إرادة الله تعالى أن تكون هي العهد الأخير .

تم بحمد الله ليلة الثلاثاء

(٤ رجب ١٤١٨هـ - ١٩٩٧/١١/٤م)

أعده الفقير إلى رحمة ربه العلي القدير

د. جمال محمود محمد الهوبي

---

(١) سبق تخريجه . ص / ٢١٦ .

فهرس المحتويات

فهرس المراجع والمصادر

المرجع	الرقم
القرآن الكريم .	١
الجامع الصحيح . المسمى : صحيح مسلم . للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط (١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م) دار إحياء التراث العربي .	٢
الجامع الصحيح . المشهور : بسنن الترمذي . لأبي عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي . تحقيق محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد القابي ، والحوت . ط ١ (١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م) دار الكتب العلمية . بيروت – لبنان .	٣
رياض الصالحين . للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٣١ – ٦٧٦هـ) . تحقيق : شعيب الأرناؤوط . ط ٥ (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م) . مؤسسة الرسالة . بيروت – لبنان .	٤
سنن ابن ماجة . للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ – ٢٧٥هـ) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر . بيروت – لبنان .	٥
سنن أبي داود . للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ – ٢٧٥هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . دار الفكر . بيروت – لبنان .	٦
السنن الكبرى . للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي . دار المعرفة .بيروت – لبنان .	٧
صحيح البخاري مع الفتح . لمحمد بن إسماعيل البخاري . ط ٢ (١٤٠٢هـ) دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .	٨
صحيح مسلم بشرح النووي . للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي . ط ٣ (١٣٨٩هـ – ١٩٧٨م) دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .	٩
فتح الباري شرح صحيح البخاري . للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني . ط ٢ (١٤٠٢هـ) دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان .	١٠

الرقم	المرجع
١١	المستدرك على الصحيحين في الحديث . للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم . ط (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفكر - بيروت .
١٢	مسند أحمد بن حنبل
١٣	الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني . للبنا .
١٤	تاريخ الرسل والملوك . ابن جرير الطبري .
١٥	السيرة النبوية . لأبي محمد عبد الملك بن هشام . تحقيق : نخبة من العلماء . دار الفكر . بيروت - لبنان .
١٦	الطبقات الكبرى . لابن سعد .
١٧	فقه السيرة . للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي . ط ٨ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) دارالفكر . بيروت - لبنان .
١٨	تفسير الجلالين . لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . مطبعة الأنوار المحمدية . القاهرة - مصر .
١٩	جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ) . ط ٣ (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) . شركة الحلبي بمصر .
٢٠	فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير . لمحمد بن علي الشوكاني . ت (١٢٥٠هـ) . ط ٣ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الفكر . بيروت - لبنان .
٢١	الفائق في غريب الحديث . لجار الله محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق : علي البجاوي ، ومحمد إبراهيم . ط ٢ . شركة الحلبي .
٢٢	القاموس المحيط . لمجد الدين الفيروز أبادي . دار الحديث - القاهرة .
٢٣	مختار الصحاح . لمحمد بن أبي بكر الرازي . ترتيب محمود خاطر بك . ط (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) دار الفكر . بيروت - لبنان .
٢٤	النهاية في غريب الحديث والأثر . للإمام مجد الدين المبارك محمد الجزري ابن الأثير . ط ٢ (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار الفكر . بيروت - لبنان .

٢- فهرس المحتويات